kitabweb-2013.forumsmaroc.com

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «الندوات»

الترجمة العِلمية

ندوة لجنة اللغة العربية
لأكاديمية المملكة المغربية

طنجة
19 - 20 رجب 1416هـ
11 - 12 دجنبر 1995م

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «الندوات»

الترجمة العلمية

ندوة لجنة اللغة العربية
لأكاديمية المملكة المغربية

طنجة
19 - 20 رجب 1416هـ
11 - 12 دجنبر 1995م

أكاديمية المملكة المغربية
كلم 11 طريق زعير ص.ب. 5062
الرباط - المملكة المغربية

رقم الإيداع القانوني : 97/524
ردمك : 9981-46-013-3

الهلال العربية للطباعة والنشر
ARABIAN AL HILAL Impression et Edition
21 Rue Descartes - Les Orangers, Tel: 70-60-99 - Fax: 70-77-51

أعضاء أكاديمية المملكة المغربية

ليوبولد سيدار سنغور : السينغال
هنري كيسنجر : و.م. الأمريكية
موريس دريون : فرنسا
نيل أرمسترونغ : و.م.الأمريكية
عبد اللطيف بن عبد الجليل : المملكة المغربية
عبد الكريم غلاّب : المملكة المغربية
أوطو دو هابسبورغ : النمسا
عبد الرحمن الفاسي : المملكة المغربية
جورج فوديل : فرنسا
عبد الوهاب ابن منصور : المملكة المغربية
محمد الحبيب ابن الخوجة : تونس
محمد بنشريفة : المملكة المغربية
أحمد الأخضر غزال : المملكة المغربية
عبد الله عمر نصيف : م.ع. السعودية
عبد العزيز ابن عبد الله : المملكة المغربية
عبد الهادي التازي : المملكة المغربية
فؤاد سزكين : تركيا
عبد اللطيف بربيش : المملكة المغربية
محمد العربي الخطابي : المملكة المغربية
المهدي المنجرة : المملكة المغربية
أحمد الضُّبيب : م.ع. السعودية
محمد علال سيناصر : المملكة المغربية
أحمد صدقي الدجاني : فلسطين
محمد شفيق : المملكة المغربية
لورد شالفونت : المملكة المتحدة
أحمد مختار امبو : السينغال
عبد اللطيف الفيلالي : المملكة المغربية
أبو بكر القادري : المملكة المغربية
الحاج أحمد ابن شقرون : المملكة المغربية
عبد الله شاكر الكرسيفي: المملكة المغربية
جان بيرنار: فرنسا
روبير امبروگجي: فرنسا

عز الدين العراقي: المملكة المغربية
دونالد فريدريسكون: و.م. الأمريكية
عبد الهادي بوطالب: المملكة المغربية
إدريس خليل: المملكة المغربية
رجاء گارودي: فرنسا
عبّاس الجراري: المملكة المغربية
بيدرو راميريز فاسكيز: المكسيك
محمد فاروق النبهان: المملكة المغربية
عبّاس القيسي: المملكة المغربية
عبد الله العروي: المملكة المغربية
برناردان كانتان: الفاتيكان
عبد الله الفيصل: م.ع. السعودية
روني جان ديبوي: فرنسا
ناصر الدين الأسد: م. الأردنية الهاشمية
أناتولي گروميكو: روسيا
جاك أيف كوسطو: فرنسا
جورج ماطي: فرنسا
كامل حسن المقهور: الجماهيرية الليبية
إدواردو دي أرانطيس إي أوليفيرا: البرتغال
عبد المجيد مزيان: الجزائر
محمد سالم ولد عدود: موريتانيا
بُو شو شانغ: الصين
إدريس العلوي العبدلاوي: المملكة المغربية
ألفونصو دو لاسيرنا: المملكة الإسبانية
الحسن بن طلال: م. الأردنية الهاشمية
فرنون والترز: و.م. الأمريكية
محمد الكتاني: المملكة المغربية
حبيب المالكي: المملكة المغربية
ماريو شواريس: البرتغال
عثمان العُمير: م.ع. السعودية
كلاوس شواب: سويسرا
إدريس الضحّاك: المملكة المغربية

الأعضاء المراسلون

- ريشار ب. ستون : و.م.الأمريكية
- شارل ستوكتون : و.م.الأمريكية
- حاييم الزعفراني : المملكة المغربية

- - - - - - - - - -

أمين السر الدائم : عبد اللطيف بربيش
أمين السر المساعد : إدريس خليل
مدير الجلسات : أحمد الأخضر غزال

- - - - - - - - - -

مدير الشؤون العلمية : أحمد رمزي

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية

I - سلسلة «الدورات»

1- «القدس تاريخياً وفكرياً»، مارس 1981

2- «الأزمات الروحية والفكرية في عالمنا المعاصر»، نونبر 1981

3- «الماء والتغذية وتزايد السكان»، القسم الأول، أبريل 1982

4- «الماء والتغذية وتزايد السكان »، القسم الثاني، نونبر 1982

5- «الإمكانات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية»، أبريل 1983

6- «الالتزامات الخُلُقية والسياسية في غزو الفضاء»، مارس 1984

7- «حق الشعوب في تقرير مصيرها»، أكتوبر 1984

8- «شروط التوفيق بين مدة الانتداب الرئاسي وبين الاستمرارية في السياسة الداخلية والخارجية في الأنظمة الديمقراطية»، أبريل 1985

9- «حلقة وصل بين الشرق والغرب: أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون»، نونبر1985

10- «القرصنة والقانون الأممي»، أبريل 1986

11- «القضايا الخُلُقية الناجمة عن التحكم في تقنيات الإنجاب»، نونبر 1986

12- «التدابير التي ينبغي اتخاذها والوسائل اللاّزم تعبئتها في حالة وقوع حادثة نووية»، يونيو 1988

13- « خَصاص في الجنوب وحيرة في الشمال: تشخيص وعلاج»، أبريل 1988

14- «الكوارث الطبيعية وآفة الجراد»: نونبر 1988

15- «الجامعة والبحث العلمي والتنمية»: يونيو 1989

16- «أوجه التشابه الواجب توافرها لتأسيس مجموعات إقليمية، دجنبر1989

17- «ضرورة الإنسان الاقتصادي من أجل الإقلاع الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية»، مايو 1990

18- «اجتياح العراق للكويت ودور الأمم المتحدة الجديد»: أبريل 1991

19- «هل يُعطي حق التدخل شرعية جديدة للاستعمار؟»، أكتوبر 1991

20- «التراث الحضاري المشترك بين المغرب والأندلس»، أبريل 1992

21- «أوروبا الإثنتي عشرة دولة والآخرون»، نونبر 1993

22- «المعرفة والتكنولوجيا»، مايو 1993
23- « الاحتمائية الاقتصادية وسياسة الهجرة» ، دجنبر 1993 .
24 - «رؤساء الدول أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية»، أبريل 1994 .
25 - «الدول النامية بين المطلب الديموقراطي وبين الأولوية الاقتصادية»، نونبر 1994.
26 - «أيُّ مستقبل لحوض البحرالأبيض المتوسط والاتحادالأوروبي؟»، مايو 1995.
27- «حقوق الإنسان والتشغيل بين التنافسية والآلية»، أبريل 1996.

II- سلسلة «التراث » :

1- «الذيل والتكملة»، لابن عبد الملك المراكشي، السفر الثامن، جزءان، تحقيق محمد ابن شريفة ، 1984 .
2 - «الماء وما ورد في شربه من الآداب»، تأليف محمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، مارس 1985 .
3- «مَعْلَمة المَلْحون»، تصنيف محمد الفاسي، القسم الأول والقسم الثاني من الجزء الأول، أبريل 1986، أبريل 1987 .
4- « ديوان ابن فَرْكون » تقديم وتعليق محمد ابن شريفة، ماي 1987.
5- «عين الحياه في علم استنباط المياه» للدمنهوري، تقديم وتحقيق محمد بهجة الأثري 1409هـ/1989م.
6- «مَعْلَمة المَلْحون»، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثالث، «روائع المَلْحون» 1990.
7- «عمدة الطبيب في معرفة النبات»، القسم الأول والقسم الثاني، لأبي الخير الإشبيلي، حققه وعلق عليه وأعاد ترتيبه محمد العربي الخطّابي، 1411هـ/1990م.
8- «كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، لابن زهر، حقّقه وهيأه للطبع وعلق عليه محمد بن عبد الله الروداني، 1411هـ/1991م .
9- «مَعْلَمة المَلْحون»، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثاني، القسم الأول، «معجم لغة المَلْحون»، 1991.
10- «مَعْلَمة المَلْحون »، تصنيف محمد الفاسي، الجزء الثاني - القسم الثاني وفيه: «تراجم شعراء المَلْحون»، 1992 .
11- «بغيات وتواشي الموسيقى الأندلسية المغربية »، تصنيف عز الدين بناني، 1995 .
12- «إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع »، لمحمد البوعصامي، تحقيق عبد العزيز بن عبد الجليل، 1995 .

13- «معلمة الملحون»، «مائة قصيدة وقصيدة في مائة غانية وغانية» ، تصنيف محمد الفاسي، 1997.

III - سلسلة «المعاجم»:

1- «المعجم العربي-الأمازيغي» الجزءالأول، تأليف محمد شفيق، 1990.

2- «المعجم العربي-الأمازيغي» الجزء الثاني، تأليف محمد شفيق، 1996.

IV - سلسلة «الندوات والمحاضرات»:

1- «فلسفة التشريع الإسلامي» الندوة الأولى للجنة القيَم الروحية والفكرية.

2- «وقائع الجلسات العمومية الرسمية بمناسبة استقبال الأعضاء الجدد»، دجنبر1987 (من 1401هـ/1980م إلى 1407هـ/1986م).

3- « محاضرات الأكاديمية » ، 1988 (من 1403هـ/1983م إلى1407هـ/1978م).

4- «الحرف العربي والتكنولوجيا»، الندوة الأولى للجنة اللغة العربية، فبراير 1408هـ/1988 .

5- «الشريعة والفقه والقانون»، الندوة الثانية للجنة القيم الروحية والفكرية 1409هـ/ 1989م .

6- «أسس العلاقات الدولية في الإسلام»، الندوة الثالثة للجنة القيم الروحية والفكرية 1409هـ/1989م .

7- «نظام الحقوق في الإسلام»، الندوة الرابعة للجنة القيم الروحية والفكرية 1410هـ/1990م .

8- «الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء»، الندوة الخامسة للجنة القيم الروحية والفكرية ، 1412هـ/1991م.

9-«قضايا استعمال اللغة العربية»، الندوة الثانية للجنة اللغة العربية، 1414هـ/ 1993 .

10- «المغرب في الدراسات الاستشراقية»، الندوة السادسة للجنة القيم الروحية والفكرية، 1413هـ/1993م .

V- سلسلة مجلة «الأكاديمية»

1-العدد الافتتاحي، وفيه وقائع افتتاح جلالة الملك الحسن الثاني للأكاديمية يوم الإثنين 5 جمادى الثانية عام 1400هـ، الموافق 21 أبريل 1980م.

2- «الأكاديمية» العدد الأول، فبراير 1984.

3- «الأكاديمية» العدد الثاني، فبراير1985.
4- «الأكاديمية» العدد الثالث، نونبر 1986.
5- «الأكاديمية» العدد الرابع، نونبر1987.
6- «الأكاديمية» العدد الخامس، دجنبر 1988.
7- «الأكاديمية» العدد السادس، دجنبر 1989.
8- «الأكاديمية» العدد السابع، دجنبر 1990.
9- «الأكاديمية» العدد الثامن، دجنبر 1991.
10- «الأكاديمية» العدد التاسع، دجنبر 1992.
11- «الأكاديمية» العدد العاشر، شتنبر 1993.
12- «الأكاديمية» العدد الحادي عشر، دجنبر1994.

بسم الله الرحمن الرحيم

نظمت لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية ندوة في موضوع : «الترجمة العلمية» أشغال هذه الندوة أُنجزت بمدينة طنجة يومي 19 و20 رجب 1416 هـ، الموافق 11 و12 دجنبر 1995م، وحضرها أعضاء الأكاديمية والخبراء المتخصّصون المدعوون من المغرب والخارج - وقد شاركوا بالبحوث التي أثبتناها في هذا الكتاب - والأساتذة الجامعيون وطائفة من المهتمين بشؤون اللغة العربية وبميدان الترجمة.

فمن المغرب حضر الخبراء الأساتذة: محمد خرباش، مدير التعليم الثانوي بوزارة التربية الوطنية بالرباط، وأحمد الحطّاب، رئيس قسم التوجيه وتخطيط البحث وتكوين الأطر والبحث العلمي (الرباط)، وأحمد جوهري أستاذ الترجمة بالمدرسة العليا للأساتذة بمكناس، وعبد العزيز الوديّي، أستاذ باحث بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.

ومن العالم العربي حضر الأساتذة: أحمد شيخ السروجية، أستاذ في كلية الطب بالجامعة الأردنية، ومحمد هيثم الخياط، العضو في عدة مجامع عربية ودولية، ومحمد سويسي، الاختصاصي في تاريخ الرياضيات والفلسفة (تونس).

وتولى إدارة هذه الندوة الأستاذ أحمد الأخضر غزال، عضو الأكاديمية.

وأعقبت العروض مناقشات مفتوحة شارك في إثرائها أعضاء الندوة والحاضرون من الجمهور ممّن رغبوا في تناول الموضوع من وجهة نظرهم.

ويتضمن هذا الكتاب وقائع الندوة من عروض ومناقشات، والله الموفق.

النصوص الواردة هنا أصلية، فينبغي الإشارة إلى هذا المصدر عند نشرها أو الاستشهاد بها.
الآراء والمصطلحات الواردة فيه تلزم أصحابها وحدهم.

الفهرس

* خطاب افتتاح أعمال الندوة 13

أحمد الأخضر غزال

عضو الأكاديمية، مدير الجلسات

1- البحوث

* لماذا قيل: «كل مترجم خذول» 19

محمد شفيق

عضو الأكاديمية

* أهمية الترجمة في نشر العلم ورفع مستوى التعليم 31

محمد هيثم الخياط

نائب المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية

للشرق الأوسط، الأسكندرية

* مواجهة اللغة العربية لأول تجربة في ترجمة العلوم 53

محمد الكتاني

عضو الأكاديمية

* اهتمام الدولة العلوية بالترجمة العلمية: علم الفلك نموذجاً 75

عبد الهادي التازي

عضو الأكاديمية

* الكتابة العلمية في العربية المعاصرة: مستواها الحالي وأهم العوائق في طريقها 91

محمد سويسي

اختصاصي في تاريخ الرياضيات والفلسفة، تونس

* مشاكل الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية (واقتراحات لحلولها) 103

أحمد الأخضر غزال

عضو الأكاديمية

* بيداغوجية الترجمة العلمية.. 157
أحمد جوهري
أستاذ الترجمة بالمدرسة العليا للأساتذة بمكناس
* معايير اختيار النصوص الصالحة للترجمة العلمية الموجهة إلى المتخصصين وطلاب التعليم العالي.. 175
أحمد شيخ السروجية
أستاذ بكلية الطب بالجامعة الأردنية
* المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة: العلوم الطبيعية كنموذج.. 185
أحمد الحطاب
رئيس قسم التوجيه وتخطيط البحث
وتكوين الأطر والبحث العلمي بالرباط
* مصطلح الرياضيات بين التعريب والترجمة.. 205
محمد خرياش
مدير التعليم الثانوي
بوزارة التربية الوطنية بالرباط
* ملاحظات حول إنشاء هيئة وطنية للترجمة العلمية والتقنية.................. 229
عبد العزيز لوبئي
أستاذ باحث بمعهد الدراسات
والأبحاث للتعريب بالرباط
* أطروحة الاستغناء عن الترجمة العلمية بلغة علمية عالمية.................. 241
عبد المجيد مزيان
عضو الأكاديمية

2- المناقشات.. 257

* خطاب اختتام أعمال الندوة.. 315
عبد المجيد مزيان
عضو الأكاديمية
مدير الجلسة الختامية

خطاب افتتاح أعمال الندوة

أحمد الأخضر غزال
عضو الأكاديمية
مدير الجلسات

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة والسيدات،

لقد قيل وما زال يقال في مختلف الأوساط الثقافية بأن الترجمة تشكّل أصعب الفنون اللغوية، وذلك لأنها تتصل بجميع فروع المعرفة، وخاصة بعبقرية الأفراد والشعوب وتقنيات متنوعة في جميع المجالات ممّا أدّى في العصر الحديث، إلى نعتها بالعلوم الترجمية (traductologie) .

والترجمة أنواع منها التحريرية والشفاهية والعلمية والأدبية الخ.. إلاّ أن الذي يهمنا في هذا الباب هو الترجمة العلمية والتقنية التي تكون أساس التطور للتوصل إلى التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي في العصر الحديث. وقد انتبه إلى هذه الظاهرة كل من أمريكا واليابان بالخصوص فأكبّا على إنشاء مؤسسات خاصة للترجمة تشتغل صباح مساء بجدّ وعناية وحماس إلى حدّ أن كل ما يصدر من كتب ومجلاّت ومقالات في العالم إلاّ ويترجم في الحين ، ثم يختزن في قاعدات للمعطيات بواسطة الحاسوب، ثم يُستغلّ عند الحاجة استغلالاً استراتيجياً لصالح السيادة والأسبقية.

وأما في عالمنا العربي فإن الترجمة لم تتسم بعد بما يجب أن تتسم به من طابع الأسبقية والأهمية اللتين لا مناص منهما للنهوض بتعريب مواكب لمقتضيات العلوم والتقنيات في عصرنا الحاضر. وذلك يرجع إلى أسباب منها بالخصوص أن التعريب الذي أدرجناه في وطننا العربي لم ينطلق من نفس المبادىء التي انطلق منها التّلسين (استعمال اللسان الوطني أو ما يقابل التعريب في اللغات الأخرى) في البلدان الأوروبية إذ اعتمدت هذه البلدان على ترجمة الكتب المدرسية، ترجمة وفيّة بضبط المصطلحات والتعابيرالحديثة إلى أن صارت قادرة على مسايرة العلوم والتقنيات المعاصرة بلغتها الوطنية.

إننا أدرجنا التعريب بدون اعتماد ترجمة أدوات التعليم فصرنا نؤلف الكتب المدرسية ونترك فراغات في مدلولات اصطلاحية وتعابير علمية وتقنية ممّا أدّى إلى عدم تقابل مستوى كتبنا التدريسية بمستوى الكتب الغربية في نفس المادة.

وفيما يرجع إلى ضبط المصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية فإن تأخّرنا فيها ينعكس على جودة الترجمة بكيفية خاصة. حقّاً إن مجامعنا الموقرة وضعت كثيراً من المصطلحات في ميادين متنوعة، إلاّ أنها رغم ذلك بقيت قليلة العدد بالنسبة إلى تلبية متطلبات العصر، وأحياناً غير موحّدة بسبب عدم التنسيق المرتكز على منهجية متفق عليها ومبنية على رغبات العلماء والمهندسين من جهة، وآراء ونظريات المثقفين من جهة أخرى.

ونعني بهذا كله أن فكرة شمولية العربية وطاقتها الكامنة في بطون منتجات أجدادنا طغت علينا بكيفية سلبية، فأدّت بنا إلى الخلط بين الإمكانيات التي تتسم بها لغتنا لتأدية التعبير عن مفاهيم العصر الحديث، وبين ما يتوفر فيها من محصول تعبيري جاهز، بالإضافة إلى التشويش المحدث من قبل الدراسات والبحوث العصرية في ميادين اللسانيات الوصفية التي تقرّ الخطأ كظاهرة طبيعية. واللسانيات التقويمية التي نمت عليها الفصحى والتي لا تقبل الخطأ.

وسعياً وراء المزيد من التوضيحات وتنشيط القرائح لصالح نهضة

العربية بمقتضيات العلوم والتقنيات ارتأت لجنة اللغة العربية لأكاديمية المملكة المغربية أن تعقد هذه الندوة الخاصة بالترجمة العلمية وما إليها من تأثيرات فرعية الدائمة الاتصال بقضايا التعريب المساير لعناصرالتّلّسين على صعيد الوطن العربي.

وقبل أن نشرع في الاستماع إلى العروض، أُرحّب في هذه الجلسة الافتتاحية بالسيد والي صاحب الجلالة على إقليم طنجة والسادة العمال والسادة أساتذة الجامعة والأعضاء الزملاء والإخوة الخبراء المدعوين .

وأرجو السادة أصحاب العروض والمتدخلين في المناقشات أن يتقيدوا بالوقت المحدّد لإعطاء فرصة إبداء الرأي لأكثر الراغبين في الحديث، وفقنا الله إلى الخير والسلام عليكم.

البحوث

لماذا قيل:
«كل مترجم خذول»

محمد شفيق

من الاكتشافات العلمية الحديثة الكبرى أن في التنوع البيولوجي غنى للحياة النباتية والحيوانية والبشرية، وأن في الاختلافات الثقافية غنى للحضارات. وهذا مصداق قول الله عز وجل: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين﴾. من الاستنتاجات العلمية الحديثة في اللسانيات وعلم النفس، أن كل لغة من اللغات تكسب متكلميها رؤية خاصة على الكون، لا في ما يهم المعنويات فحسب، بل حتى في ما يهم المحسوسات مما يتبادر إلى الذهن أنها من قبيل المدركات المشتركة بين الشعوب المختلفة الألسن المتباينة الثقافات. وهذا مصداق قول الإمام علي، كرم الله وجهه: «تعلموا الألسن، فإن كلَّ لسان بإنسان!»، ذلكم القول الذي ردده ولاشك المسلمون في الأندلس، إلى أن طرق مسمع الملك الإسباني «كارلوص» الخامس، ودعاه أن يقول هو أيضا: «إن قيمة الإنسان بقيمة عدد اللغات التي يتكلمها». والواقع أنه لم يعد أحد اليوم يجادل في كون الثقافات تتلاقح فيما بينها، كما تتلاقح النباتات ويُطَعِّمُ بعضها بعضا. من هذه الوجهة ينبغي لنا، في ما أعتقد، أن ننظر إلى دور الترجمة وأهميتها الحضارية المتناهية، على الرغم من أن الإنسان لم ير فيها عبر العصور إلا عملا تُلجِئ إليه ضرورة احتكاك الشعوب بعضها ببعض، بل يُلجِئ إليه «دِفاعُ اللهِ النَّاسَ

بَعْضُـهُمْ بِبَـعْضٍ». وقـد كـان كل شـعب في القـديم يعـتـبـر أن لسـانه وحـده هـو اللسـان، ومـا سـواه رطانـة وعجـمـة. وقد كـان من المفكرين الكبـار من يرى أن معرفة الإنسـان لغة غير لغة قومه تعوقه لا مـحالة عن كسب أسـاليب البلاغة، وعن امـتـلاك ملكة الفـصـاحـة. ومن أبرز الأدباء الذين حـذّروا من مـغـبّـات الازدواجيـة في اللسـان، أبو عـثـمـان الجـاحظ، إذ يقـول في «كتـاب الحيـوان»: «ومتى وجدناه (أي الترجمان) تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتعترض عليها؛ وكيف يكون تمكن اللسـان منهما مـجتمعتين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة؟! وإنما له قـوة واحدة، فـإن تكلم بلغـة واحدة، استُفْرِغَت تلك القـوة عليهـا...»[1]. وهنـا تجدر الإشـارة إلى أن رأي «چوتي» (goethe)، المفكـر الألماني الشـهـيـر، على طرفي نقيض مع رأي الجـاحظ. كان «چوتي» يقـول: «من أراد أن يفقه لغة قومه جيدا، فليتعلم لغة أجنبية». كما تجدر الإشارة إلى أن أبا عثمـان نفسـه، أُعجب بأحد كبار البلغاء المزدوجي اللسـان، إلى أنه قـال فيه: «لقد كـان من أعاجيب الدنيا؛ كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية... فلا يدرى بأي لسان هو أبين».[2]

ومـهـمـا يكن رأي الجـاحـظ في الموضـوع، لقـد أثبت التـاريخ أن الإنسـان تقبل مـا تستلزمه الترجمة من ازدواجية، واعتمدهـا في التـواصل مع بني جنسه منذ أقدم العصور، لاسيما في المناطق التي تعاقبت عليها الهجرات واختلطت فيها الفصائل البشرية، كبلاد مابين النهرين مثلا. يخبرنا تاريخ التربية أن لغة التدريس عند سومر، في الألف الثالث قبل الميلاد، كانت سومرية صرفا؛ ثم صـارت بعـد ذلك، في عـهـد الأكـاديين، سـومـرية أكـادية. كـانت الآداب تُدرّس بالأكـادية، وكـانت العلوم تلقن بالسـومـرية.[3] فـدعـا ذلك الوضع إلى إنشـاء قواميس مزدوجة، هي الأولى من نوعها، حسب ماهو معروف إلى الآن. ولا يزال اسم بابل (Babel) عنوانا لتـعـايش اللغـات وتزاحـمـهـا واخـتـلاطهـا في ذاكـرة النصـارى واليـهـود. ثم لا يـخـفى الدور الذي قـام به مـا سـمي عند العـبـريين وأحـبـارهـم بـ «التُّرْجُـومَـاتِ» في تلقين النصـوص الدينية اليـهـودية، ابتـداء من القـرن الخـامس قـبل الميـلاد، إذ كـانت أجيـال بنـي إسـرائيل قد تخلت عن لغـة

أجدادها، وتبنَّتِ الآرامية لسانا لها. ولولا الترجمة لما صارت الأقاصيص الحيوانية التي ابتكرها أجدادنا النوميديون والليبيون في الأزمان الغابرة منتشرة، في رواية أو أخرى، حول حوض البحر المتوسط، مشتركة بين شعوبه مذ قَيَّضَ الله لها «أرسطو» فدوَّنها بيونانيته، وردها، في نزاهة فكر ملحوظة، إلى أصلها «المغاربي» إذ سماها بـ «الحكايات الليبية»[4]. وقد حذا حذوه «يوبا» (Yuba) الأصغر في مؤلفه «ليبيكا» (Libyca) الذي نقل عنه كل من القصاصين «أثينايوص» (Athênaios) و«أيليانوس» (Aelianus) بعد وفاة صاحبه بزهاء قرنين من الزمن[5]. ومما سجله تاريخ الآداب الأوروبية، أن الازدواجية اللغوية التي طبعت ثقافة الخطيب الكبير والكاتب المفكر الروماني «شَيْشَرو» (Cicero)، هي التي رفعت اللاتينية إلى مستوى اللغات المؤهلة للمساجلات الأدبية والمضاربات الفلسفية.[6] وقد ذهب اللساني المعروف «مارتيني» (Martinet) إلى أن تأثير ازدواجية «شَيشَرو» اللغوية، لا يزال ساري المفعول في بنية اللغات الأوروبية حتى اليوم.[7] وليس من السَّرَف في القول أن يقال إن الكاتب العربي الفارسي الأصل، عبد الله بن المقفع، هو نظير «شَيَشرو» في الثقافة العربية الإسلامية، من حيث تلقيحها بلقاح غيرها من الثقافات. ولست في حاجة إلى تذكيركم بعناوين الكتب التي نقلها عن البهلوية. ولا يعزب عن أذهانكم ما أدخله ابن المقفع على العربية من التراكيب والتعابير التي لم تكن مألوفة من قبل. وبفضل الترجمة أيضا، ترجمة الإنجيل، رفع «لوثر» (Luther) إحدى اللهجات الألمانية إلى مرتبة اللغات الأدبية والعلمية. وبفضلها تمكّن كُتَّاب القرن السادس عشر المعروفة مجموعتهم بـ «لابليياض» (le Pléiade) من ترقية إحدى اللهجات الفرنسية إلى الدرجة التي انطلق منها الأدب الفرنسي الكلاسيكي. وغير بعيد منا، لا يجهل أحد أن مزدوجي اللسان، أمثال محمد حسين هيكل، والمازني، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، وزكي مبارك، وغيرهم، هم الذين أعطوا نفسا جديدا للأدب العربي، ووصلوه بالآداب العالمية الأخرى، وطوروا أساليب البحث والنقد فيه خاصة. أما عن تأثر لغة الصحافة العربية يوميا بما تنقله عن قصاصات وكالات الأنباء الأجنبية، فحدث ولا حرج. والخلاصة مما سبق قوله، أن الترجمة في المجال الثقافي، بمثابة التجارة في المجال الاقتصادي. فبدون

تجارة، لايمكن الاقتصاد أن يكون إلا بدائيا؛ وبدون ترجمة، لا يمكن الثقافة إلا أن تنغلق على نفسها وتتحجر، طال الزمن أو قصر، لأن الثقافة نظام حي، وكل نظام حي توقف عن التبادل مع محيطاته معرض للهلاك. ولقد كان العالم الإسلامي سبّاقا إلى الاعتراف بما للترجمة من أهمية، فبنى «بيت الحكمة» في بغداد، وبعد ثلاثة قرون، قلده المسيحيون، في أوروبا، وأحدثوا مدرسة طليطلة للمترجمين التي كان دورها حاسما في نقل علوم المسلمين إلى اللغة اللاتينية. ومع هذا كله لم يدرك أهمية الترجمة بحق، حتى في عصرنا الحاضر، إلا عدد قليل من رجال الثقافة والعلم. ولم يشعر الفلاسفة «الإبستيملوجيون» واللسانيون إلا منذ بضعة عقود بأنها فرع من علوم المعرفة في حاجة إلى تحليل خاص به، وإلى تنظير دقيق جدير بأن تتوج به التنظيرات اللغوية.[8] أما عامة الناس، فلا يزالون يظنون أن الترجمة عملية بسيطة ينجزها في يُسْر ياسر كل من له دراية ما بلغتين؛ وكأن كل لغة في نظرهم «كيس مليئ بالألفاظ»، حسب تعبير أحد اللسانيين،[9] كل كلمة فيه تناظر، تماما بالتمام، كلمة توجد بالضرورة في «كيس» اللغة الأخرى. ولا يخطر لهم ببال ما لكل لسان من خصوصيات ومميزات، ولا ما يحتاج إليه المترجم الجاد من المهارة، ومن التحكم في المقابلة بين أدوات للتعبير، متفاوتة في دلالاتها، ومتنافرة أحيانا فيما أشربت من المعاني، قبل أن يصل الفكر بالفكر، والخيال بالخيال والوجدان بالوجدان، والرؤية بالرؤية. ذلك ما جعل الفيلسوف الأمريكي «Willard Quine» (ويلرد كوين) يقول جازما إن «الترجمة الفاصلة» (la traduction radicale) كما أسماها، لا يمكن منطقيا أن تُحقَّقَ؛[10] ومن الظاهر أنه عارض، من حيث شعر أو لم يشعر، قولة الرياضي اليوناني «فوثاغوراس» (Puthagoras) إن الأرنب لا يمكنها، نظريا، أن تدرك السلحفاة في ملاحقتها إياها.

لكن الترجمة تُحقَّقُ منذ قرون وقرون، ومفعولها الحضاري المنتج لم يعد يجادل فيه إلا من لا خبرة له بالتفاعلات الثقافية ولا معرفة لمسارب المثاقفة. ومع ذلك، ظل المترجمون طوال العصور مهضومي الحقوق، مغمورين في الأوساط الفكرية والعلمية، مغموزي الثقافة من وجهة نظر من ينقلون عنه ومن يتلقى منهم على حد سواء؛ وَكَأَنَّ الطرفين متواردان على رأي واحد، هو أن

المترجم ليس إلا وسيطا ينقصه الوفاء: ينقصه الوفاء لثقافته الأصلية، بما أنه اتخذ عليها ضرة؛ وهو غير قمين بأن يؤتمن على ثقافته المكتسبة، بما أنه غريب عنها دخيل عليها. ولا عجب في هذا، لأن المترجمين والمزدوجي اللسان لم يكونوا قط، في أي مجتمع، إلا أقلية قليلة، يُنظَرُ إليها شَزْراً في المحافل الأدبية والعلمية. لا يَعْتَرِفُ أحد لهم بالجميل، ولا يشاد بكفاءة الكفء منهم إلا في نطاق حلقتهم ونقابتهم. لقد كتب أحدهم ما يلي: «نحن المترجمين بمثابة المشاة في السَّاقَةِ من جيشِ الكتَّاب. وفي أنظار أرباب النشر لسنا إلا عُمَّالاً كادحين مجهولي الأسماء، يعوض أحدهم بالآخر دونما حرج».[11] والواقع أنه من دأب المترجمين أن يقنعوا دائما من الغنيمة بالإياب، وأن يرتاحوا كل مرة إلى البراءة من خيانة الأمانة. ولا تزال التهمة إلى يومنا تطاردهم مبلورة في المثال الإيطالي القديم: «Traduttore, traditore» الذي يعني بالحرف: «المترجم خؤون!». تناقل المثقفون الأوروبيون هذا المثل جيلا عن جيل، تنكيدا منهم لكل ترجمان أو مترجم، مع أنه في الأصل مجرد تذكير للمسيحيين بما حدث من الانشقاق في صفوف المُتَنَصِّرين الأُول من جراء تسليم بعضهم نسخا من كتابهم المقدس للسلطات الوثنية الرومانية وتمكينها من الاطلاع على مضامينها بواسطة الترجمة، وذلك في عهد ما سمي عندهم بـ «المحنة الكبرى»، في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، إذ أمر الأمبراطور «Dioclétianus» بتعذيب كل من تنصر.[12] فعلق إثر ذلك بذاكرة المسيحية أن الترجمة مطية للردة والخيانة. فكان ذلك هو سبب نفور الكنيسة من الترجمة لعدة قرون، ولم تتخل عن ذلك النفور إلا بالتدريج في الجهات التي احتك فيها النصارى بالمسلمين وانبهروا بتفوقهم الحضاري.

هذا كله لا يعني أن المترجم معصوم من الخطإ. كلاّ! وإنما كان المراد من عرض هذه الحقائق الثقافية والاجتماعية والتاريخية هو لفت النظر إلى أن المترجم الحق لا يخطئ عَمْدا البَتَّةَ، ولا يَخذُل ولا يخون؛ لكنه يخطئ سهوا، أو عجزا منه عن بلوغ الكمال. أنى له أن يضبط جميع المقابلات والمعادلات بين المضامين ودقائق المعاني؟ وأنّى له أن يمرر كل جمالية في الأسلوب والتعبير بما طبعها من اللمسات؟ أنّى له ذلك، وهاجسه أن لا يَصْدُق في ماهو مُبَلِّغُه؟ ولعجز

المترجمين عن بلوغ الكمال أسباب تختلف باختلاف قدراتهم، ونوعية ثقافتهم العامة والخاصة، ومشاربهم الدينية والفلسفية. نكتفي هنا بفحص نموذجين من الأخطاء، صاحِباهما، كلاهما، من فحول المترجمين. وهما خطآن ارتكبا في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية. النموذج الأول هو الخطأ الذي سبق قلم الأستاذ محمد حميد الله في ترجمته للآية الكريمة «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى» من سورة النجم، إذ نقل معناها إلى الفرنسية بقوله: «Lequel, plein de bile, s'est établi»، فجعل جبريل عليه السلام «plein de bile»، أي «مَلِيئاً بالمِرَّةِ» التي تفرزها المَرَارَةُ.[13] لكن تجب المبادرة بالإشارة إلى أن حميد الله نفسه لم يطمئن إلى ترجمته، فعلق عليها بقوله في الهامش: «إنها ترجمة حرفية، مفادها أن جبريل ذو قوة وشجاعة، حسب المفسرين». والصواب، كل الصواب، هو أنه كان من الممكن له أن يتلافى خطأه ويتدارك احتياجه إلى التعليق، وذلك بإمعان النظر في التفاسير وبالرجوع إلى أمهات المعاجم العربية، وفي النهاية باختيار مفهوم المِرَّةِ في سِيَاقِهِ القرآنيِّ من الآية المترجمة، وهو المفهوم الذي تَعْلَمُونه. والنموذج الثاني من الأخطاء أخطر من الأول بكثير، وهو الذي أتى به المستشرق الكبير «Jacques Berque» (جاك بيرك) إذ نسب إلى الله عز وجل الحاجة إلى الندم والإنابة والاستغفار، وكأنه، سبحانه، إنسان من البشر؛ ترجم «بيرك» آخر الآية الكريمة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابا﴾ بقوله: «Il aime se repentir».[14] وكان بإمكانه أن يتجنب هذا الخطأ الفادح المسيء إلى جوهر العقيدة الإسلامية، المُضَلِّل لفكر القارئ الفرنسي الراغب في معرفة الإسلام. فلو قال «Il aime absoudre» بدلا من «Il aime se repentir» لأصاب الهدف خير إصابة. ورغم فداحة الخطإ وخطورته، إن لي اليقين أن «Berque» لم يكن في نيته أن يخون الأمانة ولا أن يحرف الكَلِم عن مواضعه قصدا. وإنما سبب خطيئته غير المتعمدة غفلة منه وراءها عدم تمكنه من العربية، أولا، ورواسب معتقداته المسيحية في نفسه، ثانيا، تلك المعتقدات التي تخلط اللاهوت بالناسوت، تُؤَلِّهُ عيسى عليه السلام، وتنسب إليه في آن واحد ضعف البشر وافتقارهم إلى التضرع والتوسل. والعبرة من فحص هذين النموذجين من الأخطاء هي أن ترجمة النصوص الدينية، وترجمة الكتب المنزلة بالأحرى،

تتطلب تضلعا كبيرا من المعارف اللغوية، الصرفية والنحوية والمعجمية، وتتطلب تمكنا قويا من دقائق المعاني وخلفياتها. ذلك هو المقصود من قول الجاحظ: «وكلما كان الباب من العلم أعسرَ وأضيقَ والعلماءُ به أقلَّ، كان أشدَّ على المترجم وأجْدَرَ أن يُخطئَ فيه...».[15]

أما الترجمة الأدبية، النثرية منها والشعرية، فلها مقتضيان آخران. أولهما تبحر المترجم إلى أقصى حد ممكن في الآداب، وثانيهما هو الدربة الكافية والقدرة على ضبط الموازاة بين أدوات البلاغة المتناظرة في اللغتين، المنقول عنها والمنقول إليها، وعلى التصرف في تلك الموازاة حتى تكون وسيلة لتخطي الحرفية كلما ظهر أنها تَشِينُ التعبير أو تشوه المفهوم. فلنضرب لذلك مثلا. إذا كان على المترجم أن ينقل من العربية إلى الفرنسية العَجُزَ من بيت أبي فراس الحمداني: «أرَى أنَّ داراً لستِ من أهْلِها قَفْرُ!»، فيليق به أن يوازيه ببيت «لامارتين» (Lamartine): «Un seul être vous manque, et tout est dé-peuplé»، ويُذَكِّرُ المسْتَمِعَ الفرنسي بذلك البيت، ليجعله يتذوق مباشرة شاعرية أبي فراس. وقس على هذا في توظيف مادون الأبيات الشعرية، من الأمثال والنكت وسائر ضروب الإفصاح، أي مما يجمل القول مترجما دون إخضاعه لحرفية القول المنقول عنه. ولقد سَمَّى أحد الظرفاء من كبار المترجمين العالميين المبادرات من هذا النوع بـ «الحَسْنَاوَاتِ الخَوَاذِل» (Les belles infidèles) في مقالة مشهورة نشرت له سنة 1955.[16] وبها تكون الترجمة الأدبية ترجمة أدبية بحق. ولذا قيل: لا يترجم عن أديب إلا أديب، ولا يترجم عن شاعر إلا شاعر. ومن البديهي أن التكلف في الابتعاد عن الحرفية له مساوئه، بل قد يتفق أن الحرفية تصادف البلاغة في اللغتين من حيث لا يتصور، كأن تترجم مثلا الجملة الفرنسية «Il a fait une brèche à sa fortune» بلفظها إلى العربية: «قد أحْدَثَ ثَلْمَة في مَالِه».[17] لكن قد يكون للحرفية محاذيرُ إن لم تُحْذَرْ قُلِبَ المفهومُ رأسا على عقب، كأن يترجم «هذا يثلج الصدر» بـ «Ceci glace le coeur»، لأنّ الصواب هو: "Ceci réchauffe le coeur". وهنا يتضح تمام الوضوح أن لظروف نشأة كل لغة، حتى المناخية منها، أهميتها في الموازنات الدقيقة التي يقيمها المترجم المبَلِّغ عن الأدباءِ لأدباءَ آخرين، غير زاعم في أن يُعَدَّ منهم، وكأنه قَدِيدِيٌّ وَرَاءَ فُرسانٍ أبطال.

وليس زميله، مترجم العلوم، أحسن حظا منه، مع أنه مطلوب منه أن يكون عالما يفقه جيدا ما ينقله من لغة إلى أخرى. نحن اليوم بصدد الترجمة العلمية إلى العربية من اللغات التي لها الصدارة في الميدان. فلو تسمحون أُدْلِي بدلوي في الموضوع لأطرح أسئلة وأبدي ملاحظات، ليس غير. سؤالي الأول هو: هل أدركنا بالفعل عُلُوَّ المستوى الذي ارتقت إليه العلوم العصرية في تشعبها، وتشابكها، وتعقد معطياتها، ودقة أساليبها في البحث والاستنتاج؟ أعتقد أننا، في أغلبيتنا، لمّا ندرك هذه الحقيقة، لأن اعتزازنا المفرط بماضينا، وتَمَدُّحَنَا للعلماءِ من أسلافنا، شغلنا عن تقصي الأمور؛ فكما قال الشاعر:

ألهى بني تغلب عن كلِّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم؛
يُفاخرون بِها مُذْ كـان أوَّلُهُـم يا لَلرِّجَالِ لفَخْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ.

ولهذا لا نُكرِّم كما يجب العلماءَ الأكفاءَ من بني جلدتنا الذين اقتنوا علومهم بإتقانهم لغة أجنبية، ولا نوفيهم حقوقهم، لا المادية ولا المعنوية، فنضطرهم إلى الهجرة، وإلى القطيعة أحيانا، وننتظر أن يقوم بتعريب العلوم من لا علم لهم. وسؤالي الثاني هو: هل من سبيل إلى تنشئة أجيالنا الصاعدة في عقلية علمية غير متأرجحة بين الخرافي والعقلاني؟ أو، بعبارة أخرى، هل عبّدنا للعلم الحديث سبله الفكرية التي لا ينهج إلاّ هي، وهل نهيئ لأنفسنا من أجل ذلك الشجاعة الأدبية والسياسية اللازمة؟... أما ملاحظاتي، فأولاها أن نوعا من الارتجال ساد في تأليف المعاجم؛ فلا ما هو مخزون في التراث استُغِلَّ بطريقة متأنية ورشيدة،[18] ولا ما أُنْشِئَ اعتمد في إنشائه أسلوب مُوَحّد بين الباحثين. والنتيجة أن المترجم يحار فيما يجده من الاختلافات بين القواميس، ولا يجد من المعاجم، الجامعة ولا المتخصصة، ما يشفي غليله، هو المطالب بتجنب كل لبس أو خلط أو تعتيم.[19] وملاحظتي الثانية أن مراعاة مجموعة من خصوصيات اللغة العربية لا تستوجبها الرغبة في الحفاظ على الأصالة فحسب، ولكن يستوجبها أيضا توخي الفاعلية والوضوح في مجال التلقين والتدريس. من المعلوم مثلا أن اللغات الأوروبية تعتمد في خلق المصطلحات التركيب المزجي من جذور يونانية أو لاتينية. ومما هو واقع، وغير مصرح به، هو أن تكاثر المصطلحات المركبة بهذه الطريقة صار عائقا للطلبة الغربيين أنفسهم عن

استيعاب المفاهيم العلمية بيسر، منذ أن تخلت المدارس والمعاهد عن تدريس اليونانية واللاتينية لطلبة العلوم. فهَلاّ يولي علماؤنا ولسانيونا الأسبقية للتركيب الإضافي في خلق المصطلحات، فتكون معانيها واضحة لا غبار عليها، يفهمها الجمهور من الناس فضلا عن طالبي العلم؟![20] وقس على هذا في وجوب استغلال الخصوصيات العربية بطريقة رشيدة من أجل تبسيط المفاهيم العلمية.

وبعد هذا الاستطراد الذي أستميحكم عنه كل عذر، أعود إلى موضوعي الأول، ألا وهو وضع المترجم بين المثقفين والعلماء والباحثين، وَأملي معقود على أن يقام للترجمة اعتبارها، وأن يشجع شبابنا على اقتناء العلوم الحديثة باللغات التي هي في خدمة الفكر العلمي الجديد، حتى يكثر عندنا العلماء والمترجمون الأكفاء، وتحدث، في أقرب وقت ممكن، معاهد عليا للترجمة العلمية الرفيعة. وحبذا لو يدرك المثقَّفونَ الغُيُرُ على لُغَتِهِم أن الترجمة المتقنة العالية المستوى هي وحدها الضامنة لتمكين العربية من تبوُّئ مرتبة اللغات العلمية السائدة اليوم. وحبذا لو يتعود الناس في مجتمعاتنا المتخلفة تقدير المترجم واعتباره سفيرا يَسْفُرُ بين ثقافاتهم الأصلية، المحتاجة إلى تطوير، وبين الثقافات المهيمنة بفضل تفوقها العلمي. ومن الحيف على الترجمة والمترجمين أن نَتَبَنَّى مثلا إيطاليا قيل في ظروف غير ظروفنا، بدوافعَ دينية موروثةٍ عن العصور الأولى لدينٍ غيرِ دينِنَا. فهل من أديبٍ يَجِدُ لهُ بَدِيلاً فِيهِ حَفْزٌ لا تَثْبِيطٌ؟.[21]

المراجع والتعاليق

(1) الجاحظ، في «كتاب الحيوان» حسب ما نقله عنه الأستاذ محمد العربي الخطابي في مصنفه «جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة»، الجزء الثاني، الصفحة 443؛ منشورات الإيسيسكو، 1993.

(2) «البيان والتبيين»، الجزء الأول، الصفحة 378، مطبعة «الاستقامة» بالقاهرة، 1956 (الطبعة الرابعة). والأديب الذي أعجب به الجاحظ لبلاغته في لغتين، هو موسى بن سيّار الأسواريّ.

(3) "L'histoire mondiale de l'éducation", publiée sous la direction de Gaston Mialaret» et Jean Vial, Ed. Presses Universitaires de France, 1981.

الجزء الأول، من الصفحة 39 إلى الصفحة 62.

(4) حسب ما أورده M. A. Bailly في معجمه الكلاسيكي اليوناني الفرنسي (ص 1190)، الطبعة الحادية عشرة (1894) Librairie Hachette, Paris. وقد استند المؤلف (Bailly) إلى ما جاء في نشرة الأكاديمية الملكية البروسية لمؤلفات أرسطو، 1831، و1870.

(5) "Histoire ancienne de l'Afrique du Nord", de Stéphane Gsell, Tome VIII, Librairie Hachette, paris (1928)، الصفحات 260, 261, 262, 263.

(6) في الموضوع مؤلفان اثنان أهمهما وأقدمهما: "Etude sur la langue et la grammaire de Cicéron", de J. Le Breton, E. Hachette, 1901.

(7) أورد قول Martinet هذا Georges Mounin في مؤلفه: "Les problèmes théoriques de la traduction" Edition Gallimard, 1963. (ص. 7).

(8) هناك من يدعو إلى إحداث فرع في اللسانيات يسمى بعلم الترجمة "la traductologie". يراجع في الموضوع كتاب Georges Mounin الذي عنوانه "Les problèmes théoriques de la traduction" نشر Gallimard، 1963، الصفحتان 12 و13. وللتوسع في الموضوع: 1) كتاب J. R. Ladmiral، بعنوان "Théorèmes pour la traduction"، نشر Payot, 1979. - 2) كتاب M. Pergnier الذي عنوانه: "Les fondements socio-linguistiques de la traduction"، نشر Champion, 1979.

(9) الكلمة «اللغة ليست كيسا مليئا بالألفاظ» للساني L. S. Harris، أوردها G. Mounin في مؤلفه السالف الذكر، ص 26.

(10) قال "Quine" هذا في مقال له نشر سنة 1959، استند إليه Mounin، ص 178. أما الأصل، فبالإنجليزية، صدر في مجلة "On translation".

(11) كتب هذا Dominique Aury في ما قدم به لـ Mounin.

(12) أنظر ما ورد في "Histoire générale des civilisations" الذي ألف تحت إشراف Maurice Crouzet، المجلد الثاني "Rome et son empire"، نشر "Presses Universitaires de France" 1967، الصفحتان 496 و497. وقد رسخ في أذهان الأدباء الفرنسيين، على الخصوص، أن المترجم خؤون قول Du Bellay، في القرن السادس عشر: «يجدر أن يسمى بعض الناس «خونة» لا «مترجمين»، إشارة منه بلفظة "Traditeurs" (بمعنى خونة) إلى النصارى الذين سلموا الإنجيل للوثنيين.

(13) «القرآن المجيد، مع معانيه بالفرنسية»، نقله وحشاه محمد حميد الله، بمساعدة م. الليتورمي، نشر «مؤسسة الرسالة» بيروت، 1981، الطبعة الحادية عشرة، ص 700.

(14) "Le Coran", essai de traduction de l'arabe..., par Jacques Berque, Ed. Sindbad, 1990, p. 703.

(15) «كتاب الحيوان»، انظر ما جاء في العدد 1 من هذه التعاليق.

(16) Georges Mounin, "Les Belles infidèles" in "Cahiers du Sud", 1955.

(17) راجع «لسان العرب» لابن منظور، لفظة «الثلمة» في مادة «ثلم»، وراجع "Le Dictionnaire Alphabétique et Analogique" لصاحبه Paul Robert، نشر Le Robert، لفظة "brèche".

(18) مثلا، في ما يهم المصطلحات الطبية جاءت المعاجم الحديثة بـ: «الجلبة» (Reig)، و«الندبة» (جبور عبد النور وسهيل إدريس)، و«الخشكريشة» و«الخشارة» (المعجم الطبي الموحد)، وذلك مقابل لفظة

"escarre" الفرنسية و"eschar" الأنجليزية، بينما"l'escarre" بالعربية الفصحى هي «الناقبة»، كما عرفها «لسان العرب»: «داء يأخذ الإنسان من طول الضجعة». وجاء أحد هذه المعاجم (جبور وإدريس) بالشرح الآتي «عينان مختلفتا اللون» مقابل النعت الفرنسي "vairon" الذي معناه «أخيف»، من «الخيف» وهو أن تكون إحدى عيني الإنسان أو الحيوان في لون والأخرى في لون آخر. وقد كان أبو بكر، رضي الله عنه، أخيف («لسان العرب»، مادة: خيف). وقد أهملت المعاجم الأخرى لفظة «vairon» وتجاهلتها. كما أهملت هذه المعاجم كلها مفهوم "présentation par le siège" الذي يكون في الولادة، وهو ما سمي في العربية الفصحى بالولاد المنكوس. وسمي الولاد الذي تخرج فيه رجلا المولود قبل رأسه باليتن. تقول: أيتنت المرأة، أي ولدت يتنا. والمولود ميتون أو موتن (لسان العرب، مادة: يتن). وقس على هذا في ما أهمل فصيحه من جراء التسرع في إيجاد المصطلح، في الطب وغير الطب من العلوم.

(19) تجد مثلا في أحد المعاجم السالفة الذكر (جبور وإدريس): «جواد رديئ» مقابل «canasson». كيف يا ترى يمكن التوفيق بين الجودة والرداءة في الفرس؟! والصواب في ترجمة "canasson" هو: البرذون. وقد أحصيت على هذا المعجم نفسه عشرات الأخطاء، إذ كثيرا ما تختلط على صاحبيه أسماء النباتات والحيوانات والصخور... إلخ...، فيتصرفان تصرفا عشوائيا. لقد ترجما "cheville" بالعرقوب؛ والصواب هو الكعب. وترجما "fossette" بحفيرة؛ والصواب هو «الغينة» وهي التي تحدث للصبي في أسفل خده حينما يضحك؛ و«النونة» هي النقبة في الذقن. وحتى بعض الكلمات التي أشارا إلى أنها من أصل عربي لم يرداها إلى أصلها الصحيح؛ ذكرا مثلا «شمل» مقابل "smala"، والصواب هو أن "la smala" مفرنس عن «الزملة»..... وترجما "l'alpiste" بالبشنة، والصواب هو: الزؤان. وترجما "le tuf" بالفليس، والصواب هو: الرخفة (القاموس المحيط، مادة رخف)....

(20) ما الضرر في أن يقال «مخطط كهربائية الدماغ» و«مخطط كهربائية القلب»، مقابل "électroencéphalogramme" و"électrocardiogramme"؟ وقس على هذا. الفائدة في توخي الوضوح.

(21) لو كنت شاعرا لنظمت قصيدة مطولة أشيد فيها بأهمية الترجمة، وبفضل المترجم على الثقافات المختلفة، وبتواضعه الصادر عن فهمه لشيء أساسي، هو أن المقارنة بين اللغات والحضارات تدعو إلى الإمساك عن إصدار الأحكام مجازفة. ولا يمنعني كوني غير شاعر من أن أعارض بيتا لشوقي قائلا:

حي المترجم، وفه التقديرا صار المترجم للعلوم سفيرا.

أهمية الترجمة في نشر العلم ورفع مستوى التعليم

محمد هيثم الخياط

قد يبدو غريبا هذا العنوان الذي اختارَه لمحاضرتي اليوم، أستاذُنا الدكتور عبد اللطيف بربيش. فماذا الذي بقي لنا أن نقوله ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، عن أهمية الترجمة في نشر العلم ورفع مستوى التعليم؟!

على أنها غرابة لا تلبث أن تنقشع حينما نستذكر أننا نتحدث عن هذه الأمة التي تنتمي إلى اللسان العربي، وتتحدث - قالوا - بلغة العرب، وتجتر أمجادا صنعتها أمة غبرت، لا يكاد يصل بينها وبينها إلا وشيجة نسب أرماث، يوشك أن لا يكتشفها المرء إلا بشق الأَنفس.

وإنما أعني بالأمة التي غبرت، تلك الأمة الوسط، التي تربعت على عرش العلم والحضارة سبعة قرون وسطى مزدهرات، حفظت للبشرية فيهن حكمة الأولين والآخرين.. لا يضرها من أي وعاء خرجت، وأفاضت على الدنيا من الإبداع كله والخير كله، ما مكن العالم الآخر الذي أصبح يقال له العالم الأول، من أن يخرج من مدلهمّ ظلماته التي تخبط فيها طوال قرونه الوسطى النحسات، ويتبوأ مكانة الوارث لهذه الحكمة والعلوم والإبداع، بل مكانة السيد الفرد الذي يريد أن يَحْتَجِن لنفسه العلمَ كل العلم، والحكمةَ كل الحكمة، ويلقي إلى العالم الثالث الذي هو نحن بفُتات موائده، ويسمح - إن سمح - له بنقل

محصول العلم الذي يقال له التكنولوجيا، ضنينا عليه بنقل حاقّ العلم، كاتما ما آتاه الله من فضله.

أما هذه الأمة التي نحن منها، فهي خَلْق جديد، بدأ يتولد مع انهيار ملك العباسيين بالمشرق والموحدين بالمغرب، وتلك أواخر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. ولقد واصل هذا الخلق تولّده، بل قل: امّساخه، سبعة قرون عجافا حتى بلغ طور الإنسان العربي في مطالع هذا القرن.. وهو إنسان قابع، قانع بما يتناثر عليه من فتات الآخرين.. إنسان لم يُهزم أمام الآخرين بقدر ما هُزِم أمام نفسه.. ولقد زاد من وقع هذه الهزيمة وساهم في ترسيخ عقابيلها، أنه حين أفاق من صدمتها بعد سبات عميق، وجد نفسه في مواجهة حضارة جبارة تتضاخم وتتعاظم بسرعة لا يكاد يلحق بها الخيال، وظن أن لا طاقة له بهذا الجالوت وجنوده، فقنع من الغنيمة بالإياب، وأخلد إلى الأرض، وأصبح قصارى ما يطمح إليه أن يعيش طفيليا على هذا المخلوق الجبار الذي أصابه بالانبهار.

أصبح كائنا من نمط الفَيْروس، لا يستطيع أن يعيش إلا متطفلا.. يعتمد في جل تفاعلاته الحيوية على مادة جينية يستمدها أو يستعيرها من الكائن الضخم الذي يتطفل عليه، من أجل أن يتكاثر ويتكاثر ويعيش ويعيش بلا هدف.. بلا أمل في أن يستطيع الاستقلال بنفسه.. أصبح مرتبطا بالكائن الذي تطفل عليه، إن سار سار معه نحو غاية لا شأن له بها، وإن انحرف انحرف معه!

هكذا أصبح الإنسان العربي والإنسان المسلم في أَخَرة قرونه الوسطى السبعة العجاف.. فقد زمام المبادرة.. أصبح فيروسا حضاريا ينخر في جسم الحضارة ولا يستطيع أن ينهض بنفسه.

أصبح قصارى أمله اليوم أن ينقل التكنولوجيا.. أي أن ينقل ما ابتكره غيره، أما أن يحوز العلم نفسه الذي أبدع هذه التكنولوجيا، فهذا أمر لا يخطر له على بال!

أصبح قصارى منشوده أن يجيد لغة عملاق الحضارة، حتى يستطيع أن ينقل من فتات هذه الحضارة أقصى ما تسمح به طاقة الرمّام Saprophyte، أما أن يجعل لغته لغة حضارة بحيث يبدع كما أبدع الآخرون، فهذا أبعد الأشياء عن منطق نفسية المهزوم.

بل أصبحت أي خلية من خلاياه تحاول أن تفعل شيئا يوحي بإمكان أن يعيش مستقلا عن ثويّه الذي يتطفل عليه، محط استهجان واستنكار.. كيف تجرؤ على أن تخل برقاده الذي اطمأن به، أو أن تفسد عليه لذة سباته العميق.

وحتى لو أتيح لهذه الخلايا الصاحية أن تنجو من استهجانه واستنكاره، فإن العملاق الذي يعولها لا يلبث أن يبطش بها بطشة تدع الحليم حيران.. حدثت هذه الصحوات مرارا هنا وهناك في أثناء حقبة الامّساخ، ولكن الجالوت الحضاري عاجلها بضربات قاسيات قاضيات..

وقد كان من أبرز هذه الصحوات قبل قرنين، تلك الصحوة التي حمل لواءها البغدادي صاحب «الخزانة»، والزَّبيدي صاحب «تاج العروس»، والجَبَرْتي الكبير صاحب المخترعات الميكانيكية والصنائع الحضارية التي تعلمها منه طلاب الإفرنج، «وذهبوا إلى بلادهم - كما يقول الجبرتي الإبن المؤرخ - ونشروا بها العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من القوة إلى الفعل [أي حولوه من العلم إلى التكنولوجيا]، واستخرجوا به الصنائع البديعة».

هذه الصحوة أحس بها - يبدو - ذلك الطاغوت الماجن نابلْيُون، فأجلب عليها بخيله ورَجله، وغزاها بأساطيله وجحافله، واستطاع أن يقضي عليها بكل شراسة. فكان يأمر عند مطلع كل شمس بِقتل خمسة أو ستة من التلامذة النابهين لهؤلاء العلماء الأعلام، ثم طلب من خليفته الهالك كليبِرْ - في ما كتب إليه - أن يجمع خمسمئة أو ستمئة من المماليك أو العرب [أي الأعراب] ومشايخ البلدان، ويسفّرهم إلى فرنسا، ليحجزوا فيها عاما أو عامين يشاهدون فيهما عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على لغتها وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر كان له منهم حزب يضم إليهم غيرهم. ولما غادر الفرنسيون مصر صاغرين، حملوا معهم - كما يقول أمين سامي باشا في «تقويم النيل» -

«الأوراق والكتب؛ ليس التي تخصهم فقط بل كل ما يرونه نافعا!!». ثم يقولون لنا: إن نابليون هو الذي فتح أعين هذه الأمة على حضارة الغرب وهو الذي أدخل المطبعة إلى بلادنا، مع أننا نجد اليوم بين أيدينا كتابا مما طبع بمحروسة حَلَب المحمية، من بلاد الشام، سنة ست وسبعمئة وألف مسيحية، أي قبل أن يخلق نابليون هذا بثلاث وستين سنة!

هكذا فرّغ هؤلاء أمتنا الممسَّخة من مجدديها الحقيقيين، وجردوها من الأوراق والكتب وكل ما يرونه نافعا، ثم أخذوا أناسا من بني جلدتنا فلقنوهم ثقافتهم هم، وأعادوهم إلينا بما يراد به القضاء على ما تبقى، إن كان قد بقي لنا شيء.

* * *

وأنا أرجو أن لا أكون قد أمللتكم بهذه المقدمة الطويلة، و«الملل من كواذب الأخلاق» كما قال سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولكني رأيت - وأرجو أن أكون مصيبا - أنه لابد من وضع الأمور في مواقعها الصحيحة قبل أن نعالج موضوع الترجمة الذي نحن بصدده.

ذلك أنه قد سبق لأمتنا تلك التي غبرت، أن خاضت تجربة رائدة في الترجمة، لعلها أروع وأغنى تجربة من هذا القبيل في تاريخ الفكر الإنساني كله. وهي تجربة دامت ثلاثة قرون كاملة، امتدت من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي، ثم أعقبتها في اتجاه معاكس تجربة أخرى نقلت علوم العرب إلى اللاَّتِين على مدى قرنين من الزمان، هما القرنان الميلاديان الثاني عشر والثالث عشر. وفرقٌ ما بين التجربتين كبير.

فقد بدأت أمتنا تلك تنفتح على العالم من حولها وهي في مرحلة نضج ثقافي وعلمي ظاهرين. وعن قصد مّا أقول «ثقافي» و«علمي»، مميزا - كما ينبغي أن يكون - بين الثقافة وبين العلم، إذ الثقافة مقصورة على أمة بعينها، والعلم مشاع بين خلق الله جميعا، يشتركون فيه مهما اختلفت الملل والعقائد.

والثقافة بالنسبة إلى الفرد تعني أصولا ثابتة تنغرس في نفس «الإنسان» منذ مولده ونشأته الأولى حتى يشارف حد الإدراك البيّن، جماعها كل ما يتلقاه

عن أبويه وأهله وعشيرته ومعلميه ومؤدبيه، حتى يصبح قادرا على أن يستقل بنفسه. فإذا استقل، استبد عقله بتقليب النظر، وإعمال الفكر، وممارسة التنقيب والبحث، ومعالجة التعبير عن الرأي. وللغة دورها الأكبر في ترسيخ الأصول التي تنغرس وإيصال المعارف الأولى التي تعين على التواصل.

هذا ما كان من أمر ثقافة الفرد. أما ثقافة الأمة فهي حصيلة ثقافات أبنائها، المثقفين بقدر مشترك، وهي مرآة جامعة، في حيّزها المحدود. كل ما تشعَّث وتشتت وتباعد من ثقافة كل فرد من أبنائها، على اختلاف مقاديرهم ومشاربهم ومذاهبهم ومداخلهم ومخارجهم في الحياة. وجوهر هذه المرآة هو اللغة. وللدين في ثقافة الفرد وثقافة الأمة شأن كبير ودور رئيس، كتابيا كان الدين أم وثنيا أم غير ذلك. حتى لقد قال «إليوت» بحق إن ثقافة الشعب ودين الشعب مظهران مختلفان لشيء واحد، لأن الثقافة في جوهرها تجسيد لدين الشعب.

والثقافات المتباينة تتحاور وتتناظر وتتناقش، ولكنها لا تتداخل تداخلا يفضي إلى الامتزاج البتة، ولا يأخذ بعضها عن بعض شيئا إلا بعد عرضه على أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، فإن استجاب لأسلوبها قبسته وعدّلته وخلصته من الشوائب، وإن استعصى نبذته واطّرحته اطّراحا.

والناظر في ثقافة أمة أخرى غير أمته، إنما ينظر فيها لأحد أمرين: إما ليكسب منه شيئا لأمته وثقافته، وإما ليناظر ويناقش. وهو في كلا الأمرين واقع في مأزق ضيق: مأزق اللغة ومأزق الثقافة. لا يستطيع أن يأخذ إلا بمقدار ما فهم من لغة غريبة أصلا عن لغته، ولا يستطيع أن يناقش إلا على قدر ما يتصور أنه استبانه وأدركه من ثقافة غريبة عن ثقافته.

وأعود إلى أمتنا التي زعمت أنها انفتحت على العالم من حولها، وهي في مرحلة نضج «ثقافي» و«علمي» ظاهرين.

أما الثقافة فقد أنضجها الإسلام، بعد أن قطع كل صلة لهذه الأمة بمعاملات الجاهلية وثارات الجاهلية ومآثر الجاهلية، وأحل محل ذلك ثقافة قوامها كتاب، يأمر أول ما يأمر بالقراءة، ويقسم أول ما يقسم بالقلم والكتابة،

ويدعو في كثير من آياته إلى التفكير والتنقيب والبحث في الكون والكائنات، ويفاضل بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وبين الذين أوتوا العلم والذين لم يؤتوه.. ومؤدّي هذا الكتاب رسول يفضل مجلس العلم على مجلس الذكر، ويقسم الناس إلى عالم ومتعلم وهَمَج لا خير فيه، ويوازن بين مداد العلماء ودماء الشهداء، ويجعل الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى بها.

وأما العلم فقد كان منه بادئ ذي بدء علوم مبتكرة تنظم ضوابط اللغة التي هي قوام الثقافة.. وتلك علوم اللغة والنحو والعروض؛ وكان منه علوم تحدد التعامل على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.. وذلك هو علم الفقه؛ وكان منه علوم تضبط فهم مصادر الفكر والتشريع والسلوك وتكفل سلامة النصوص الناظمة لجميع شؤون الحياة.. وتلك علوم التفسير والحديث.. وكل أولئك علوم عربية إسلامية بحتة، أبدعتها عقول أبناء هذه الأمة على غير مثال سبق.

وهذا هو النضج العلمي والثقافي الذي أتحدث عنه. فهذه العلوم الخاصة التي ابتكرتها هذه الأمة، وابتدعت أصولها ومناهجها، وأرست لها أركان النهج الفكري المستقيم، ونواظم إعمال العقل إعمالا ليس له حدود.. أقول: هذه العلوم الخاصة الأصيلة أعدّت هذه الأمة لاستقبال العلوم التي لم يكن لها بها عهد. وتلك الثقافة التي كانت تهيمن على الضمائر والمواقف، جعلت الأمة تنفتح على الثقافات الأخرى بلا حرج ولا عُقَد، ولكنها جعلتها كذلك تقف منها موقف العالم المتبصر وموقف الناقد المستنير. فلم تأخذ من الحضارة اليونانية مثلا شيئا من أدب اليونان ولا شعرهم ولا فنهم ولا دراماهم ولا ميثولوجيتهم، ولكنها اغترفت من هذه الحضارة ما استطاعت من علوم الطب والطبيعة، وتخيرت وانتقت ما شاءت من الحكمة والفلسفة.

* * *

وقد كان عجبا من العجب لم يشهده التاريخ من قبل أو بعد، أن أمة فاتحة تملي شروط الصلح على المغلوبين فتطلب إليهم أن يقدموا لها كتب العلم والفلسفة غرامة حربية.. هذا ما فعله العرب في صلحهم مع الروم، وهذا وحده دليل قاطع على أنهم كانوا على استعداد لقبول هذه العلوم، وأنهم كانوا على

قدر من التقدم الفكري يسمح لهم باستيعاب هذه العلوم، بل غربلتها وانتخالها، بل تثوير أعماقها والخروج منها بمبتكرات لم تخطر على البال.

ويمكن أن نلاحظ أن الحركة العلمية في الإسلام سبقت الدراسات الفلسفية. ويوم أن استقر العرب في بلاد فارس ومصر، لفتت أنظارهم حركات علمية في جنديسابور وحرّان والاسكندرية. فحاولوا أن يفيدوا منها، وشغلوا أولا بما تقتضيه ظروف الحياة. وإنك لترى خالد بن يزيد الأموي يعنى في عهد مبكر بالكيمياء والطب والفلَك ويأمر بعض المتخصصين بمصر بترجمة رسائل فيها عن اليونانية أو القبطية. ثم ترى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، يأمر «ابن ماسرجويه» بترجمة كتاب «أهرن القس» في الطب. ويوم أن اتجه المنصور نحو مدرسة جنديسابور التي أسسها كسرى أنوشروان، إنما كان يبحث عن أطباء لا عن فلاسفة، وقد اهتدى إلى بني بختيشوع الذي كان لهم شأن في نشأة الدراسات الطبية العربية، وإسهام في حركة الترجمة الكبرى، كما قام في أيامه عبد الله بن المقفع بنقل كتب في المنطق والطب كان الفُرس قد نقلوها من اليونانية، كما نقل يحي بن البطريق كتبا كثيرة لبُقْراط وجالينوس، أمره المنصور بنقلها.

وحركة الترجمة الكبرى هذه مدينة بوجه خاص لرجال الصدر العباسي الأول. فقد جعلوا بغداد مركزا لحركة من أكبر حركات الترجمة في التاريخ. وكان المترجمون أنفسهم روادا في ميدان البحث العلمي. فيوحنا بن ماسَوَيْه كان طبيبا، ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد في كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمّورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، ورتب له كُتابا حاذقين بين يديه. وحُنَين بن إسحاق العبادي شيخ المترجمين في الإسلام طبيب، تمكن من اللغات السريانية والفارسية ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام سنتين في بيزنطة تعلم فيهما اللغة اليونانية وأدبها وحفظ إلياذة هوميروس. ثم ذهب إلى البصرة وتلقى العربية على خير علمائها الخليل بن أحمد، فانتهت إليه رياسة العلم بين المترجمين مع إحكامه العربية، وكان فصيحا بها شاعرا. واتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة. وقد

تخصص في ترجمة كتب بُقراط وكتب جالينوس، وجمع منها أكبر عدد ممكن، كما راجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه وهي ستة إلى السريانية ونحو من سبعين إلى العربية. وثابت بن قُرّة رياضي ومترجم، ويكاد يتخصص في ترجمة كتب إقليدس وأرخميدس وبطلميوس. كذلك قام قُسْطا بن لوقا البعلبكي بنقل كتب كثيرة من اليونانية إلى العربية، أحصاها ابن النديم بخمسة وثلاثين كتابا. وقد سبق لقسطا بن لوقا هذا أن رحل إلى بلاد الروم في طلب العلم وكان عالما باللغات اليونانية والسريانية والعربية. ولم يكن غريبا أن يُعنى الكندي، أول مشّائي العرب، بالرياضيات والفلك والكيمياء، فقد عاصر هؤلاء المترجمين وعاش معهم.

ويبدو أن الترجمات السريانية لكتب بقراط وجالينوس لم تكن دقيقة ولا واضحة. ولما بدأ العرب الترجمة نقلوا عن السريانية بعض هذه الترجمات. ولا يخفى أن الترجمات المزدوجة كثيرا ما تدعو إلى الغلط والغموض. ولم يلبث العرب إلا قليلا ثم عرفوا ما في الترجمات السريانية من ضعف، فَعَدلوا عنها وأقبلوا على الكتب اليونانية ينقلونها إلى العربية مباشرة. وقد كان ذلك منهم أمراً في غاية الحصافة والحرص على سواء الصراط. ثم كان ما صنعه حُنَين بن إسحاق أمرا سديدا كذلك. فقد أتقن اليونانية على أهلها. وأتقن العربية على خير علمائها، وأتقن الطب إتقانا صالحا. ومن أجل ذلك جاءت ترجمته لبقراط وجالينوس ترجمة صحيحة مفهومة. ولم يحدث مثل ذلك في صقلية والأندلس، حين قام بعض المترجمين بنقل الكتب العربية إلى اللاتينية دونما تمكن من اللغة ولا العلم، فجاءت ترجمتهم مشوهة مملوءة بالخطأ.

وقد نبه على ذلك الجاحظ في كتاب «الحيوان» فقال: «ثم قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له: إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيّات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجَرِيّ؛ وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها،

وتأويلات مخارجها، مثل مؤلف الكتاب وواضعه. فمتى كان رحمه الله تعالى ابن البطريق، وابن ناعمة، وابن قرة، وابن فِهريز، وَثِيُفيل، وابن وُهيلى، وابن المقفع، مثل أرسطاطاليس؟ ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟».

ثم قال: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية. ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها. وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة؟ وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليها. وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء». كذا قال.

* * *

ما يهمنا أن علماء هذه الأمة وقادتها اتفقوا على ضرورة نقل هذه الكتب إلى العربية، ولم يخطر ببال أحد منهم – في ما نعلم – أن يأمر بنسخ هذه الكتب بلغاتها الأصلية نسخا متعددة، تكون في متناول طلاب العلم، كما لم يخطر ببال أحد منهم – في ما نعلم أيضا – أن يأتي بأساتذة من السريان أو اليونان، يلقون على طلابهم العرب دروسا في هذه العلوم باللغة السريانية أو اليونانية، بَلْهَ أن يقوم أساتذة من العرب بتدريس تلامذتهم هذه العلوم بالسريانية أو اليونانية.. بل إننا لنزعم أن لو جمح الخيال بأحد الناس فدعا إلى مثل ذلك، لظنه الناس جميعا ممرورا أو موسوسا أو مخبولا، ولأودعوه بيمارستانا من بيمارستانات المجانين. أما العقلاء فإنما يدعون إلى نقل هذه العلوم بالترجمة المجوّدة إلى لسان العرب، بحيث يستطيع الناس جميعا قراءتها وفهمها واستيعابها والاستفادة منها. ولست أعني بالعقلاء عقلاء ذلك العصر وحده، فهذا عاقل من عقلاء عصرنا هذا، وهو الأستاذ الكبير أحمد حسن

الزيات طيب الله ثراه، يقول في رسالة بعث بها قبل نصف قرن إلى وزير المعارف المصرية آنذاك:

«إن العلوم اليوم أوروبية وأمريكية ما في ذلك شك، وإن الفروق التي باعدت بين الشرق والغرب في مدلول الإنسانية الراقية إنما يجمعها كلها لفظ العلم. وهذا العلم الذي يسخر السماوات والأرض للإنسان الضعيف، ويذلل القطعان الملايين للراعي الفرد، سيبقى غريبا عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب، ونعممه في شعبنا بالنشر، ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة!».

«فالترجمة إذن هي الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة، وسد النقص في الأدب، وكشف الظلام عن الأمة.. لذلك أرى أن تنشأ دار للترجمة مستقلة.. يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين... ثم يختار لها مئتان على الأقل من المترجمين النابغين في لغتهم وفي اللغات الأوروبية الثلاث، ينقلون الآداب الأجنبية نقلا كاملا صحيحا، فلا يدَعون علَما من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها.. فإذا فرغت [دار الترجمة] من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد، فلا يكون بين ظهور الكتاب في أوروبة وظهوره في مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع.. على أن ما ينفق في سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر في جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة، وتطعيم الأدب، وتعريب العلم، وتعميم الثقافة، وتدعيم النهضة، وتيسير القراءة، وتشجيع القارئ...».

وموقف الأستاذ الزيات هذا، لا يختلف عن موقف خالد بن يزيد، أو المنصور، أو الرشيد، أو المأمون، أو علماء هذه الأمة في جميع العصور، إذ لا يخالف عاقل في أن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة.

ثم إن للموضوع بعدا تربويا لا يقل عما تقدم شأنا وخطرا. فلو أن سائلا

سألك: ما القراءة؟ لكان جوابك: إنها الفهم والاستيعاب. فليست القراءة مجرد عملية بصرية، ولكنها كما يقول كارول Carroll «عملية تتطلب معلومات مرئية ومعلومات لا مرئية non-visual. أما المعلومات المرئية فتأتي من الصفحة المطبوعة، وأما المعلومات اللامرئية فتأتي من الدماغ». وهذه المعارف اللامرئية تتمثل في حقيقة الأمر في نوعين من المعارف، يستمد القارئ معظمها من ثقافته، ونعني بهما: تلك التي اختزنها المرء منذ صغره، وأضاف إليها من تجاربه وتعلمه، وتلك المتعلقة بالنظام اللغوي لديه. فما يضيفه القارئ على النص من خبرته التعليمية، يحدد إلى حد بعيد ما سوف يكتسبه هذا القارئ من النص الذي بين يديه. فالمعنى – كما يقول أوغستاين وتوماس Augstein & Thomas – «ليس موجودا على الصفحة بنفسه، ولكنه يتولد عليها من مادة خام مستقاة من خبرات القارئ». وهذا التولد – كما يقول ويدوسون Widdowson – «عملية ديناميكية تتخلق فيها المعاني أولا بأول».

والذي يدرس نصا علميا بغير لغته، يتعامل مع مفردات النص مفردة مفردة، باذلا جهده في فهم كل منها على حدة بغض النظر عن سياقها. فهو ينصرف إلى دراسة تفاصيل العبارة ولكنه يخفق في أن يستخرج المعنى الكامن في الجملة ككل. إنه – كما يقال – يرى الشجرة ولكنه لا يبصر الغابة. ويزيد الأمر سوءا، أن مثل هذا الدارس يكون بطيء القراءة من جراء ذلك، وذلك ضرب جديد من الإعاقة ينضاف إلى ما سبق. والحق أن إجهاد الذهن في فك الحرف – إن صح التعبير – ينوء بالذاكرة القصيرة الأمد، وبذلك يخرج القارئ من قراءته كأن لم يقرأ.

ليس غريبا بعد ذلك أن نرى الأمم المتقدمة بلا استثناء، تصر على أن يتعلم المرء بلغته التي ارتضع لبانها من لبن أمه. فقد صح عندها جميعا أن الطالب يتلقى العلم تلقيا أفضل بلغته الأم، وأن الأستاذ يوصل إليه المعلومة توصيلا أفضل بلغته الأم كذلك، وأن الاثنين يتمكنان تعلما وتعليما من التواصل والتفاعل والإبداع بدرجة أنجح، بتلك اللغة السارية عميقا في عروقهما، بعيدا عن تشتت الذهن وتمزقه بين دفق المعرفة الجديدة ومغاليق اللغة الغريبة، وبمنأى

عن عقدة الدونية والاستلاب والاغتراب، المتمثلة في ربط العلم باللغة الأجنبية، وربط توافه الحياة اليومية باللغة القومية. كما صح عند هذه الأمم المتقدمة أن العالم لم يستمع إلى أمة تتحدث بلسان غيرها - كما قال ذلك الرئيس الفرنسي السابق فرنسوا ميتران لشعبه المتقدم المتعلم قبل سنين - وأن العلم والثقافة لن يستنبتا في أرض بغير لسانها، وأن التاريخ لم يسجل قط أن أمة من الأمم حققت التنمية والتقدم الحضاري الحقيقي بلغة غيرها من الأمم.

فاستعمال لسان الأمة لابد منه من أجل البيان، الذي ذكره الله سبحانه في مقدمة سورة الآلاء والنعم التي أنعم بها على عباده.. سورة الرحمن.. وقد نقل الجمال القاسمي في «محاسن التأويل» ما قاله الأصفهاني في «الذريعة»: «... قال عز وجل: « خلق الإنسان علمه البيان» ولم يقل: «وعلمه»، إذ جعل قوله «علمه» تفسيرا لقوله «خلق الإنسان»، تنبيها أن خلقه إياه هو تخصيصه بالبيان، الذي لو توهم مرتفعا كانت الإنسانية مرتفعة..» وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾.

* * *

إن اكتساب أمة لعلم عصرها يمر - كما يقول الأستاذ عثمان سعدي - بثلاثة مراحل: مرحلة المضغ، ومرحلة الهضم، ومرحلة التمثل assimilation. وإذا كان يمكن لأمة من الأمم أن تمضغ علم عصرها بلغة أجنبية، وأن تهضم إلى حد ما هذا العلم بلغة أجنبية، إلا أنها لا تستطيع أبدا أن تتمثل علم عصرها إلا بلغتها الوطنية. ولم يتمثل أجدادنا علم عصرهم، إلا بعد أن نقلوه إلى لغتهم، وعلموه بها في مدارسهم حتى تمثلوه، ثم أبدعوا علمهم الذي استقاه الغرب منهم في ما بعد عن طريق الترجمة كذلك.

وقد أسلفت القول في صدر حديثي هذا، أن إنساننا العربي الحديث قد تحول إلى نوع من الفيروس الحضاري، يعيش على بركات عملاق الحضارة، ولا يستطيع أن ينهض بنفسه. وذكرت أن أي خلية من خلاياه تحاول أن تفعل شيئا يوحي بإمكان أن يعيش مستقلا عن ثويّه الذي يتطفل عليه، تصبح محط استهجان واستنكار من سائر خلاياه.. وأنه حتى لو أتيح لهذه الخلايا الصاحية

أن تنجو من استهجانه واستنكاره، فإن العملاق الحضاري لا يلبث أن يبطش بها ويعاجلها بضربات قاسيات قاضيات.

وقد حدث مثل هذه الصحوة الرائعة في مصر، في الربع الثاني من القرن الماضي، يوم أسس محمد علي في أبي زَعْبَل أول مدرسة للطب الحديث سنة سبع وعشرين وثمانمئة وألف. وكان أول ناظر لها هو الطبيب الفرنسي العالم أنطوان كلوت، أو «كلوت بك» كما صار يدعى بعد ذلك. وقد كان رأي «كلوت بك» أن التعليم ينبغي أن يكون بالعربية، «لأن التعليم بلغة أجنبية - على حد قوله - لا تحصل منه الفائدة المنشودة، كما لا ينتج عنه توطين العلم أو تعميم نفعه»، لله در هذا الرجل العظيم ما كان أثقب نظره، وأصوب رأيه، وأخلصه لحق العلم عليه إخلاصا لا تكدره شائبة من شوائب العصبية لقومه ولسانه. بل ما كان أعلى همته، وأقدره على النهوض بتحد عجيب. فقد كانت الكتب المدرسية التي بين يديه كلها فرنسية، والأساتذة أكثرهم فرنسيين. وكانت المشكلة الأولى هي الترجمة إلى العربية. ولم يجدوا مصريا يتقن لغة أوروبية إلا رجلا من آل عنحوري وهو سوري يعرف الإيطالية فقط. فترجموا له الكتب الفرنسية إلى الإيطالية أولا، ثم قام هو بترجمتها من الإيطالية إلى عربيته الركيكة، وكُلِّف عالم من الأزهر هو الشيخ محمد الهواري، يعاونه آخرون بتهذيبها وصقلها. وكان عدد الكتب المترجمة اثنين وخمسين كتابا. أما الدفعة الأولى من تلاميذ المدرسة الجديدة فقد اختيروا من بين طلبة الأزهر، وكان الأساتذة يلقون المحاضرات بالفرنسية ويقوم تراجمة بترجمتها ترجمة فورية. ولم يغفل كلوت بك عن أهمية إتقان لغة أجنبية كلغة متابعة وتعلم لا كلغة تعليم، فأمر بتعليم الطلاب اللغة الفرنسية وعهد بذلك إلى المسيو أوتشيلي.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ثارت فتنة أكاديمية، عندما أشاع أحد أعداء كلوت الفرنسيين، وهو الدكتور هامو عميد كلية الطب البيطري في باريس، أن كلوت يسرب أسئلة الامتحان لطلبة مدرسته الجديدة قبل الامتحان. فما كان من كلوت بك إلا أن أوفد إلى باريس مجموعة من اثني عشر خريجا من خريجي مدرسته، معممين مقفطنين، حيث امتحنهم نخبة من أبرز علماء فرنسا، وكانت

أسئلة الأساتذة وإجابات الطلبة كلها باللغة الفرنسية. وانتهت المواجهة بخطبة عصماء ألقاها الطبيب الأشهر «دوبويتران»، هنأ فيها كلوت ومدرسته وتلاميذه بالمستوى الرفيع الذي حققوه. وبقي طلاب هذه البعثة في فرنسا لاستكمال دراساتهم حتى يعودوا إلى وطنهم ويقوموا بالتدريس بلغتهم، ويترجموا الكتب الأجنبية إلى العربية. وقد قام الأساتذة المصريون الرواد بترجمة معجم فرنسي في المصطلحات الطبية إلى العربية يعاونهم عدد من المصححين المتعمقين في العربية، واستخرجوا من «القاموس المحيط» كل ما يدل فيه على مرض أو نبات أو حيوان أو معدن، وأدخلوا من ذلك طائفة من المصطلحات في المعجم؛ وكلف من بين المصححين محمد بن عمر التونسي باستخراج ما في «قانون» ابن سينا و«تذكرة» داوود الأنطاكي من التعريفات وضم ذلك إلى المعجم.

وبعد عشر سنوات من إنشائها، نُقلت مدرسة الطب المصرية إلى قصر العيني، وأصبح عدد طلابها خمسمئة. وفي السنة التالية أنشئت مدرسة للقابلات. وبلغ عدد خريجي مدرسة الطب في عهد محمد علي ألفا وخمسمئة طبيب. أما الكتب الطبية المترجمة إلى العربية فقد بلغت ستة وثمانين كتابا، طبعت بمطبعة بولاق بمعدل ألف نسخة من كل كتاب، وأرسل الكثير منها إلى اسطنبول والجزائر وتونس ومراكش والشام وفارس.

ثم وقعت الواقعة، وسيطرت القناصل ابتداء من أواخر عهد محمد علي، فلما هلك وتولى بعده عباس، أصيبت المدرسة الطبية بنكسة، إذ حاول عباس أن يهدمها بناء على نصيحة بعض القناصل. واستقال كلوت سنة تسع وأربعين، ومرت المدرسة تحت إدارة ألمانية، ثم أخرى إيطالية، وتدهورت فأغلقها سعيد عندما تولى الحكم، ثم أعادها يحاول إصلاحها، وبدأ يوفد البعثات إلى أوروبا ثانية.

وفي عهد إسماعيل عاد للمدرسة مجدها، فتولى رئاستها الدكتور محمد علي البقلي باشا بين عامي ثلاثة وستين وتسعة وسبعين، وأصبح التعليم كله بالعربية، والأساتذة عدا واحدا كلهم مصريين. وأنشئت مجلة طبية شهرية هي أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية بل أول مجلة باللغة العربية على الإطلاق،

تطبع بمطبعة بولاق الأميرية، سموها «اليعسوب» أي ملكة النحل، وكان شعارها: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾.

ثم جاءت الطامّة، واحتل الإنكليز مصر سنة اثنتين وثمانين، ولم يلبثوا – سنة سبع وثمانين – أن حولوا لغة التعليم إلى الإنكليزية وجعلوها بإشراف مدير إنكليزي.

ولم يكن ذلك كما يزعم بعضهم بسبب تفشي الفساد في تلك المدرسة وتدهور حالها، إذ لو كان ذلك حقا لتم إصلاحها بتطهيرها من الفساد. ولكنها ضربة جديدة من ضربات الجالوت البغيض، للقضاء قضاءً ماحقا على هذه الصحوة الوليدة، ولا أدل على ذلك من أن الإنكليز أرغموا علي باشا مبارك بعد عامين على جعل لغة التعليم في المدارس المصرية كلها هي اللغة الإنكليزية. وكان هذا التحول بلغة التعليم إلى لغة المستعمر بداية الهدم الذي استمر ولم يقف. واقرأ إن شئت ما نشرته جريدة الأهرام في عددها يوم السابع عشر من مارس سنة سبع وتسعين: «قضي الأمر، وصدر الأمر العالي بتعيين المستر دنلوب سكرتيرا عاما لنظارة المعارف. وقد شرع المستر دنلوب بعد الاتفاق مع جناب اللورد كرومر، في هدم الدراسة الثانوية التي هي أعظم أركان المعارف».

ومن الغريب أن اليابانيين أوفدوا إلى مصر في القرن الماضي بعثة مكثت فيها أسابيع، درست خلالها تجربة محمد علي، ثم عادت لتطبقها باليابان، وكما فعل محمد علي أوفد اليابانيون طلابا إلى أوروبا عادوا لبلادهم فعلّموا ما تعلموه باليابانية. وبفضل هذه اللغة اليابانية التي تعلم بها جميع المعاهد والكليات باليابان، وتحرر بها جميع الأبحاث وتدار بها مراكز البحث، استطاع اليابانيون أن يتمثلوا علم عصرهم وتكنولوجية عصرهم، وأن يصبحوا في مقدمة دول العالم علما وتقانة فأصبحوا هم المنتصرين حقا بعد هزيمتهم العسكرية الماحقة.

وإذا استعرضنا قائمة الأمم، فإننا نجد أن التي تمثلت علم عصرها هي التي تسود فيها لغاتها القومية على سائر مرافق حياتها، حيث يكتسب العلم

ويمارس البحث العلمي بها، كاليابان، والصين وكوريا، وتايوان، وأندونيسيا، بل وإسرائيل.

لقد دخل الهند علم العصر قبل أن يدخل الصين بأكثر من قرنين، لكن الهند متخلفة الآن عن الصين بعشرات السنين، والسبب في ذلك لغوي. فاللغة الإنكليزية مازالت لغة العلم والتكنولوجيا والإدارة في الهند، بل اللغة المشتركة بين طوائف الهنود، ولم تستطع الهند حتى الآن تمثل علم عصرها، لأن التمثل لا يكون إلا باللغة الوطنية، كما أنها عجزت عن تكوين مجتمع هندي بنسيج اجتماعي منسجم، لأن ذلك لا يكون إلا باللغة الوطنية كذلك.

وكانت الصين في وضع شبيه بالوضع الهندي حيث تسود الإنكليزية جامعاتها، وتمزق شعوبها مئات اللغات الجهود المحلية، إلى أن جاء مَاوتْسي تونْغ سنة تسع وأربعين، فاتخذ أهم قرار ثوري وهو اعتماد اللغة الخانية (لغة بكين) لغة رسمية وحيدة بالبلاد، فعممها من خلال نشر التعليم ومحو الأمية، واستطاع بذلك أن يوجد الخيط الذي يكون للمجتمع الصيني لحمته، وتعتبر الصين الآن قمة من قمم النمو، تتهافت عليها الاستثمارات العالمية، ويتوقع لها أن تحتل، بعد سنوات، المرتبة الثانية، بعد الولايات المتحدة الأمريكية في القوة الاقتصادية، لأنه من البديهيات، المسلم بها عالميا، أن التنمية الناجحة لا تكون إلا باللغة الوطنية، ومن يزر أمريكا يجد أسواقها مغرقة بالبضائع الصينية المنتجة باستثمارات أمريكية.

وقد استعمر الفرنسيون الفيتنام أكثر من ثمانين سنة، كان كل شيء بها يدور بالفرنسية، فقدْ ألغوا الفيتنامية من الاستعمال الرسمي. وما إن تولى هُو تْشِي مِينه قيادها، حتى ألغى بجرة قلم اللغة الفرنسية من الحياة الفيتنامية، وفرض الفتْنَمة الشاملة بلغة شبه بدائية، تعتبر من أفقر لغات العالم، فقد أمر، في السنة الأولى لاستقلال البلاد، بالفتنمة الفورية الشاملة. وسارع إليه مذعورين أساتذة كلية الطب، وعقدوا اجتماعا معه دام ست ساعات، حاولوا إقناعه فيها بإعفاء كليتهم من الفتنمة لسنوات، بحجة أنهم، لا هم ولا طلبتهم يحسنون اللغة الفيتنامية. وفي نهاية الاجتماع حسم القائد الموقف بما يلي:

«يسمح لكم - استثناء - هذه السنة أن تدرسوا بالفرنسية، على أن تدرسوا، في خط موازٍ، أنتم وطلبتكم الفيتنامية، بشرط أن تجرى الامتحانات في نهاية السنة وفي سائر سنوات التدريس باللغة الفيتنامية، وأن يكون التعليم في السنة المقبلة وفي سائر السنوات بلغتنا».

وقد استطاع الفيتناميون، وهم يمارسون التعليم بلغتهم خلال السنوات العشر الأولى من استقلالهم، أن ينحتوا مليوني كلمة ومصطلح، ولنتصور مدى فقر اللغة التي يدخل في قاموسها مليونا كلمة في عشر سنوات، واستطاع رجال التربية الفيتناميون خلال هذه الفترة الأمنية القصيرة، أن يترجموا أمهات المراجع العلمية، وأن يؤسسوا دوريات في سائر التخصصات بلغتهم. واستطاع الطب المُفَتْنَم مواجهة أهوال العدوان الأمريكي ومعالجة آثار أسلحة الدمار الشامل، واستطاعت الهندسة المفتنمة أن تبني الجسور المموهة لتصرف الطيران الأمريكي عن الجسور الحقيقية، وأن تزرع في كل شبر من أرض الفيتنام مخابئ للوقاية من شظايا قنابل الطائرات، واستطاع العلم المفتنم أن يعالج ويشفي سبعمئة ألف منحرف، ما بين مومس، وشاذ جنسيا، ومدمن للمخدرات والمسكرات خلفهم الجيش الأمريكي بعد رحيله.

وقل مثل ذلك في تلك النمور الآسيوية، ومن بينها النمران الإسلاميان أندونيسيا وماليزيا.. تلك التي قفزت من حضيض التخلف إلى أوج التقدم، وغزت الدول المتقدمة بإنتاجها الراقي ونمائها المعجب.

ولو شئنا أن نواصل ضرب الأمثال لطال بنا الأمد، ولكني أريد أن أختم هذه الأمثلة بمثال واحد.

لقد كانت الإرهاصة الأولى للدولة التي استطاع اليهود فرضها في بلادنا، هي إنشاء الجامعة العبرية اللسان في الربع الأول من هذا القرن. وما زال مظهرها الحضاري هو هذه الجامعة نفسها التي يدرس فيها العلوم بالعبرية أساتذة العلم العالمي الإنكليزي والفرنسي والألماني والروسي من اليهود.. لم يريدوه بلغة من هذه اللغات، ولو أرادوه لكان ذلك - في حساب المشقات والجهد - أيسر وأدنى، ولكنهم كانوا ينظرون إلى بناء حضارة، وإلى إنشاء الإنسان الذي يقف على قدميه! فماذا كانت النتيجة من حيث ما نحن بصدده؟

تشير الدراسات الإسرائيلية إلى أن الباحثين الإسرائيليين نشروا في عقد واحد ما يقارب ستة وسبعين ألف بحث علمي، مقابل حوالي أربعة وأربعين ألف بحث للعرب مجتمعين أي بمعدل واحد وثلاثة أرباع إلى واحد. أما عدد المقالات المنشورة منسوبة إلى كل عشرة آلاف مواطن، فإن إسرائيل تحتل المرتبة الأولى في العالم، إذ تنشر ما يعادل مئة وتسع مقالات علمية لكل عشرة آلاف مواطن، ثم تأتي بعدها سويسرا ثم السويد ثم الولايات المتحدة.. وهذه الدول جميعا وما يليها من دول المقدمة، تتخذ من لغتها الوطنية وعاء للتعليم والتعلم والبحث العلمي.

* * *

أيها السادة الأجلاّء،

لم يكن الغرض من هذا الحديث أن يكون حديثا مستوعبا، ولو أريد له ذلك لكان الأمر محالا، وإنما كان الغرض منه أن يلمس موضوع أهمية الترجمة في نشر العلم ورفع مستوى التعليم لمسا رفيقا، ويدع للمناقشة أمر إغناء هذا الموضوع.

من أجل ذلك أعتقد أن عليّ أن أختتم القول ملخصا ما أردت قوله في عدة نقاط:

1- إن من الضروري قبل كل شيء أن ندرس عددا من تجارب الأمم في موضوع الترجمة. وقد عرضتُ إلى عدد منها، في مقدمتها ما فعله علماؤنا، يوم قاموا بذلك في وقت بلغت فيه أمتهم نضجها الثقافي والعلمي، مما مكنهم من أن يقفوا من الحضارات الأخرى لا موقف الزبون الذي يستورد الأفكار والمعلومات، ولا موقف التلميذ الصغير الذي يتلقن كل ما يقال له دون إعمال الفكر أو تقليب النظر، وإنما موقف الدارس الناضج الذي تبيّن له الرشد من الغي، والغثّ من السمين، والصالح من الطالح. ومن أجل ذلك تخيَّر من هذه الحضارات ما ظن أنه بحاجة إليه ونقله إلى لسانه على أيدي أناس أتقنوا

اللغتين والموضوع العلمي جميعا، ثم محّص ما فيه واستفاد مما قبلته ثقافته ونبذ ما أبته ورفضته.

ولكن الترجمة في القرن العاشر، غير الترجمة في القرن التاسع عشر، وغيرهما على مشارف الألف الثالثة. ولاشك أن كَمَّ المعلومات المتفجرة، وقنوات الاتصال المتشابكة، ولغة الجرائد والإعلام، وتقنيات الحاسوب والأقمار الصناعية السواتل والفاكس والبريد الإلكتروني.. كلها أمور لها انعكاساتها ومردودها على حركة الترجمة: كما وكيفا، إيجابا وسلبا، حاضرا ومستقبلا.

2- إن تمثّل المعلومة العلمية تمثلا صحيحا، يتطلب تلقّيَها باللغة الأم، وإلا كان التمثل منقوصا بمقدار بُعد المتلقي عن اللغة التي هي وعاء المعلومة. ولما كان تمثل العلم ضروريا للاستفادة منها والإبداع به، فإن اللغة الأم هي التي ينبغي أن تكون وعاء المعلومة. ولاشك في أن الترجمة تؤلف في الوقت الحاضر على الأقل، عمود عملية نقل العلم. وأقول على الأقل، لأن من الناس من يقول إن الترجمة ينبغي أن تكون وسيلة مرحلية، وأن التأليف باللغة الوطنية ينبغي أن يحل محل الترجمة. وهذا طموح محمودٌ أصحابه، ولكنه بعيد كل البعد عن واقع هذا العصر. ونعم، ينبغي أن يبدأ التأليف باللغة الوطنية ويتسع ويزدهر - والتأليف غير السَّطْو بطبيعة الحال ولكن هذه المعلومات التي تنهمر وتنثال في عصرنا الحاضر بسرعة وكمّ يفوقان الخيال، تستلزم أن تكون الترجمة عملية مستمرة متواصلة، وأن تظفر بدعم السلطة كما ظفرت ترجمة أسلافنا بدعم الخلفاء خالد بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمنصور، والرشيد، والمأمون، وغيرهم، وكما حظيت الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بدعم ملوك صقلية وأسبانية وغيرهم من حكام الفرنجة.

3- إن المقصود من الترجمة أن تنقل المعلومة نقلا أمينا مفهوما، وإلا كان ضررها أكبر من نفعها. وإنا لنرى كثيرا ممن يترجم في عصرنا هذا يكون أمينا في نقله، ولكنه يترجم ترجمة حرفية تجعل المعنى يستبهم في أفهام القراء. ومنهم من يكتب ترجمته بلغة سلسة مفهومة ولكنه لا يكون أمينا في

نقله، ويقفز، ويغفل كثيرا مما ورد في النص الأصلي. وكلا المترجمين بعيد كل البعد عما ينبغي أن يكون. فلابد للترجمة المستهدفة إذن من أن تكفل الأمرين جميعا، أعني الأمانة والإفهام. وليس يخفى أن ذلك يستلزم بذل جهود جادة على الصعيدين الفردي والرسمي، من أجل تكوين المترجمين الصالحين.

4- إن قضية المصطلح قضية بالغة الخطر كبيرة الشأن. وإذا كان من غير الجائز أن يترك وضع المصطلحات الجديدة لرجال الإعلام، فإن من غير الجائز للعلميين المختصين كذلك أن يبطئوا بطء السلحفاة في صوغ المقابل العربي للمصطلح المستجد. وعلى رجال العلم واللغة أن يبتكروا الوسيلة التي تضمن ذلك، فرجال الإعلام مشكورون لأنهم يبادرون إلى إيصال المعلومة إلى القارئ ولو بمصطلح مقارب، وهم إن أخطأوا فإنهم مجتهدون مأجورون أجرا واحدا إن شاء الله، ولكن أهل العلم غير معذورين. وأنا على يقين من أن موضوع المصطلحات سيناقش بفضل تفصيل في هذه الندوة، ولا شك في أن منهجية وضع المصطلح وقضية توحيده، ستحظيان بما تستحقانه من اهتمام.

وبعد، فإني أستميحكم أن أختم ببعض ما أسلفت الاستشهاد به، معتذرا عن التكرار، وأعني بذلك ما قاله الأستاذ الزيات رحمه الله.

«هذا العلم الذي يسخر السماوات والأرض للإنسان الضعيف، ويذلل القطعان الملايين للراعي الفرد، سيبقى غريبا عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب، ونعممه في شعبنا بالنشر، ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة». والله المستعان.

من المراجع

1- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للأستاذ محمود شاكر، كتاب الهلال، العدد 442.

2- أباطيل وأسمار، للأستاذ محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثانية 1972م.

3- ودخلت الخيل الأزهر، للأستاذ محمد جلال كشك، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة، 1990.

4- التعريب الشامل ممكن وفي كل المجالات للأستاذ عثمان سعدي، جريدة الشرق الأوسط العدد 6105، 1995.

5- ملاحظات على حركة الترجمة وتعريب الطب من حنين بن إسحاق إلى كلوت بك إلى الحاضر، للأستاذ الدكتور أبو شادي الروبي، القاهرة 1993.

6- في أسباب قصور البحث العلمي في العالم العربي، للسيدة منى فياض، جريدة الحياة، العدد 11907, 1995.

7- كتاب الحيوان للجاحظ، بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، 1388هـ، 1969 م.

8- التعريب الجامعي وحتمية المقاربة الميدانية، للأستاذ الدكتور محمد جابر الأنصاري، رسالة الخليج العربي، 1988.

مواجهة اللغة العربية لأول تجربة
في ترجمة العلوم

محمد الكتاني

من حق المرء، ولاسيما حين يكون قليل الاكتراث بأدبيات تبجيل اللغة العربية التي كتبها القدماء أن يتساءل اليوم : كيف استطاعت اللغة العربية حين تجاوزت حدود الجزيرة العربية، وانتقلت إلى أفواه وأقلام الفرس والسريان والأقباط وغيرهم من الأمم الشرقية، أن تتحكم في التغير الهائل والتطور المحتوم الذين كانا يداهمانها في صورة تحدٍّ كبير يحملانها على تقبل أحد مصيرين: مصير البقاء مع النهوض بأعباء التعبير عن حضارة جديدة بأنظمتها وعلومها وفنونها. أو مصير التراجع أمام لغات أقوى كانت قد نهضت من قبل بأعباء التعبير عن حضارات عريقة وفلسفات وعلوم دقيقة.

وإذا كانت اللغة العربية قد استطاعت بأساليبها الأدبية وغناها المعجمي وبمجاوزاتها الشعرية أن تظل مستمرة وقادرة على الصمود حتى أواخر القرن الأول في أوساط الشعراء والخطباء في الشام والعراق فإن لغة الدواوين أي إدارات الخلفاء والولاة ولغة العلوم المستحدثة والعلوم المرغوب في نقلها عن الفارسية والسريانية واليونانية والهندية، كانت تتطلب تطورا كبيرا يفرض نفسه

على اللغة العربية معجميا وبيانيا ومنهجيا. وهو تحدٍّ يمكننا اليوم تقديره في ضوء التحدي الذي تواجهه اللغة العربية اليوم في استيعاب علوم العصر وتقنياته. وقد تطورت اللغة العربية في الاتجاه الذي فرضه تاريخ الإسلام السياسي والحضاري بما أظهر عبقريتها وقدراتها الذاتية على الاستمرار.

ونحن ندرك ذلك التطور والتغير من خلال أمثلة متعددة قابلة للدراسة النقدية والتمحيص العلمي حتى اليوم.

إذ يمكننا أن نقرأ مثلا رسائل عبد الحميد الكاتب (-132) أو رسائل ابن المقفع (-142) وهما اللذان كتبا الرسائل والفصول النثرية الخارجة عن نمط النثر المعهود في العصر الجاهلي أو العصر الإسلامي أو العصر الأموي. ونقارن بين الأساليب في هذه الكتابات وبين أساليب أي نمط آخر من النثر العربي قبل هذا العهد. ولا يمكن وضع القرآن في هذا السياق التطوري، لأنه وحي إلهي تحدّى العرب بأسلوبه ومضمونه. كما يمكن أن نقارن بين كتابات هذين الرائدين وبين كتابات الجاحظ (-255) وأبي حيان التوحيدي (-400) وغيرهما من أعلام الكتابة العربية. لنلمس في ضوء المنهج التحليلي المقارن كيف كان النثر العربي قد حقق إنجازات هائلة في مجال استيعاب اللغة العربية لثقافة وعلوم الحضارة الجديدة.

وما نودّ أن نبرزه بوضوح في هذا السياق أن العرب المسلمين حين خرجوا من جزيرتهم فاتحين للبلاد المجاورة في الشمال والشرق أخضعوا لسلطانهم أمما متفوقة عليهم في حضاراتها وثقافاتها إلى حد بعيد. وكان العرب لا يحملون إلى هذه الأمم سوى عقيدة الإسلام وشريعته ومبادئه الأخلاقية واللغة العربية التي كانت لغة القرآن التي لابد من تعلمها وقراءة القرآن بها. وخلال عقود قليلة من السنين دخلت تلك الشعوب في الإسلام عن طواعية واقتناع، فانتشرت بين فئاتها اللغة العربية. وسرعان ما ظهر من بينهم وهم فُرس في معظمهم علماء في الفقه والنحو والبلاغة والتاريخ والفلسفة، وظهر من بينهم شعراء كبار. وحتى الذين ظلوا على نصرانيتهم أو مجوسيتهم

أو يهوديتهم استعربوا وترجموا إلى اللغة العربية تراث أممهم. واشتغلوا في دواوين الخلفاء فأصبحت اللغة العربية والثقافة الإسلامية لغة عالمية أو ثقافة عالمية بمعنى أن الحضارة الإسلامية بلُغتها أصبحت الحضارة المهيمنة على شعوب آسيا وأوروبا الشرقية والجنوبية وشمالي إفريقيا. وأصبحت هذه الحضارة تستقبل وتتمثل كل تراث الأمم الشرقية القديمة وتبلوره في صياغة جديدة[1].

لم يتحقق ذلك التطور بالطفرة ولا بالمصادفة وإنما تحقق عبر مراحل، ومن ورائه إرادة جماعية شخصتها الإرادة السياسية المتمثلة في عمل الخلفاء. فقد سبقت حركة النقل والترجمة التي نقلت علوم الأوائل إلى اللغة العربية حركة أخرى مهمة في هذا المجال، وهي حركة تعريب الدواوين في حكومة الخلفاء الأمويين. «فالديوان» نظام مستحدث في الدولة الإسلامية، ظهر على يد الخليفة عمر بن الخطاب عندما تدفقت أموال البلاد المفتوحة على خزائنه، فاستشار في طريقة توزيعها. فأشاروا عليه باستحداث «الديوان» وهو سجلات تشتمل على حسابات أموال الدولة، يقوم على إدارتها كاتب مختص، ثم توسعوا في اصطناع الدواوين في كل تخصصات الأنظمة المناطة بالحكومة كديوان الشرطة وديوان المظالم وديوان الزمام وديوان الجيش وديوان المال والجبايات.

وقد ظلت دواوين المال والجبايات تكتب في الأقطار المفتوحة باللغات الأجنبية وعلى يد موظفين من الفرس والروم والقبط إلى زمن الخليفة عبد الملك ابن مروان (-86) الذي أمر بتعريبها، بعد انتشار اللغة العربية وتوافر الكتّاب الموالي المتقنين للغة العربية. فقام واليه الحجاج بن يوسف (-95) بتعريب دواوين العراق. وجرى مثل ذلك في بلاد الشام وفي مصر، فأصبحت اللغة العربية لغة الإدارة في عهد الأمويين. وأفادت خلال هذا التعريب ألفاظا ومصطلحات تقنية هامة، كما أن الأعاجم عندما أيقنوا بخروج صناعة الدواوين من أيديهم تعاطوا تعلم اللغة العربية فأتقنوها، وانخرطوا في أسلاك الكتّاب في إدارة دواوين الخلفاء والأمراء.[2]

وموازاة لحركة تعريب الإدارات التي تسيّر الشؤون العامة، كانت هناك حركة أخرى قوية ظاهرة في العراق بصفة خاصة، وهي الحركة التي عُنيت

بجمع اللغة العربية ومروياتها الأدبية في رسائل معجمية متخصصة، أو في معاجم عامة. وعنيت بوضع «نحو اللغة العربية» واستنباط ضوابطها في الصرف والتركيب واعتماد القياس أساسا لتقنين اللغة وتنميتها، ووضع كتب النحو والصرف مثلما كانت علوم أخرى تتبلور كالفقه والأصول وعلم الكلام وتدوين الدواوين الشعرية وجمع الأخبار والسيَّر والمغازي وتدوين الحديث وتسير جنبا إلى جنب مع وضع أسس علوم اللغة العربية في النحو والبلاغة ووضع مصطلحاتها، فأتاحت هذه الحركة لغير العرب أن يتعلموا هذه اللغة ويتقنوها، ويصبحوا علماء يشاركون بعقليتهم الخاصة في وضع علومها. وأتاحت للعرب أنفسهم أن ينظروا إلى لغتهم نظرة علمية تحليلية منهجية بعد أن كانوا يعتمدون من قبل على سلائقهم ومعرفة اللغة ببديهتهم.

في إطار هذا المخاض الحضاري أو التفتح الثقافي على ثقافات الأمم الشرقية القديمة والذي استمر قرونا، وهمّ ثقافات متعددة كانت اللغة العربية الوسيلة الكبرى التي حققت ذلك التواصل بين كل الفعاليات المنتجة للثقافة، فاستطاعت هذه اللغة أن تستوعب بقدرة فائقة كل تراث اليونان والفرس والهنود برغم كونها لم تكن من قبل سوى لغة عرب متخلفين في مضمار الحضارة بالقياس إلى الشعوب التي كانت تحيط بهم.

هذه المقدمات تفضي بنا إلى التساؤل عن سر نجاح تلك التجربة الأولى في تاريخ اللغة العربية، وهي التجربة التي جعلت هذه اللغة تمتحن قدراتها الطبيعية أو الذاتية لاستيعاب فكر وثقافات وعقليات متباينة كان لكل منها لغته التي تجوهر بها، واعتقد أنه لا يمكن لغيرها أن يعبر بها أفضل مما تعبر به.

هذا التساؤل يتجدد طرحه ولاسيما في هذا العصر الذي نعيش فيه تخلف اللغة العربية في مجال العلوم والتكنولوجيا، وتنتاب الحيرة عقول الكثير من المهتمين بمصير هذه اللغة وتتفرق بهم السبل في مواجهة الأمر، بين داع إلى مواجهة التحدي بجعل العربية ترقى إلى مجال البحث والتكوين والوفاء بمتطلبات التقدم العلمي، وبين داع إلى تعاطي العلوم بلغاتها الكبرى تفاديا لضياع الوقت في مراودة حلم عصي عن التحقيق.

على أن هناك فرقا كبيرا بين ما واجهته اللغة العربية في العصر العباسي الأول، وبين ما تواجهه اليوم من معضلات التكيف مع مسيرة العلوم والمختبرات العلمية والتقدم التكنولوجي الهائل. وبرغم ذلك الفرق فإن تفكيك المعضلات التي تواجهها اللغة العربية إلى مكوناتها الأساسية، والعمل على علاجها واحدة واحدة حسب أولوياتها، هو الكفيل بإخراجنا من التردد الذي نتخبط فيه، بحيث يعالج كل مكون منها على حدة وتعالج تلك الحلول لينظر في السابق منها قبل اللاحق، وهكذا دواليك. وفي جميع الأحوال ستظل الترجمة العلمية للعلوم البحتة جزءا من الحلول الممكنة لتطويع اللغة العربية للتعبير العلمي الدقيق في مجالات العلم المعروفة. وهذا الحل هو الذي اصطنعه القدماء قبل أن يفكروا في غيره من الحلول. مثل وضع معاجم المصطلحات أو التفكير في التكوين اللغوي للمتعاطين للعلوم.

وفي سياق تاريخ حركة النقل التي عرفها العرب ابتداء من القرن الثاني، وخلال القرون الموالية يحدثنا المؤرخون والمتخصصون في تلك الحقبة بما نرى من المفيد تقديمه مجملا في هذه المقالة.

ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت قبل مجيء الإسلام ونزول القرآن عبارة عن لهجات لعدد من القبائل الناطقين بها. وكانت هذه اللهجات تسمى عندهم لغات. وكانت كل لغة من لغاتهم الدائرة في فلك العربية تتأثر بلغة الشعب الأجنبي الذي تتاخمه، فكانت تستعمل كثيرا من الألفاظ الأجنبية على سبيل «التعريب» لها مع تكييفها للصيغ العربية وأصواتها. فنقاء اللغة العربية من كل دخيل أمر لم يتحقق في أي عصر، وهو أمر يجافي طبائع اللغات وتطورها. والقول بتأثر العربية أو استعمالها للألفاظ الأجنبية التي لم يكن لها نظير عند العرب هو الذي يجري على سنة اللغات في التأثر والتأثير، وأكبر دليل على ذلك لغة القرآن نفسه.

«ففي القرآن – كما يذكر العلماء – أكثر من مائة لفظة معربة. نص العلماء على أصولها حسب علمهم واجتهادهم واستفسارهم للأعاجم. وهي كلمات دخل بعضها العربية قبل الإسلام بعهد طويل لعدم وجود مثيل له في لغة

العرب، فأخرجتها العرب على أوزان لغتها وأجرتها في فصيحها، فصارت بذلك عربية. وإنما وردت في القرآن لأنها كانت قد تعربت وجرت عند العرب مجرى الفصيح. ولم تكن لهم ألفاظ غيرها، وفي بعض هذه المعربات ألفاظ لم تكن مألوفة أو معروفة عند الوثنيين، لأنها من ألفاظ الديانات. ونظرا لكونها تعبر عن أمور دينية ضرورية لا مثيل لها في العربية، فكان من اللازم تعليم الناس إياها، ولذلك وردت في القرآن».[3]

وممن وقف على مظاهر تأثر اللغة العربية باللغات المختلفة قبل الإسلام الأستاذ جواد علي الذي تتبع هذه الظاهرة، وقال:

«ومما تقدم نرى أن المعربات عن السريانية والفارسية هي أظهر وأبرز في لهجات عرب العراق من المعربات الأخرى، وأن المعربات عن السريانية واليونانية - اللاتينية أبرز وأوضح في لغة عرب بلاد الشام من المعربات المنقولة من الفارسية أو الحبشية. وأن المعربات عن الحبشية واللهجات الإفريقية، هي أوضح وأكثر ظهورا في لهجات العرب الجنوبيين من المعربات الأخرى، وذلك بسبب اختلاط العرب الجنوبيين بأهل الساحل الإفريقي الشرقي ووجود جاليات إفريقية في العربية الجنوبية وجاليات عربية جنوبية في السواحل الإفريقية المقابلة منذ أيام ما قبل الميلاد، فأدى هذا الاختلاط والتجاور إلى الأخذ والعطاء في اللغة. كما نجد المعربات عن الهندية والفارسية والآرامية ظاهرة بارزة على ألسنة أهل الخليج، لاتصالهم بالهند وبفارس وبالعراق».[4]

ومما سبق ندرك السر في أن القرآن تضمن كثيرا من الألفاظ المعربة وأعطى المثال على أن اللغة العربية هي بأنساقها وبنائها وصيغها وضوابطها النحوية والصرفية، وأن الألفاظ المعربة التي تحتاج إليها في الاستعمال والتعبير لا تضيرها في شيء إن هي عربت وفق ضوابط العربية في النطق والصيغة والتصريف.

والخلاصة أن العرب المسلمين عندما خرجوا من جزيرتهم، ونشروا الإسلام في بلاد آسيا وإفريقية تأثروا بالحضارات التي وجدوها في هذه البلاد وبأنظمتها. وكان مما وقع لهم في سياق هذا التفتح على الأمم الشرقية تأثر

لغتهم باللحن والاختلاط، وذهاب السلائق الفطرية فاضطروا إلى حفظ اللغة بتدوينها أولاً، ووضع علوم النحو والصرف، ووضع المعاجم وتعريب الدواوين. ونتج عن ذلك تعاطي الموالي من الفرس والروم وغيرهم للغة العربية والإتقان للكتابة بها والتمهيد بذلك لاصطناعهم في دواوين الخلفاء والأمراء فأصبحت أساليب اللغة العربية تعرف أنماطا جديدة من التعبير والتصنيف وتكوين الأفكار وترتيبها ووضع الرسائل الفنية التي لم يكن للغة العربية بها عهد من قبل.

كل هذا مهد لاتساع أساليب اللغة العربية وضبط قواعدها واستخلاص نحوها وصرفها من مروياتها الأدبية ونصوصها المأثورة وفي مقدمتها القرآن الكريم.

قال صاعد الأندلسي في كتابه «طبقات الأمم»:

«كانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب، غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً إليها. ولما كان عندهم من الأثر عن النبي (ص) في الحث عليها حيث قال: يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم[5] فكان من الأطباء في عهد الرسول (ص) الحارث بن كَلَدة الثقفي كان يعلم الطب بفارس واليمن... وكان منهم ابن أبي رمثة التميمي، وهو الذي قال: رأيت بين كتفي النبي (ص) خاتم النبوة... وكان منهم ابن أبحر الكناني. وكان في أيام عمر بن عبد العزيز.. وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية وكان بصيرا بالطب والكيمياء..

«فلما أراد الله تبارك وتعالى الهاشمية (يعني بني هاشم) وصرف الملك إليهم بانت الهمم من غفلتها وهبت الفطن من سِنَتِها. فكان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور (عبد الله بن محمد بن علي ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي) فكان رحمه الله مع براعته في الفقه وتقدمه في علم السنن راغبا في علوم الفلسفة وخاصة صناعة النجوم، فكان كلفا لها

محبا لأهلها. ثم لما أفضت الخلافة منهم إلى الخليفة السابع عبد الله (المأمون) بن هارون الرشيد، تمم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخراجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه منها بما حضره من كتب أفلاطون وأريسطو طاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، واستجاد لها مَهَرة التراجمة وكلفهم بإحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن».[6]

لقد وجد المسلمون الفاتحون للعراق والشام ومصر وبلاد فارس مدنا وحواضر كبرى قد تأسست فيها مدارس للسرْيان والفُرس والقِبْط تدرس فيها علوم الأوائل من طب وفلك وفلسفة ورياضيات. «وكانت معظم علوم اليونان قد نقلت إلى السريانية في الشام والعراق رغبة من المسيحيين والنساطرة واليعاقبة في دراسة تلك العلوم بلغتهم ومبالغة منهم في مقاطعة اللغة اليونانية لغة الكنيسة البيزنطية التي انفصلوا عنها من الناحية الدينية. وكان أكثر ما يدرس في تلك المدارس الفلسفة اليونانية والمنطق ثم الطب والنجوم والكيمياء».[7]

وهناك من الباحثين من ذهب إلى أن نقل العلوم إلى اللغة العربية كان قد بدأ منذ أن اتصل العرب الفاتحون بعلماء الشام والعراق وأن هذا الاتصال كان موجودا حتى في عصر النبي (ص). فالحارث بن كَلَدة الثقفي تعلم الطب في فارس ومارس صناعته في أيام النبي والخلفاء الأربعة ومعاوية. والنضر بن الحارث تعلم الطب عن أبيه ولكنه رحل إلى فارس وغيرها وأخذ عمن اختلط بهم من العلماء والرهبان أشياء من علوم الأوائل كان يجادل بها النبي ويقاوم بها النبوة.

ولذلك كان نقل العلوم إلى العربية قد بدأ بالمشافهة وبالتعليم، بطريق الكلام المسموع لا باللفظ المقروء. وثمة قرائن تدل على وجود حركة تعليمية علمية منذ أوائل العصر الأموي، كان نظام التعليم فيها أشبه بالدروس الخصوصية عندنا، وكان القائمون بالتعليم فيها من غير المسلمين. وفي هذا السياق نذكر من تلك القرائن ما يروى عن خالد بن يزيد بن معاوية (-90) من

كونه اتصل بماريانوس الراهب الرومي ليعلمه الصنعة، وقيل إنه استعان باصْطِفن القديم (كما يسميه ابن النديم) ليشرح له بالعربية بعض كتبها. ويذكر في هذا السياق أيضا ما يروى عن ماسرجويه الطبيب الإسرائيلي الذي يقول عنه ابن أبي أُصَيْبِعة إنه تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهْرن إلى العربية وهو كتاب في الطب ألفه صاحبه باللغة السريانية.

إلا أنه لم يصلنا الكثير من أنباء الحركة التعليمية العلمية في عصر بني أمية فتشكك المتشككون فيما يروى عن خالد بن يزيد (-90)، ولكن الواقع الثابت أن ازدهار صدر الدولة العباسية وعلى الأخص عصر المنصور (136-158) بكثير من العلماء والأطباء من المسلمين ومن غير المسلمين يدل على أنه كانت ثمة حركة تعليمية علمية سبقت العصر العباسي بجيل أو يزيد على أقل تقدير. كانت هي الوسيلة الطبيعية التي بدأت تنتشر بواسطتها علوم الأوائل في البيئة الإسلامية وكانت هي الطريق الطبيعي الذي سلكته هذه العلوم إلى اللسان العربي...[8]

«وقد كان القائمون بالتعليم أكثرهم من النصارى، واعتمدوا في صناعة التعليم على مراجع سريانية وأخرى يونانية، ومن بين هؤلاء المعلمين من كانت كل مؤلفاته بالسريانية. ويكاد يكون من المحقق أنه كان للتعليم لغتان هما السريانية التي كان يتلقى النصارى العلم بها من أهل هذه اللغة، والعربية التي كان هؤلاء يعلمون بها أهل العربية. وأرجح أن التعليم استمر مدة ليست بالقصيرة بهاتين اللغتين.

وكان من الطبيعي أيضا حين أخذ يتسع نطاق هذا التعليم وأخذ المتلمذون يتعمقون في تعلم العلوم أن يظهر إلى جانب هذه الحركة التعليمية رغبة في اقتناء كتب الفلسفة والعلوم والطب وجمعها من أنحاء البلاد ومن خارج حدود البلاد من بلاد الروم والهند، ونقلها إلى العربية. وقد شارك في هذه الرغبة الأفراد، وشاركت فيها الدولة ممثلة في أشخاص الخلفاء، وهي رغبة بذل في تحقيقها مجهود مشكور، ويمتاز بها بحق صدر الدولة العباسية».[9]

ويحدثنا المستشرق دو لاسي أوليري De Lacy O leary في كتابه (علوم

اليونان وسبل انتقالها إلى العرب) عن حركة الترجمة ونقل علوم اليونان إلى اللغة العربية بتفصيل ممهدا للموضوع بشرح العوامل التاريخية ووصف المدارس القديمة التي عُنِيت بحفظ تراث اليونان في الإسكندرية.

فيذكر أنه عندما ازدهرت مدينة بغداد عاصمة العباسيين قصدها أطباء وعلماء المشرق يومئذ ولاسيما من الفرس، فطغى النفوذ الفارسي على العنصر العربي في حقبة الخلفاء الكبار أمثال الرشيد والمامون.

وكانت خراسان، ومدينتها الأولى «مَرْوُ» مهدا للشعوبية الفارسية ضد العنصر العربي، فهي مسقط رأس البرامكة الذين وَزَروا للرشيد. فكان من الطبيعي أن يعمل هؤلاء على نقل كتب الفلك والرياضيات منها إلى بغداد. أما المدينة الأخرى التي أمدت العاصمة العباسية بالعلماء فهي مدينة «جنديسابور» التي كانت على مقربة من بغداد. فكان الأطباء النابهون يستدعون منها إلى بلاط الخلفاء وقصور الأمراء. فتكونت من هؤلاء وأولئك هيأة علمية من حملة العلوم القديمة الذين تلقوها من اللغة اليونانية أو من السريانية أو بالفارسية نفسها.[10]

يروي القِفْطي أن رجلا من الهند اسمه «منكه» كان متخصصا في حساب حركات النجوم وهو المعروف بالسندهند، وقد وفد هذا على أبي جعفر المنصور سنة 156هـ ومعه كتاب في الموضوع فأمره المنصور بترجمته ليتخذه المسلمون مرجعا في معرفة حركات النجوم، فتولى ترجمته محمد بن إبراهيم الفزاري وهو الكتاب الذي استفاد منه الفلكيون قبل كتاب المجِسْطي.

أما في عصر الرشيد (-170-193) فقد أنشئت مكتبة الحكمة، وعندما فتح المسلمون في أيامه أنقرة وعمورية نقلوا منهما كتبا في علوم مختلفة، فجعل الرشيد يوحنا ابن ماسَوَيْه قيما عليها وعلى ترجمة بعضها ورتب له كما يقول القفطي كتّابا حذاقا يكتبون بين يديه.[11] في هذه الآونة بالذات وجد السريان الذين لهم إلمام باللغة العربية الفرصة مواتية للقيام بالترجمة للعلوم اليونانية عن السريانية إلى اللغة العربية. فقيل في هذا السياق إن هارون الرشيد هو الذي أمر بترجمة كتاب العناصر لأقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس. والكتاب

الأخير ترجم أكثر من مرة ونقح مرارا، كما ترجم كتاب إقليدس في نفس الفترة. كما اهتم التراجمة بنقل كتب (أرسطو) الذي كان قد ذاع اسمه في الوسط العلمي بوصفه المعلم الأول. ومما لا شك فيه أن المترجمون الأوائل الذين كانوا من السريان المسيحيين أو من اليهود أو من الفرس قد وجدوا في صناعة النقل والتنافس في إغراء الخلفاء والأمراء وعلية القوم بترجمة الكتب القديمة موردا طيبا للعيش. وقد ذكر ابن النديم في الفِهْرِست أن بَني شاكِرٍ كانوا من بين من عُنوا باجتلاب كتب الفلسفة والهندسة والطب والحساب والموسيقى من بلاد الروم وبذل الأموال في هذا المجال والإنفاق على نقلها. وكان ممن خدمهم في مجال الترجمة حنين بن إسحاق.

وذكر أبو سليمان السجّستاني (ن 380) أن بني المنجّم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق (-260) وحبش بن الحسن (-300) وثابت بن قُرّة (-288) وغيرهم نحو خمسمائة دينار شهريا للعكوف على الترجمة.[12]

وعدّ ابن النديم من أولئك التراجمة الأوائل طوائف، منهم من كان ينقل عن الفارسية كابن المقفع ويونس وموسى ابني خالد والحسن بن سهل والبلاذُري أحمد بن يحيى بن جابر (المؤرخ) وإسحاق بن يزيد ومحمد بن الجهم البرمكي. ومنهم من كان ينقل عن الهندية والنبطية كابن وَحْشِية وابن دهن الهندي. ومنهم من كان ينقل عن السريانية أو عن اليونانية مباشرة كابن ناعمة الحِمْصي (ب 220) وهلال الصابي وقُسْطا بن لوقا البعلبكّي (ب 220) وحُنَين بن إسحاق وثابت من قُرّة وعيسى بن يحيى الدمشقي.[13]

وكان إلى جانب هؤلاء النقلة من الأطباء الذين حذقوا صناعة الطب من كتب اليونان أمثال آل بُختيشوع[14] الذين طبّوا للخلفاء أبي جعفر المنصور وللرشيد وللأمين ولعدد آخر من الخلفاء، وكان شديد الإعجاب بعلوم اليونان ويشجع على نقلها واقتنائها. ويوحنّا بن ماسَوَيه الذي طبّ للمامون ولمن بعده من الخلفاء.

ويرى المستشرق أوليري أن ترجمة الكتب العلمية بدأ في عصر الرشيد

العباسي بتشجيع الوزير جعفر البرمكي، وأن الترجمة كانت تقتصر في هذه المرحلة على كتب الطب والرياضيات والفلك، وأن الرجوع إلى الأصول اليونانية أثناء الترجمة عن السريانية كان مرعيا في الرياضيات والفلك لأن المصطلحات الرياضية كانت تتطلب التحري والتدقيق والمراجعة، ولأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات الفنية التي يصطنعها العلماء اليونان، فكانت المصطلحات باللغة اليونانية تنقل إلى اللغة العربية كما هي في اليونانية. كما أن الحرص على التدقيق وتصحيح الترجمة كان يدفع البعض إلى إعادة الترجمة أو تنقيحها أو مراجعة ما سبق منها. وربما اضطر العارفون بمضمون الكتب المنقولة إلى وضع شروح عليها.[15]

ويستخلص أوليري من تتبعه للتراجمة وأعمالهم في هذا العصر أن الترجمة كانت تتم من اليونانية إلى السريانية وإلى العربية على حد سواء. ففي السريانية كانت تعاد على نحو أكثر دقة وسلامة من الأخطاء. ومن أعمال هذه المرحلة ما ترجمه حنين ابن إسحاق من رسائل في الطب. وأما في اللغة العربية فكان ينقل إليها من السريانية حينا ومن اليونانية حيناً آخر.

ومما لاشك فيه أن «بيت الحكمة» الذي أنكر بعض الباحثين اعتباره بمثابة معهد علمي بالغ الأهمية في عصر المامون، (198-218) هو بالفعل قد كان مؤسسة عظيمة الأثر في مجال خدمة علوم الأوائل وتعريبها. فقد كان مكتبة جامعة. وكان له صاحب أو مدير، وكانت أعمال الترجمة التي يرعاها المامون تجري فيه، وتغذيه بالترجمات المنجزة إلى اللغة العربية.

«ويرى بعض الباحثين أن بيت الحكمة كان مجمعا لطائفة من العلماء العاملين، عني فريق منهم بإخراج العلوم إلى العربية، وعني فريق منهم بالرصد واتخذوا للرصد موضعين أحدهما في بغداد والآخر في دمشق وعني فريق منهم بالبحث والتأليف، شأنه شأن متحف الإسكندرية ومكتبتها تحت حكم البطالمة.

وقد كان للنشاط العلمي الذي قام به أصحاب بيت الحكمة ومن تتلمذ عليهم شأن كبير في نشر علوم الأوائل باللغة العربية وتأصيل النهضة العلمية في الإسلام».[16]

ولقد أغلقت «دار الحكمة» التي أنشأها المأمون للترجمة وجمع كتب الأوائل بعد وفاته بسبب اضطراب الأحوال السياسية، ثم أعاد فتحها الخليفة المتوكل (-247) وواصل التراجمة في عهده حركة النقل إلى اللغة العربية، بتشجيع منه ورعاية جادة في هذا الاتجاه. ونشط حنين بن إسحاق في عهد المتوكل فأنجز ترجمات عديدة ونقح بعضها، وظهر ابنه إسحاق في نفس المجال وابن أخته حبيش بن الحسن ويدعى أيضا حبَش الأعسم، الذي نقل إلى العربية النصوص اليونانية لأبقراط ومؤلفا في علم النبات لديوسْقوريدِس صار فيما بعد المرجع في علم النبات عند العرب.[17]

ونذكر من التراجمة اللامعين قُسْطا بن لوقا البعلبكي وثابت بن قُرّه وأبا بشر متّى بن يونس القنائي (ب 322) ويحيى بن عدي المنطقي (-364) وعيسى بن إسحاق بن زرعة (-398) ولابد من الإشارة إلى أن ثابت بن قرة يحتل مكانة متميزة في تاريخ الترجمة من اليونانية إلى العربية، فقد حذق اللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية، كما حذق الفلسفة وألف بالعربية حوالي مائة وخمسين كتابا في المنطق والرياضيات والفلك كما ألف في السريانية خمسة عشر كتاباً آخر.

ونستطيع أن نستخلص من عناوين الكتب المترجمة في الطب وفروعه، مدى قدرة اللغة العربية على اشتقاق الكلمات المقابلة لليونانية من اللفظ العربي مع نسبة قليلة من المعرّبات. فمن كتب أبقراط المترجمة كتاب الفصول، وكتاب الكسر، وكتاب الأمراض وكتاب (أبيذيميا)، وكتاب الأخلاط، وكتاب (قاطينطيون)، وكتاب الماء والهواء، وكتاب طبيعة الإنسان.

أما كتب جالينوس فنذكر منها كتاب النبض، وكتاب شفاء الأمراض، وكتاب (الأسْطُقسات)، وكتاب المزاج، وكتاب العلل والأمراض، وكتاب الحمّيَات، وكتاب البُحْران وأيام البحران، وكتاب العلل والأمراض، وكتاب التشريح الكبير وتشريح الحيوان الحي وتشريح الرحِم، وكتاب حركة العضل وحركات الصدر، وكتاب الأورام، وكتاب الترياق، وكتاب (الكيموس).[18]

فنحن نلاحظ أنه من بين الاثنين وعشرين كتابا ورد تعريب أربعة منها فقط، بينما ترجم سائرها بلفظ عربي يقابل اليوناني بدقة.

أما أسماء الأدوية والأمراض فكثيرا ما عربوها أو أخذوها كما هي مثل «القولَنْج» وهو مرض مِعَوي مثل «السكبينج» و«الأحبلنجين» وهما نوعان من العقاقير. ومثل «المتريسوس» وهو الترياق المنقذ من مفعول السم، «سمي العقار باسم الطبيب المركب له». ولكنهم قالوا «التفسرة» للبول يقدمه المريض ليستدل به على نوع مرضه.[20]

ويلاحظ جورج سارطون أن مهمة نقل الآثار الفلسفية أو العلمية من اللغة اليونانية أو من اللغة السريانية إلى العربية انطوت على صعوبات كبيرة، فالتراجمة الرواد، وربما اللاحقون أمثال حنين بن إسحاق قد اضطروا إلى وضع كلمات جديدة لم يسبق استعمالها في اللغة العربية وكان أولئك النقلة إذا واجهوا نقل شيء من آثار أفلاطون أو أرسطو أو إيقليدس أو أرخيميدس أو أبقراط أو جالينوس، مما لا تعبير عنه في اللغة العربية لجأوا إلى أحد أمرين: فإما وضع مصطلح جديد، وإما اصطناع عبارة مفسرة للمصطلح الأصلي. فإذا شق عليهم الأمر أثبتوا الكلمة اليونانية بالحروف العربية، غير أن إيجاد المصطلح كان أكثر شيوعا لأن العربية بما لها من قدرة على الاشتقاق والنحت والنقل كانت تسعف بالحل الأول.[21]

إن عددا كبيرا بل عددا لامتناهيا من الكلمات العربية يمكن اشتقاقه من جذر عربي قديم، وليس من الضروري أن تكون تلك المشتقات مما ورد استعماله من قبل، في القرآن أو في غيره من النصوص، لأنه سرعان ما يعتبر عربيا بحكم صياغته واستعماله وتصريفه داخل السياق والنسق التعبيري حسب قواعد اللغة العربية.

ويمكن أن نمثل لقدرة اللغة العربية على مطاوعة الواضعين للمصطلح عند الترجمة الفلسفية في هذا العصر بمثال «رسالة الحدود» للفيلسوف العربي يعقوب الكندي (ن 260) التي جاءت بمثابة جواب عمن سأله أن يشرح الألفاظ التي يكثر استعمالها في كتب الفلاسفة التي يقع الالتباس غالبا في معانيها، وقد حدد الكندي في رسالته القيمة من الناحية التاريخية والفلسفية أكثر من مائة لفظ يستعمل في الفلسفة. وكلها وارد في تعابير الفلاسفة، كما نقلها النقلة وساهموا في وضع هذه المفردات الاصطلاحية بصورة من الصور.

ونرجع إلى هذه الألفاظ فنجدها قابلة للتصنيف في ثلاثة أصناف:

1- صنف من الألفاظ هي ألفاظ عربية أصيلة مشتقة أو جامدة كانت مستعملة في أساليب الكتاب والأدباء، إلا أن الفلسفة أكسبتها معاني ودلالات أخرى خاصة.

ومن هذا الصنف على سبيل المثال العلة والعقل والنفس والطبيعة والصورة والفعل والعمل والاختيار والحركة والزمان والمكان والرأي والمحبة والعلم والغريزة والقوة والمحال والكل والبعض وهذا الصنف يناهز الثمانين لفظا.

2- صنف من الألفاظ عربية الأصول إلا أنها اشتقت على صيغة لم تكن مألوفة الاستعمال أو استعملت في صورة المصدر الصناعي أو زيد لها وصف يقيدها.

3- صنف ثالث من الألفاظ عُرّبت من أصلها اليوناني، مثل الهيّولَى والفلسفة والأسْطُقُس والفانْطاسيا.

وعندما نما التصنيف في الفلسفة وفي شرح فلسفات اليونان نمت معه المادة الاصطلاحية فبلغت الألفاظ الاصطلاحية التي يقدمها سيف الدين الآمدي (-681) في الفلسفة في كتابه (المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين) نحوا من 260 مصطلحا، بحيث تجاوز ماذكره المصنفون قبله في المصطلح أمثال جابر بن حَيّان والكندي والخوارزمي وابن سينا بأكثر من ثلاثة أضعاف.

ونتأمل هذه المادة الاصطلاحية فنجدها تتكون من مادة عربية أصيلة في معظمها إن لم نقل إنها كلها كانت عربية الأصل. وقد لجأ الواضعون لتلك المصطلحات إلى حسّهم اللغوي العربي، فاعتمدوا أساسا على الاشتقاق والاقتباس، أي تنمية اللغة الفلسفية من داخل الأصول اللغوية، لا من الإضافة إليها إلا في النادر وعند الحاجة.

ويمكن تصنيف هذه المادة الاصطلاحية حسب طرق التوليد إلى:

1- صنف اعتمد على مشتقات قياسية كاسم الفاعل واسم المفعول من

أفعال مستعملة، لكنهم أعطوها معنى اصطلاحيا خاصا ومن قبيل ذلك قولهم المتواطئ، والمشكك والمتباين والمحمول، والموضوع والمترادف والتالي والمقولة.

2- صنف اعتمد فيه على النسب إلى المفردة نفسها لإفادة معنى اصطلاحي لم يكن مستعملا من قبل، ومنه قولهم مثل: الكلّي، والجزئي، والذاتي والموضوعي والحقيقي، والرسمي واللفظي والجوهري والعرَضي وأحيانا استعملت طريقة النسب السريانية، وهي زيادة الألف والنون فقالوا جسماني وروحاني ونفساني.

3- صنف اعتمد فيه على النسب إلى لفظ الاسم أو اسم الفاعل أو اسم المفعول مع زيادة تاء لإفادة المصدرية، وهو ماسماه المتأخرون بالمصدر الصناعي، كالحيوانية، والإنسانية، والبهيمية، والغيرية، والفاعلية والمادية، وتوسعوا في هذا الباب، فنسبوا إلى الحروف نفسها واصطنعوا منها مصادر صناعية للدلالة على معنى المصدر منها. فقالوا الكمّية من (الكمّ) والكيفية من (كيف) والإنّية من (إن) والأينية من (أين).

4- صنف من الألفاظ اعتمدوا في اصطلاحيته على الوصف للفظ أو بالإضافة إليه أو بوصفه بالجارّ والمجرور. فمن الأول قولهم القضية الموجبة، والقضية المهملة، والقضية الكلية والقضية الجزئية وقالوا المقدمة الصغرى والمقدمة الكبرى والقياس الجملي والعلة الصورية والعلة الفاعلة. ومن الثاني قالوا دلالة الالتزام ودلالة المطابقة ودلالة التضمن وقياس الدور وقياس الخلف، ومن النوع الثالث قالوا: الواحد بالعدد، والواحد بالتركيب، والواحد بالجنس، والمتقدم بالعلية، والمتقدم بالزمان، والمتقدم بالرتبة.

ومما لاحظه الدارسون في هذه الحقبة من تاريخ الترجمة من اليونانية إلى اللغة العربية أن النقلة من السريان اضطروا إلى نقل ألفاظ سريانية أو يونانية في ترجماتهم لكتب الفلسفة والطب والفلك وغيرها. وبما أن هؤلاء السريان كانوا ضعافا في اللغة العربية غير متمكنين من أساليب الاشتقاق والتصرف في أبنيتها وتراكيبها فإنهم لجأوا إلى «تعريب» كثير من الألفاظ السريانية واليونانية. غير أن هذه «المعرّبات» تناقصت جدا وكادت تختفي

عصرا بعد عصر. وذلك عندما انتقلت هذه العلوم إلى العرب أو الفرس المتقنين للغة العربية، فأصبحوا أساتذة لها في المدارس، ومصنفين للعلوم باللغة العربية.

ونحن اليوم لا نستطيع أن نستغني عن بعض تلك الألفاظ اليونانية التي غالبت الزمن، وأخذت طبيعتها «العربية» التي لا يظن العربي اليوم أنها كانت في الأصل يونانية مثل إبليس وإنجيل وإزميل، وأسطورة وإقليم وإكسير وبطاقة، وجنس وجسر وجزية، ودرهم ودكان وزبرجد، وسندُس وطِلّسم وفندق، وقانون وقرطاس، وكيمياء وقاموس.[22]

فإذا تجاوزنا مسألة المصطلح الفلسفي الذي كان من أكثر المصطلحات تعقيدا في اللغة العربية، ونظرنا في أساليب المترجمين الرواد من حيث هي نقل حرفي أو شبه حرفي للنص المترجم من لغته إلى لغة أخرى وأخذنا مثالا على ذلك كتاب أرسطو في الشعر الذي ترجمه أبو بشر متّى بن يونس القنائي من السريانية إلى اللغة العربية، فإننا نخرج بالملاحظات التالية التي ننقلها عن أحد الدارسين لهذا الكتاب المتخصصين وهو الدكتور شكري محمد عياد[23] الذي يلاحظ أن المترجم المذكور يقع فيها:

1- المفردات التي يستمد منها متى بن يونس تشتمل على كلمات عامية أو عربية محرفة وأخرى يونانية وسريانية وفارسية حديثة. فبخصوص الكلمات اليونانية نراه لا يلتزم بتعريبها أي نقلها كما هي عن اليونانية وكتابتها بحروف عربية بحسب صنف معّين.

ونراه يجاري اليونانية في استعمال أسماء مركبة من لا النافية. مثل اللاّفلاح، واللاّنجاح واللاّمتساوي واللاعتدال، ولاالناطق. وهو يصطنع نفس المنهج مع الألفاظ السريانية التي يستعصي عليه أو لايستعصي أن يجد لها مقابلا باللغة العربية.

2- الجمل عند متى بن يونس مزيج من التعبير العامي والفصيح مع عدم التقيد بالإعراب والتطابق بين الفعل وفاعله في العدد، واستعمال المضارع بمعنى المصدر.

3- وهو يتأثر بالجملة اليونانية بكثرة وفي نواح متعددة، ويستعمل الروابط الحرفية ويعاظل بين الجمل، ويعكس في أسلوبه تداخل الثقافة السريانية واليونانية في تفكيره.

ولولا أن شراحا لكتاب «الشعر لأرسطو» قاموا بتلخيص أفكاره وتقديم آرائه بلغة عربية أكثر وضوحا وإحكاما ودقة لما استطاع القارىء العربي أن يستفيد من ترجمة متى بن يونس[24]. فمن أولئك الشراح الذين بقيت لنا أعمالهم في تلخيص كتاب الشعر لأرسطو الفيلسوفان ابن سينا وابن رشد[25].

ويمكننا أن نستنتج من هذه الجولة في كيفية مواجهة اللغة العربية لحركة الترجمة لعلوم الأوائل ملاحظات أساسية منها:

1- أن حركة النقل أو الترجمة للتراث القديم إلى اللغة العربية على يد السرْيان في المرحلة الأولى اهتمت بالعلوم التي كانت الحاجة ماسة إليها في الحياة العامة كالطب والفلك، ثم الهندسة والحساب والميكانيكا والفلاحة والصيدلة.

2- أن الترجمة للكتاب الواحد كانت تتكرر على أساس إصلاح الترجمة الأولى وتنقيحها وجعلها أكثر وضوحا للقارئ العربي.

ومن هذا القبيل ما قام به حنين بن إسحاق من إصلاح ترجمات أصْطِفَن لبعض كتب جالينوس في الطب[26]. ومن ذلك أيضا أن كتب أرسطو تكررت ترجمتها، وأصلحت تلك الترجمات أو لخصت أو شرحت.

3- أن ترجمة العلوم كانت تتم في البداية عن اليونانية بتوسيط السريانية بمعنى أن النقلة السريان ترجموا ما في لغتهم من كتب اليونان، ثم تطور الأمر فأصبحت الترجمة تتم مباشرة من اليونانية إلى اللغة العربية، ومن الفارسية إلى اللغة العربية.

4- أن ترجمة الفلسفة اليونانية والمنطق جاء في مرحلة لاحقة لترجمة الطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم.

5- أن الفائدة من تلك الترجمات عمت أوساط العلماء والمثقفين

والراغبين في تعاطي تلك العلوم. فأخذ المسلمون في مدارستها والاشتغال بها شرحا وتلخيصا، ثم تحقيقا وتنقيحا ثم تأليفا وإبداعا، فنبغ في ظل الحضارة الإسلامية فلاسفة ومتكلمون وأطباء ورياضيون وفلكيون أصبحوا أعلاما في هذه العلوم، وكانوا بحق هم الحلقات الواصلة بين علوم الأوائل وانتقالها إلى الغرب ليفيد منها في انطلاق النهضة الأوروبية الحديثة.

وهذه الحركة العلمية الخصبة لم تظل حبيسة مراكز معدودة كبغداد وإنما تعددت مراكزها، ولاسيما بعد فقدان الخلافة العباسية لمركزيتها، فانتقلت الحياة العلمية والأدبية إلى مراكز أخرى في خراسان وما وراء النهر ومصر والشام والمغرب والأندلس. ومن أشهر البلاد التي ازدهرت فيها الحياة العلمية الأندلس العربية التي ورثت هذا النشاط العلمي عن المشرق، فعندما أخذت الخلافة العباسية تتعثر وتفقد مركزيتها في بغداد وأصبحت قرطبة محجا للعلم والعلماء ولاسيما في ظل الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر.

والخلاصة أن اللغة العربية واجهت التطور العقلي والعلمي والفلسفي الذي نتج عن انتشار المسلمين في أصقاع مختلفة واختلاطهم بشعوب شتى وثقافات متقدمة، فنمت ثروتها المعجمية عن طريق الاشتقاق والنحت والتعريب، والمجاز، ونمت قدراتها البيانية عن طريق ملاءمة التعبير لمنهجية التفكير، فأخذت المضامين الحضارية والثقافية تنقل الألفاظ من معان إلى أخرى عن طريق الاصطلاح تارة وعن طريق المجاز تارة أخرى، وكانت «آلية الاشتقاق» والصيغ والأوزان العربية تتوالد لتقدم القوالب التي تستجيب لعقليات جديدة ورؤى فكرية ومناهج علمية.

* * *

الحواشي

1- ناقش العلامة جورج سارطون مسألة الابتداع والتقليد لدى العرب المسلمين حين نقلوا التراث الشرقي القديم إلى لغتهم، وخلص إلى القول بأن دور العرب كان أساسا لحفظ التواصل الحضاري بين الشرق والغرب. أنظر بحثه (الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط) ص 50/49.

2- أنظر مقالة الأستاذ عبد الحميد العبادي: ثلاثة حوادث في التاريخ الإسلامي ساعدت على نمو اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد التاسع سنة 1953.

3- أنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، ج 696/8.

4- المرجع السابق ص: 705.

5- ورد الحديث في سنن ابن ماجة. أنظره في المرجع. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي 1137/2.

6- طبقات الأمم لصاعد الأندلسي تح: حياة العيد بوعلوان، بيروت دار الطليعة 1985، ص: 127/126.

7- العبادي: ثلاثة حوادث في التاريخ الإسلامي. المرجع السابق.

8- أنظر بحث الأستاذ مصطفى نظيف عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان «نقل العلوم إلى اللغة العربية» مجلة المجمع، المجلد التاسع 1953.

9- المرجع السابق.

10- أنظر كتابه «علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب» (النص المعرب) ص: 214.

11- بحث الأستاذ مصطفى نظيف، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المرجع السابق).

12- أنظر الفهرست لابن النديم، ص: 304.

13- المرجع السابق، ص 305/304

14- آل بختيشوع هم طائفة من السريان النساطرة أولهم جورجيس بن بختيشوع وهو طبيب المنصور العباسي، ثم ابنه بختيشوع بن جورجيس الذي استقدمه الرشيد من جنديسابور، ثم خلفه ابنه جبريل ثم ابنه، ولفظ بختيشوع معناه بالسريانية عبد يسوع. أي المسيح بن مريم. أنظر عنهم كتاب (التمدن الإسلامي) لجورجي زيدان، ج 158/3.

15- علوم اليونان لأوليري ص: 220/219.

16- بحث مصطفى نظيف مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة المجلد السابع 1953، ص: 248.

17- أنظر علوم اليونان لأوليري 232 وما بعدها.

18- المرجع السابق، ص: 237.

19- الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط لجورج سارطون، ص: 53.

20- أنظر مقالة: تطور الألفاظ والتراكيب والمعاني للأستاذ محمد كرد علي: مجلة مجمع اللغة العربية المج: 7 السنة 1953.

21- أنظر مقالة بندلي جوزي بجامعة باكو. مجلة اللغة العربية بالقاهرة، مج 1936/3.

22- أنظر كتاب أرسطوطاليس (في الشعر) نقل متى بن يونس - تحقيق ودراسة د. محمد شكري عياد، القاهرة 1967.

23- المرجع السابق، ص: 193.

24- قام محمد شكري عياد في تحقيقه لكتاب (الشعر) بعقد مقارنة بين ترجمة متى بن يونس وتلخيص أو شرح ابن سينا مما جعلنا نتتبع قراءة النص مع الاستعانة بشرح ابن سينا بصورة دقيقة. كما قام الأستاذ تشارلي بتروورث والأستاذ أحمد عبد المجيد هريدي بتحقيق تلخيص كتاب (الشعر) لابن رشد. الهيأة العامة للكتاب مصر 1987.

25- أنظر التمدن الإسلامي لجورجي زيدان، ج: 170/3.

26- أنظر أثر الترجمة في اللغة العربية، كتاب الدكتور محمد عبد الرحمان مرحبا (الجامع في تاريخ العلوم عند العرب) ص: 245/236، ط / منشورات عويدات 1989.

اهتمام الدولة العلوية بالترجمة العلمية : علم الفلك نموذجا

عبد الهادي التازي

لم يغفل المغرب عما كان يجري في أوروبا التي توجد منه على مرمى حجرة كما يقولون، سيما عندما كان سفراؤه يعودون من مهماتهم وقد دوَّنوا في مذكراتهم عن مشاهداتهم في تلك البلاد خلال القرن السابع عشر والثامن عشر... مشاهداتهم ليس فقط على الصعيد المعماري أو الاجتماعي والاقتصادي ولكن كذلك في الميدان العلمي الصرف الذي كان يأخذ باهتمام بعض سفرائنا من أمثال محمد بن عثمان المكناسي الذي أعطى في مخطوطته (البدر السافر) ترجمة حية لما تلقاه في قادس عام 1196هـ = 1782م من معلومات عن الأوكسيجين حيث «شاهد آلة يُجذب بها الهواء من بقعة ويُردّ إليها. وأروه مثلا لذلك فأُتيَ بآنية من الزجاج لا قعر لها ووضعوها على طبلة مركبة فيها تلك الآلة وآتوا بطائر من قفص وأدخلوه تلك الآنية وغُطي فمها، ونحن، يقول ابن عثمان، نرى الطائر من ظاهر الزجاج فقال المرشد: «إن داخل هذه الآنية مملوء بالهواء وفيه يجول نفس الطائر، وها أنا أحرك هذه الآلة وأجذب ما في داخل هذه الآنية من الهواء فلا يجد نفس الطائر مجالا فيموت، فأدار تلك الحركة مرات قلائل وإذا بالطائر اضطرب وسقط لحينه! فقال: إن تماديتُ على هذا العمل يموت وها أنا أردُّ له الهواء فيفيق، فأدار الحركة إلى الناحية الأخرى فدخل الهواء إلى الطائر...»

وفي اعتقادي أنه ما كان يمنع المغرب من الاستفادة مما يوجد في أوروبا إلا شيء واحد: ذلك هو الخوف من غزوها لبلاده عن طريق هذا العلم! فقد كان من المتعذر جدا أن يأخذ المغرب بجانب ويترك الجانب الآخر!

لكن الأحداث كانت تسير بسرعة زائدة في المنطقة، وهكذا أصبحت فرنسا جارة لنا في المغرب الأوسط عوض تركيا، الأمر الذي جعلنا نقدم مساعدتنا للجزائر... ولم يلبث المغرب - وهو يقدم تلك المساعدات أن دخل مع فرنسا في معركة إيسْلي (1260=1844) التي نبهت المغرب إلى ما يجب أن يكون عليه..! وقد أُتْبِعَت إيسلي باحتلال الجزر الجعفرية من قبل إسبانيا عام 1266=1848. وهنا ازداد وعينا بالجشع الأوروبي!

ومن هنا كانت صحوة المغرب على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن الذي وجدنا ابنه وولي عهده الأمير سيدي محمد يقوم بعدد من المبادرات التي كانت تعكس الرغبة المُلِحَّة في الخروج من حالة الركود.. كثيرة هي الأمثلة التي تترجم عن حركة الإقلاع تلك، فقد تجلت أولاً في البعثات الطلابية إلى الخارج، إلى القاهرة، وإلى بعض البلاد في أوروبا.

وتجلت في إنشاء مدرسة للهندسة بفاس الجديد، كما تجلت في العمل على استيراد الكتب العلمية والحث على نشرها تيسيرا على الذين يطمحون. هذا أيضا إلى إصلاح مناهج التعليم في جامعة القرويين وجعلها تستجيب لحاجيات العصر التي تقتضي تحصيل العلوم على تعبير الخطاب الملكي عام 1261=1885.[1]

وحتى يعطى ولي العهد الأمير سيدي محمد بنفسه المثل القدوة وجدناه يهتم بالعلوم البحتة، فيشجع على تلقينها ويعمل هو على تعريبها حتى تصبح في متناول الطلاب الراغبين. فإن البلاد ليست في حاجة فقط إلى الفقهاء والقضاة والكتّاب والشعراء، ولكنها في حاجة كذلك للأطباء والمهندسين ورجال المدفعية... وبهذا نفسر نشاط الحركة العلمية على ذلك العهد... ونفسر كذلك وفرة العلماء المهتمين بمثل تلك الحقول المعرفية، بل ونفسر مغزى استقدام (المخزن) لعدد من الخبراء الذين كانوا يعملون في جهاز الدولة.

واعتمادا على القولة الذكية التي يرويها ابن بسّام عن الحسن البصري رحمه الله: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن» شاهدنا طائفة من رجالات المغرب، تقليدا للأمير المذكور، يتنافسون فيما بينهم ويتعاونون في مجال الترجمة العلمية.

وإثراء للموضوع سنقدم عملين اثنين: كلاهما يتصل بهذا الأمير الجليل:

كانت البداية أنه قام بعمل جرئ للغاية، ذلك أنه أشرف على تعريب موسوعة كبيرة في علم الفلك تقع في ثلاث مجلدات وأحضر لذلك لفيفا من العلماء فكان يراجع ما يكتبون عن كثب إلى أن أنهى العمل في الكتاب عام 1882=1268.

وقبل أن نأخذ فكرة كاملة عن المنهاج العلمي الذي سلكه الأمير في ذلك التعريب أرجو أن أقدم مؤلف الكتاب المعرَّب حتى نعرف قيمة الشخص الذي قام بالتأليف، ونعرف من خلال ذلك الدرجة العلمية للأمير وهو يقوم بعملية الاختيار.

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره!

كان ذلك العالم الفرنسي هو جوزيف جيروم لالاَنْد Joseph Jérome Lalande عضو أكاديمية العلوم بباريز ابتداء من سنة 1753، وقد كان أستاذا لعلم الفلك في كوليج فرنسا في عام 1762 وقد أصبح منذ عام 1768 مديرا للمرصد الذي أنشأه هو في المدرسة العسكرية بمشاركة ابن أخيه ميشيل جان جيروم لالاند وزوجة هذا الأخير ماري جان إميلي لالاند، انكب على الدرس وجمع عددا هاما من الملاحظات ضمنها كتابه (Histoire Celeste Française) حيث وصف أكثر من 47000 نجم!

ومن بين كتبه نذكر (Traité d'astronomie) الذي صدر عام 1764 والذي ظل لوقت طويل مصدرا من المصادر الهامة حول هذه المادة، وإلى جانب كل هذا صدر له عام 1803:

" La bibliographie astronomique "(2)

من بين هذه المؤلفات اختار ولي العهد الأمير سيدي محمد هذا الكتاب الأخير الذي يلخص الحصيلة العلمية لجوزيف لالاند طوال فترة فسيحة من حياته.

سأضع صفحة من المخطوطة التي تحتفظ بها الخزانة الحسنية بالقصر الملكي أمام الذين يهمهم الأمر لنعرف مدى الجُهد الذي بذله الرجل من أجل أن يجعل زملاءه من علماء الفلك، في نفس الجوّ الذي كان يعيشه الأمير وهو يفتح آفاقه على ما تجدد في أوروبا من تطورات حول علم الفلك.

والطريف في خطاب الأمير المذكور أنه، وهو يقدم للكتاب، كان يشعر بالاعتزاز والفخر عندما يقول في البداية: «أما بعد فيقول العبد المتوكل على الله، المعتصم في جميع أموره بمولاه، محمد بن أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام:

«إنني لما نظرتُ في هذه العلوم الرياضية التي فيها الحساب والهيئة والهندسة... وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض فيها لا يكون بمجرد التقليد فيها... ولما كان ذلك لابد فيه من الرصد للأجرام العُلْوية... بحثنا عن أقرب الأرصاد إلى زملائنا فوجدنا كتاباً حفيلا عجيبا، مانعا جامعا لكل ما يحتاج إليه الناظر في هذه الصناعة... ناهيك من كتاب لا يدرك وصفه الواصف بمقالة مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات... وتأييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية، والأشكال الهندسية والأمثلة العددية والأقيسة الجبرية... إلا أنه باللسان والقلم الأعجميين لأن مؤلفه من أهل باريز وكان رصده سنة 1793».

«وكان من فضل الله علينا أن حضرتنا العالية بالله قد احتوت على جماعة وافرة ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة... حتى أصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ومطافا للعلماء من جميع الآفاق من كل عارف بالألسنة والأقلام... فأمرناهم بتعريب الكتاب المذكور، وإخراجه من الظلمات إلى النور... وكل ذلك بمرآى منا ومسمع، ومحضر لنا ومجمع. تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح... حتى برز بحمد الله في أحسن الصور وأجملها وأتم الوجوه وأكملها...»

إلى جانب هذا التقديم الجميل نجد الأمير الجليل يكشف عن المبدأين الإثنين اللذين اتبعهما في خطته:

المبدأ الأول أنه لا يتكلف إطلاقا في التعريب أي إنه لا يتعثر لكي يبحث عن لفظ تقني عربي قد يجده وقد لا يجده..! ولكنه يضع المصطلح كما هو إلى أن يفتح الله بالحصول على المفرد المطلوب باللغة العربية الفصحى! وكان هذا المنهج يذكرني جيدا فيما قرأته في كتاب (الجامع) للطبيب الصيدلي ابن البيطار الذي ينصح بل يلحّ على أن يكون هذا هو المنهج المتبع بالنسبة للذين يقتبسون من الكتب بأي لغة كانت... وهذا هو السر في أن مفردات ابن البيطار نجدها أحيانا باللغة العربية وأحيانا بالبربرية أو اليونانية والرومانية... ومن أجل ذلك كان يحكم القبضة على مادته لكنه مع هذا يذكر الأدوية بأسمائها المعروفة بها في تلك اللغات. وقد أفادنا ابن أبي أصيبعة في موسوعته عن طبقات الأطباء قال: «إنه، أي ابن جُلْجُل ترجم أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديوسْقوريدِس Dioscorides وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها وقال: إن هذا الكتاب ترجم أولاً بمدينة السلام وكان المترجم له هو اصطيفان ابن باسيل (Istifan B. Basil) الترجمان من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، فما علم اصطيفان من تلك الأسماء اليونانية في وقته أن له أسماء في اللسان العربي فسّره بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي..! فاتكل اصطيفان على أشخاص ياتون بعده ممن قد يعرف أعيان الأدوية التي لم يعرف هو لها اسما في وقته...» إلى آخر النص المفيد الذي أورد بالكامل ابن أبي أصيبعة عند ترجمة الطبيب ابن جلجل.

وهذا المبدأ الأساس هو الذي وقع عليه اختيار الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمن عند ترجمته العلمية لموسوعة (لالاند)...

لقد قال الأمير في مقدمته بالحرف:

«واعلمْ أن ما تقف عليه في هذا التقييد من الألفاظ الباقية من غير تعريب قد اقتضى الحال بقاءه كذلك باللفظ العجمي لأنها إما أسامي كتب أو أسامي الواضعين من اليونان والفلاسفة أو بلد من بلدانهم».

ويلاحظ، نتيجة لهذا أن المصطلحات تبقى عند الأمير على حالها مرسومة على الشكل الذي اختاره لها المؤلف الأصلي... كما يلاحظ أيضا – وهذا مهم – أن الأرقام لا تكتب بالهندية التي أشاعها العثمانيون في بلاد المشرق ولكنها تكتبُ على الطريقة المغربية التي عرفت منذ أيام ابن الياسمين في القرن السادس الهجري، وهي التي تحمل في الإصطلاح الغربي اسم الأرقام العربية Les chiffres arabes. وهكذا نجد أن هناك مبادئ محددة للترجمة العلمية في المغرب الأقصى منذ أزيد من قرن ونصف من الزمان...

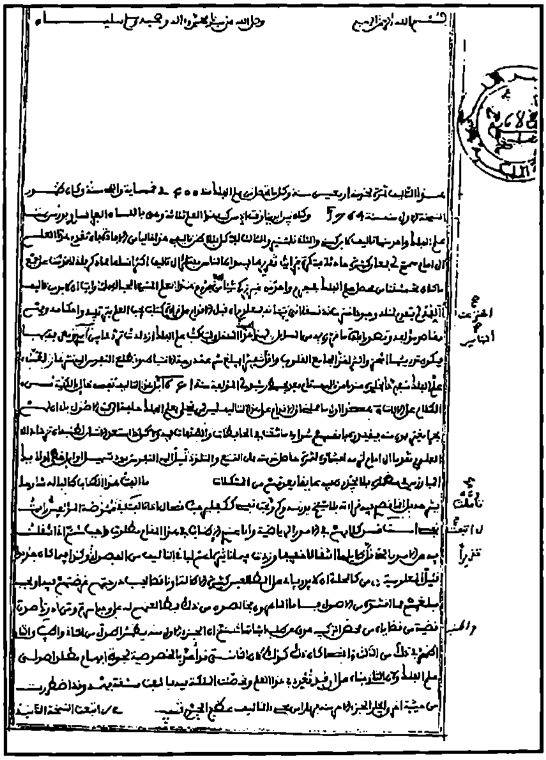

جانب من ترجمة الأمير وفريقه للمخطوط، عن الخزانة الحسنية، والنسخة رقم 2686، وتبتدئ هكذا: هذا التأليف ثمرة لخدمة أربعين سنة وكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2400 سنة...

فهل كان هذا كل ما قام به الأمير سيدي محمد؟

إن هناك عملا علميا آخر لا يقل أهمية عن الأول، ويتعلق الأمر هذه المرة بعمل إبداعي رفيع قام به وهو ما يزال أيضا خليفة لوالده. وهكذا وقفنا على رسالته التي يصف فيها طريقة الاستفادة من آلة اخترعها هو لاستخراج المطالب التوقيتية... وقد اختار لهذه الرسالة اسما لا يخلو من إشعار بمركزه:

«نخبة الملوك لمن أراد إلى الأوقات أو القبلة سلوك»

مخطوطة هذه الرسالة التي أضعُ صفحة منها أمامكم كذلك توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط، وهي تبتدئ هكذا:

«قال العلامة ابن تاج ملوك المسلمين الخليفة أبو عبد الله سيدي محمد بن أمير المؤمنين...»

إلى أن يقول:

« ... وإذا كانت العلوم مِنَحاً إلاهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عجز عنه كثير من المتقدمين، فنعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف، ولما علمتُ أننا، لما رأينا أن مزاولة الآلات صعبة التناول... اخترعتُ شكلا ثابتا شافيا كافيا لما صنف قبله... وسميتُ الرسالة: بنخبة الملوك إلخ...»

وقد أفاد الأمير في هذه الرسالة أنه عهد إلى بعض أصحابه بصنع هذه الآلة بعد أن وضع تصميمها... وأن هذا الطالب الذي كان يحمل اسم محمد الأشخم نفذ الإشارة فأتقن الآلة وطرزها ففاقت الرومية الآتية من بلاد الروم...

وهكذا نلاحظ أن هناك متابعة جدّية - على صعيد القمة - لما كان يظهر في أوروبا من مخترعات وأدوات... وبخاصة في المجال العلمي الصرف.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

قال العلامة ابن تاج ملوك المسلمين الخليفة

أبو عبد الله سيدي محمد ابن أمير المؤمنين

عن مخطوطة الخزانة العامة رقم د. 266 وتبتدئ: قال العلامة ابن تاج ملوك المسلمين الخليفة أبو عبد الله سيدي محمد بن أمير المؤمنين.

وإذا عرفنا أن السلطان مولاي الحسن (الأول) كان وليا للعهد للسلطان العلامة محمد الرابع أدركنا إذن ما يمكن أن يتميز به عصر هذا الملك العظيم الذي نجد أن في أول ما قام به في هذا الميدان إنشاء مدرسة أخرى للترجمة هنا في مدينة طنجة... كان المهندس المغربي الزبير سكيرَجْ من خريجيها... لم تكن هذه المدرسة الحسنية معدّة للترجمة بين الناس فيما يتحدثون به من القول المعتاد ولكن مدرسة للترجمة العلمية يتخرج عنها المهندسون، ويكفي أن نذكر أن موادها كانت تعتمد على الحساب والهندسة والتنجيم والجغرافيا علاوة على

تعلم اللغات الأجنبية على ما تفيده المراسلات الحكومية التي يحتفظ بها الأرشيف المغربي...

وقد ظهرت نتيجة لهذا نخبة من رجال العلم الذين تركوا لهم بصمات في حقول الترجمة العلمية.. وعلى صعيد التأليف كذلك على نحو ما قلناه عن المرحلة السابقة... بل إن في هؤلاء من وصلت أصداؤهم بلغات أجنبية، إلى الخارج..! وأقصد إلى من سماه الدكتور فايسجيربير F. Weis-gerber (1868=1946) في إحدى محاضراته بتاريخ أبريل عام 1933 في فاس أثناء انعقاد مؤتمر معهد الدراسات العليا[3] أقول سماه الحاج أحمد السوسي، وقد التقى به صدفة وكلاهما يؤدي مهمته المعهودة إليه في المكان الذي يحمل اسم «صخرة الدجاجة» الذي يعني موقعا جغرافيا بدائرة وادي زم... وقد تردد ذكر الصخرة أثناء الحديث عن الحركات العسكرية التي كان الملوك المغاربة يقومون بها بين الفينة والأخرى وخاصة السلطان مولاي الحسن الذي تعتز المنطقة هناك بأنه كان يفضل أن يجعل من منطقتهم محطة راحة واستجمام!!

فعن طريق ذلك الطبيب قرأنا عن الحاج أحمد السوسي الذي تردد بعض المؤرخين المغاربة في التعريف به حيث قرأنا اسم أحمد الصويري كما قرأنا اسم: أحمد بن عبد الله، وقرأنا أبا العباس أحمد بن عبد الحسني الإدريسي التناني...[4]

قال عنه فايسجيربير إنه في أول لقاء مع هذا الرجل عندما راج الحديث حول الطب وجرى ذكر اسم جالينوس وأبُقراط أظهر الحاج أحمد السوسي اهتماما كبيرا ليتعرف أكثر على هذين الطبيبين اليونانيين، وقد علم الطبيب الفرنسي أن محاوره درس بفاس وأنه مولع بالعلوم البحتة، إذ إنه أطلع على جميع المخطوطات القديمة التي وقف عليها بخزانة جامع القرويين أو عند الخواص من علماء فاس، وإنه أي الحاج أحمد تعرف على كتابات كبار الأطباء والفلاسفة العرب أمثال ابن سينا وابن زهر وابن رشد، وقد اتضح لفايسجيربير أن الحاج أحمد السوسي له دراية واسعة بعلوم الهندسة والجبر بل وفي علم النبات والحيوان... كما أنه قام ببحث عدة سنوات في موضوع

التحولات الكيميائية للمعادن مثل الفضة والنحاس والرصاص والزئبق والكبريت والكحل، كما أنه يحسن استعمال الأسطرلاب والبوصلة، والذي أدهش الطبيب أكثر هو الأفكار التي يحملها الحاج السوسي حول الجغرافيا وعلم الكون...

وبعد أحاديث لاحقة مع الحاج أحمد حول الأنواع الثلاثة للأمراض التي يمكن أن تصيب الإنسان في المغرب وحول أنواع العلاج بما فيها الجراحة، من الختان إلى جبر الكسور إلى إزالة الغشاوة عن العيون... وبعد تبادل الهدايا بين الجانبين يتحدث فايسجيربير عن اختفاء الحاج أحمد الذي عهد إليه بمهمة في الجنوب المغربي... وهنا يدلي بشهادة في حق هذا العالم المغربي بقوله: إنه يحتفظ له بذكريات جميلة، وإنه معتز بالتعرف على هذا الفيلسوف المغربي..!»

هذا الرجل هو الذي ترجمت له بعض المؤلفات المغربية ولكن من غير أن تنعته بالحاج... ولكنها ذكرت أن له مؤلفات... وأنه كان يفزع إليه في فنون «التعاليم» وأنه استعمل كاتبا وخليفة لوزير الحرب في العشرة الثامنة من القرن الثالث عشر أي في أواخر عهد الملك محمد الرابع الذي عرفنا عن مركزه العلمي والذي عين أحمد السوسي رئيسا للمهندسين.

وقد حظي بنفس المركز لدى السلطان مولاي الحسن الأول الذي سماه رئيسا لقواد الطبْجية وخليفة لوزير الحرب وكان يوجهه في القضايا الهامة.

هذا العالم الجليل الحاج أحمد السوسي هو الذي نقف اليوم مع بعض ما عرفناه من تآليفه العلمية التي نذكر منها:

أولا: كان من أوائل آثار الحاج أحمد السوسي رسالته في شرح طريقة العمل بجداول اللوغاريتمات، وقد سماها: (غُنية الطالب وتذكرة اللبيب وإثمد لكل محب وحبيب). وتوجد نسخة منها في المكتبة الصُّبيحيّة في سَلاَ ضمن مجموع يحمل رقم 2/150.

وقال: إن الفراغ من تقييدها كان يوم الإثنين 11 صفر الخير عام 1278 (18 غشت 1861)[5] أي في أوائل مملكة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن.

والذي جعلني أذكر هذا التأليف ضمن المحاولات الأولى للترجمة العلمية أن الحاج أحمد السوسي يظهر من خلال الكتاب كعالم كبير يستفيد مما ترجمه عن اللغات الأجنبية بل إنه أكثر من هذا يعلق على ما يزعمه بعضهم من قصور اللغة العربية عن القضايا العلمية ويؤكد أن العرب أصلاء في هذه الميادين!

وهو يقول في مقدمة تأليفه: وغير خاف أننا نلنا من طول مولانا المنصور بالله قطب فلك العز والظفر الذي تجري المجرة في دائرة عزه... ناصر الملة المحمدية... أمير المؤمنين مولانا أبي عبد الله سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن...

ومن المهم أن نذكر هنا أن المؤلف وهو يعقب على ذكر مخترع الجداول اللوغاريتمية المعروف تحت اسم نابيي Napier والذي يدعونه بنيبر (Neper) أقول يعقب السوسي على تلك الجداول العامة النفع الحسنة الإفادة بقوله الذي يدل كما قلت سابقا - على أن الرجل يعيش مع أحداث عصره وأنه على صلة باللغة العلمية التي تؤلف بها كتب الفلك: قال:

«إعلمْ أن الروم مسبوقون بما ادعوا اختراعه من هذه الأسوس الأصلية والنسب الأساسية ولا فضيلة اختراع لهم لأن علماء الإسلام - أبقى الله بركتهم - هم المتكلمون في ذلك، والمؤسسون له قديما، وقد نص على ذلك ابن البناء في التلخيص وفي الأصول والمقدمات من علم الجبر، ونظمه الإمام الفاسي، ثم الإمام ابن غازي...»

نعم يقول أحمد السوسي: للروم مزية الاعتناء بتلك الأصول وإمعان النظر فيها واستقراؤها وتنوع جزئياتها واستخراج ماهو منها في القوة إلى الفعل وتدقيق معانيها حتى صارت دعاويها النظرية كأنها بديهية، ثم استعانوا على تسهيل ذلك بتركهم أخذ الجذر الغير المنطق بالكتابة، بأن أخذوه تقريبا ودققوه بواسطة الكسور الأعشارية، وبعد تحصيلهم لذلك سطروه في جداول وسموها جداول اللوغاريتمات فنسب لهم اختراعها!!

ومن الأدلة الواضحة - يقول الحاج أحمد السوسي - على أن ما ادعوه

باطل أن معنى اللوغاريتم بالعربية الأُسّ، وأن النسبتين اللتين بهما استعانوا على تسهيل ما سطروه في تلك الجداول هما النسبة الهندسية والحسابية، أعني التناسب على الكيف والكم، وهذا أمر معلوم في أصول الحساب، وقد نظمه ابن غازي في (نظم المنية). ومن خواص هاتين النسبتين استخرجوا ما سموه باللوغاريتم، وما ادعوا اختصاره من الأعمال الحسابية بواسطة اللوغاريتمات، فأصله معلوم ومقرر في كتب علمائنا أبقى الله بركتهم!

وفي الفصل السادس عشر من مخطوطته هذه (غنية الطالب) وجدناه يعلّق أيضا بجرأة وثقة في النفس على ما ورد في هذا البحث عن استخراج مقادير الجيوب والظلال ولوغاريتماتها المثبتة في الجدول الثاني والثالث من جداول اللوغاريتمات الثلاثة من الجدول الأول الذي هو الأصل، قال:

«لم أقفْ على مَن نص على ما يستخرج به ما ذكر إلا أنني سمعت من بعض المهندسين الممنون عليه: أن القاعدة في ذلك أن تفرض تجزئته خطاً مستقيما لأجزاء كثيرة، ويتخذ أساسا لذلك، فلم يفدني منه هذا الكلام شيئا، فأعرضتُ عنه واشتغلت أبحث عن المقصود فيما تحت اليد من اللوغاريتمات الفرنسية والإنجليزية مع أن رسائلها كلها باللغة العجمية وإنما أصفح أمثلتها لعلي أعثر على المقصود أو على ما يشير إليه فوقفت على ترجمة في لوغاريتم النْجليز تكلم فيها على استعمال الجدولين الأخيرين من اللوغاريتم المرقوم في أحدهما نسب الجيوب والظلال، وفي الآخر نسب الأعشار في الأعمال الفلكية... فجمعت هذا لما سمعته من المهندس المذكور فغلب علي الظن أنه المقصود فصورت له شكلا وامتحنته فوجدته المقصود، وأعماله صحيحة، له الحمد وله المنة». ويتساءل أحمد السوسي عن أسباب سكوت الشيخ إبراهيم الدسوقي في مؤلفه (ثمرة الاكتساب في علم الحساب) عن هذا المعنى، مع أنها من المهمات قال: «ولعله لم يترجم في الأصل الفرنسي الذي يرجحه مدير المدارس المصرية ومفتش الأمور الحربية أمير اللواء أدهم بك...»

لقد تعمدت إيراد هذا النص على طوله لنتأكد من علوّ نفس أحمد السوسي الذي يعتبر من علمائنا الكبار المنسيين...

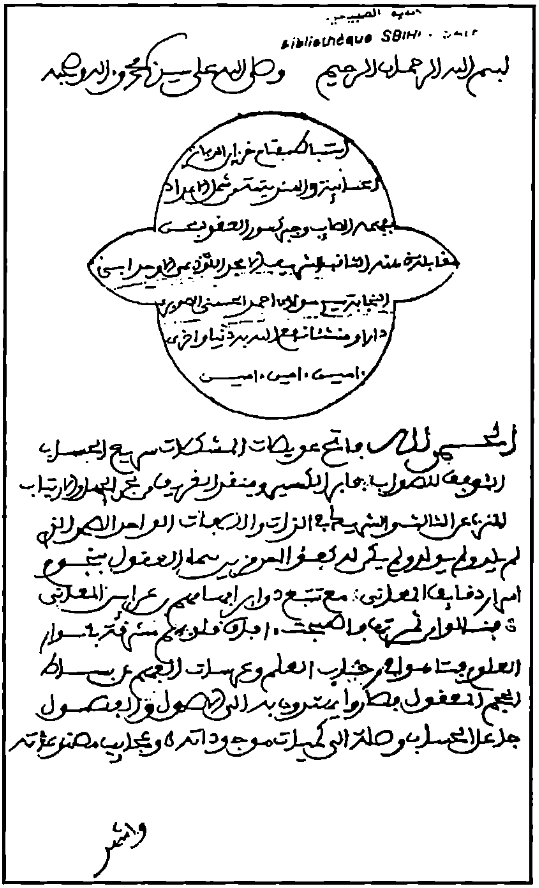

الورقة الأولى من مخطوطة الحاج أحمد السوسي وهي محفوظة بالخزانة الصبيحية تحت رقم 2/150 وفيها يشيد بالمجهود العظيم الذي لعلماء الإسلام فيما يتصل باللوغاريتمات.

ثانيا: ومن أعمال الحاج السوسي العظيمة ترجمته لرسالة على آلة حسابية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية التي ينعتها باللغة الشريفة، وينص نصا على أنه ترجمها بالمعنى وتصرف فيها بعض التصرف، وأنه تحاشى فيها ذكر ما لا طائل تحته، وأنه أضاف أمثلة أخرى رغبة في زيادة الإيضاح وأنه علاوة على ذلك نبه على نكث أغفلها المؤلف في الأصل...

ويتعلق الأمر بتآليف يعالج إريتمومیطر Eritmometre أي الحساب المقياس، ومن الطريف أن نجد الحاج أحمد السوسي يثبت في أول ورقة من

المخطوط نماذج من الحروف التي نعتها باليونانية ويقابلها بنظيرها في اللغة العربية:

A-B-C-D-M-N-O-P = أ–ب–س–د–م–ن–و–ب–

وبناء على هذه الحروف أخذ يعالج داخل التآليف المعرب طريقة الاستفادة من الآلة الحسابية المذكورة وهو يقول في آخر الرسالة «إن الفراغ من تعريبها كان يوم الأربعاء خامس ذي الحجة الحرام عام إحدى وتسعين واثني عشر مائة من الهجرة (13 يناير 1875 بداية أيام السلطان مولاي الحسين) وقد وضع خاتمه في الآخر وهو يحمل هذه العبارة: أحمد بن عبد الله – مراكش.

وهذه الرسالة تحمل في الخزانة الحسنية رقم 1738 وهذه صورة لجانب فيها:

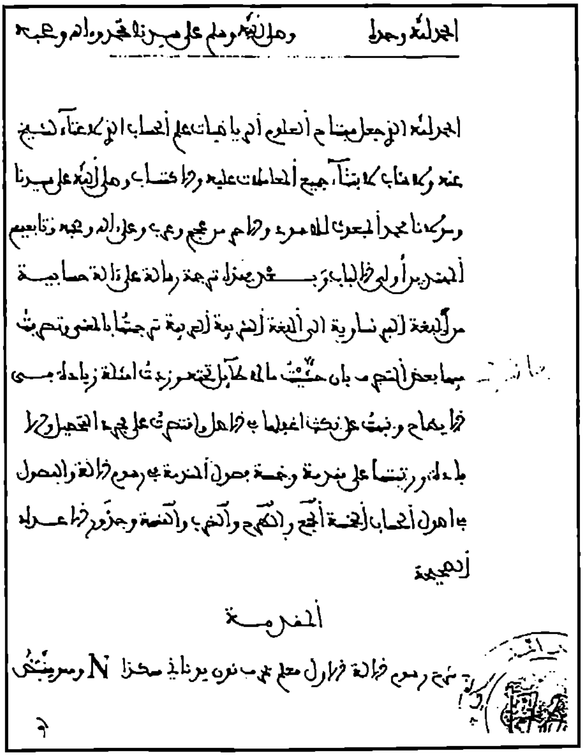
الحمد لله وحده

المقدمة

ترجمت بالفرنسية لرسالة تتعلق ب إريتموميطر Eritmometre وهي محفوظة بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي رقم 1738 من تأليف الحاج أحمد السوسي.

ثالثا: أما عمله الثالث فإنه نظرا لاهتماماته بفن المدفعية، واعتبارا لكونه سمي من لدى السلطان مولاي الحسن الأول رئيس قواد الطبجية، فإنني على مثل اليقين من أنه هو الذي قام بترجمة التأليف الفرنسي في علم الطبجية، وقد جعله تحت عنوان «التفكير في عمل ما يصلح للطبجية».

وقد قام المترجم بتعريب عناوين المقالات التي تضمنها التأليف الفرنسي والتي تبلغ أربعا وعشرين مائة مقالة ويوجد هذا المخطوط كذلك بالخزانة ضمن مجموع عمل رقم 124... وهذه صورة للمقدمة:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تأليف في المدفعية، نعتقد أنه من تأليف الحاج أحمد السوسي الذي كان رئيسا لقواد الطبجية على عهد السلطان مولاي الحسن، وهو من مخطوطات الخزانة الحسنية رقم 124.

وبعد فتلك نظرة عاجلة عن المحاولات التي ظهرت قبل نحو من قرنين عن الترجمة العلمية التي كان يقصد بها أصحابها الالتحاق بركب الحضارة... وقد كان من الممكن أن تستمر المسيرة في ازدهارها وتطورها لولا تآمر المصالح الاستعمارية على إفشال كل الخطوات التي يحققها المغرب في طريق تقدمه إلى أن وقع في شَرَك الحماية التي كانت بدورها تحاول أن تعوض لغته العربية بلغة أخرى تفصله عن ماضيه، فكان النضال وكانت المقاومة إلى أن استعادت البلاد سحنتها وهي الآن تحث الخطى من أجل المواكبة ولكن في إطار الحفاظ على المقومات الأساسية التي في صدرها لغة القرآن الكريم...

الحواشي

1- د. التازي: تاريخ جامع القرويين ج III ص 727 - طبع دار الكتاب اللبناني بيروت 1972.

2- Michel Mourré: Dictionnaire d'Histoire Universelle, Paris 1968.

3- نشرت المحاضرة بمجلة نشر إفريقية الفرنسية (BCAF) لسنة 1934

Actes de VIIIe congrès de L.H.E.M. Hesp. Année 1934.

أحمد عفاش: علاقات الطبيب الفرنسي فايسبرجر ببعض الشخصيات المخزنية المغربية، جريدة العلم، الأحد 1995/11/26.

4- العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام ج 2 ,453 - المطبعة الملكية، الرباط 1974.

محمد المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث 1392-1973 ص 105-152-169.

5- ذ. محمد المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث ج مطبعة الأمنية الرباط 1392=1973 ص 170.

الكتابة العلمية في العربية المعاصرة : مستواها الحالي وأهم العوائق في طريقها

محمد سويسي

أيها الزملاء العلماء، تحية أخوة وولاء وتقدير

بين الفينة والأخرى يقوم فينا داع إلى ندوة تجمعنا أو ملتقى نلتئم فيه للنظر في وضع اللغة العربية في العصر الحاضر ومدى مالها من إمكانية المواكبة للفكر العلمي، ولتحديد مفهوم التعريب وضبط أهمية الترجمة حضاريا ودورها في نشر الوعي العلمي الذي يعد الخطوة الأولى نحو الإبداع والابتكار، ولخوض ما سمي بمشكل المصطلحات العلمية والتقنية...

وكأني بالداعي لهذه البحوث والدراسات إنما هو في الواقع وخز في الضمير وقد أخل بواجب مقدس نحو لغة حلت منا في الأفئدة وسرت محاسنها في الشرايين والأوردة.

فسنقتصر فيما يلي من هذا الحديث على عدد من الآراء العامة التي قد يكون لها أثر فيما نصل إليه من نتائج، وهي خلاصة لنظرات كثيرا ما عرضناها منذ سنة 1960 في مناسبات متنوعة، نجمعها ونجعلها منطلقا لنقاشاتنا التابعة.

1- إن البحث العلمي لم يعد ترفا تمارسه بعض الأمم المتقدمة وتحتكره

بعض المجتمعات النامية، بل هو ضرورة تحتاجها البلاد النامية كما تحتاجها البلاد المتقدمة.

2- إن المستوى العلمي في بلد مّا يعبّر عنه بما يوجد فيه من أمهات الكتب الجامعية الشاملة الموسعة، وبما ينشر في البلد من دراسات وبحوث ومقالات في الاختصاصات العلمية.

3- أضحى من المسلّم أن التمكن من المادة العلمية يكون أوثق وأقوى وأيسر إذا ما لقنها الطالب بلغته الأم... فمن البديهي أن تكون المنشورات العلمية بلغة البلد حتى يكون في متناول أهله أن يستنيروا بها وأن يتزودوا منها ويبنوا على أساسها، وتكون لهم مرجعا مهما فيما يلجوه من باب الاختصاص.

4- لا يمكن أن تكتسب العلوم بالاقتباس والنقل فحسب، ولئن صح هذا في بداية الأمر فلا يصح للاندفاع نحو النهضة.

5- إني أنطقت قديما لسان حال العربية بقوله «أعطوني العلماء أعبر لكم عما لم تنطق به الألسن من قبل!».

فلا يمكن إذن أن تتقدم وأن تتجدد في الميدان العلمي والفلسفي والاقتصادي والفني مالم يتكون من أبناء العربية علماء راسخون في العلوم سائرها والفنون كافة، ينتجون في جملة فروعها، ويكشفون اللثام عن مفاهيم ما فتئت تتجدد ويستنبطون طرقا مستحدثة، فيعبرون عنها بما يرونه لائقا بها موافقا لمدلولها ومضمونها.

ويزيد ذلك اللغة ثراء ويبعث فيها دما حيا فتصير متبنية للمعاني الجديدة، وعنها تؤخذ وتنقل إلى سائر اللغات، ويتيسر بذلك التبادل بينها، ويتسع مجال اللغة ويتضخم مابين دفتي معاجمها...

6- إن الراسخين في العلم من العرب، اليوم - من فضل الله - كثرة وعددهم ما فتئ في ازدياد... بل إن العدد العديد منهم آثر هجرة الأوطان، واستقر في بلاد الغربة ونشر فيها ما جادت به قريحته في لغة العجمة مدعما إياها بذلك، نابذا لغته الأم... ولكن هؤلاء مهما بعدوا عن الوطن فالوطن دوما فيهم أقرب من حبل الوريد...

7- لا وجود لثقافة لا يندمج ضمنها النشاط العلمي، ولا بد من دعم اللغة القومية كوسيلة للتفكير وتجسيد له... على أننا لسنا ندعو إلى التقوقع المتزمت على الذات، بل إن من يريد التوسع في اختصاصه لابد له من الإطلاع باستمرار على ما ينشر في حقله في اللغات الأجنبية جميعها .ولذا يتحتم على الباحث أن يتقن العديد من اللغات وأن يعدد مراجعه العلمية بالاستعانة بما تنتجه الترجمة والنقل عن الكتب العلمية المحررة باللغات الأجنبية...

ولابد لنا أن نشير بكل أسف أن حركة الترجمة العلمية العربية مافتئت هزيلة بعيدة عن الكفاية من حيث الكمّ، بعيدة عن المستوى اللائق من حيث الكيف... هذا بالرغم عما أقر إنشاؤه من مؤسسة عربية للتأليف والترجمة والنشر، وما وافق عليه مؤتمر وزراء الثقافة العرب (ببغداد في شهر 1981/11) من مشروع خطة قومية للترجمة، وما تم بالفعل من إنشاء لمركز عربي للتعريب والترجمة بدمشق سنة 1991.

* * *

نخرج مما سبق بنتيجة أولى، متأكدة هي حتمية تعريب العلم والتعليم، ومن ضمنه تعريب الفكر والتفكير.

وذلك أننا نرى أن الهدف من التعليم، ولا سيما التعليم العالي، هو الأخذ بيد الطالب كي يتكون تكونا متكاملا يبرز شخصيته ويوضح هويته الأساسية، ويفتق مواهبه الكامنة كي يغدو مواطنا صالحا إيجابيا، في وطن محدد، في مقدوره التفاعل مع البيئة التي سيعيش فيها ومع المجتمع الذي سيكون فردا من أفراده...

فلا يعود مضطرا إلى التفكير في الهجرة وفي مفارقة الأهل والأوطان للبحث عن موطن ثان يتلاءم مع تكوينه الجديد...

وبالاختصار إن الجامعات والمعاهد العليا إنما أنشئت بالبلدان العربية لخدمة المجتمع العربي، بما له من خصوصيات وطرافة، ولن يتم ذلك ما لم تجعل العربية «جسرا واصلا بين المتعلمين والمختصين وبين أفراد الجماعة الآخرين».

ولن يتمّ لنا ذلك مالم يتغلغل في نفوسنا الإيمان بهذا المبدأ، ولن يجدي البحث الأساسي نفعاً مالم يشرع في تطبيق مناهجه ونتائجه... وسيبقى الغُنم منه قاصرا محدودا مشلولا ما لم يواكب خطوة الترجمة والتأليف والنشر دعم حقيقي من قبل أكثر المجموعات استهلاكا للإنتاج الفكري العلمي، أعني مالم تساير الجماعات والمعاهد العليا حركة التعريب، ومادامت الدروس تلقى في كليات العلوم ومعاهد الهندسة المتنوعة باللغة الانكليزية أو الفرنسية...

وإلى هذا المعنى أشارت الدكتورة بنت الشاطئ منذ سنة 1970 بقولها: «كانت الجماعات في واد وجهود العلماء والهيئات في تعريب العلوم ومصطلحاتها في واد آخر».

ولسنا مبالغين إذا قلنا: «إن الطالب المتوسط عندنا يفقد لغته ولا يتقن لغة التدريس بالضبط كالغراب الذي قلد مشية غيره، أو كالخفاش الذي لم يجد لنفسه خؤولة بين الفئران ولا في الطيور أعماما».

هذا وإن اللغة ذاتها لا تحيا وتنمو إلا بالاستعمال... والاستعمال هو المعيار الذي تفرض به الحياة عنفوانها العارم وبه تتصل مسألة التشغيل الكامل الذي «يصير به ما في الوجود ممكنا» (فاليري).

ويكون للغة من الصلاحية والنجاعة بقدر ما يكون لمستعمليها من الكفاءة والبراعة وبقدر ما يكون لزادهم العلمي من وفرة ولمستواهم الثقافي من رفعة وشمول.

ومن الحتمي أن نلفت النظر مرة أخرى إلى ما للترجمة من أهمية وما يمكن أن تقوم به من دور مزدوج يساعد، من جهة، على توفير المراجع القيمة في مختلف الاختصاصات، ومن جهة أخرى، على إثراء المكتبة العلمية العربية بعناوين من أمهات الكتب عم صيتها البلدان سائرها ونقلت إلى اللغات عديدها.

إلا أن الترجمة تتوقف أولاً وبالذات على إيجاد مترجمين أكفاء متضلعين من المعارف العلمية متقنين على السواء للعربية واللغات المنقول عنها... ومن النادر النزر أن تجتمع هذه الصفات في الشخص الواحد... فالأمر عسير وليس الشأن في الترجمة بالوضع الهين...

هذا وكثيرا ما صار يتردد على أسماعنا أن «السعي إلى سبيل المعرفة ليس عملا ساميا في حد ذاته بل إنه أيضا الطريق الرئيسي إلى المنافع الحقيقية في هذه الدنيا».

وعند ذاك يقول قائلهم إن المهم إذن هو التزود من العلم والتمكن من الوسائل التقنية مهما كان مصدرها، وقد يتمثل - مضيقا من مدلول الحديث الشريف - بقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «أطلبوا العلم ولو بالصين!» منوها بما أتى به الإسلام من سعة الصدر ومن التسامح في مجال العرفان.

ولكن أيقتضي السير على طريق العلم والبحث أن يكون ذلك بلغة غير اللغة القومية، وهي وعاء تراث الأمة الثقافي، وهي صلة أفراد الأمة بالأجيال السابقة، وصلتهم بعضهم ببعض في الحاضر، وصلتهم بالأجيال القادمة في مستقبل الأيام؟.

ودعوة التعريب في هذا الحقل وفي هذا الظرف امتداد لحركة التحرر السياسي وتعبير عن السيادة الوطنية والاستقلال في الرأي والعمل...

وهي تعني في آن واحد انفتاحا على الحضارة العالمية المعاصرة بدافع الاختيار الذاتي والإيمان بالتعاضد البشري الذي لا يقبل التقوقع والانغلاق على النفس.

ثم «إن الأمة العربية، وقد توزعت إلى اثنتين وعشرين دولة، ليس ثمة آصرة تجمع بينها أقوى من آصرة اللغة والثقافة».

واعتماد لغة أجنبية مّا في التدريس يحمل في طياته عيوبا جمة خطيرة، منها عامل التفرقة بين البلدان العربية وقد قضت عليها الظروف السياسية باستخدام هذه اللغة أو تلك، الفرنسية أو الإنكليزية، فكان ذلك من أقسى العوائق لتوحيد الصف ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

كما أن الاختلاف في لغة التدريس يتبعه الاختلاف في المناهج والحد من إمكانيات الكرع من حياض المعرفة بحصر الاعتماد على المراجع العلمية المحررة بلغة التدريس... ولو كانت لغة التعليم هي العربية وقد آزرتها الترجمة

عن معظم اللغات الأساسية لتعددت المراجع وتنوعت المصادر واتسع مجال النقل ثم الخلق والإبداع.

ومما يزيد الطين بلة وما يوصد في وجه العربية باب الخروج من الأزمة التي تتخبط فيها في وضعها الحالي ما أشرنا إليه من استمرار العديد من البلدان العربية على تدريس العلوم في التعليم العالي. - وأحيانا الثانوي - باللغات الأجنبية المتباينة ويتعلل بعضهم بما يسمى بمشكل المصطلحات المتخصصة وصعوبة وضعها وتوحيدها في الوطن العربي... واتخذ جمع موقفا سفسطائيا سلبيا يقتضي أنه إنما يولج باب التعريب متى وجد المصطلح.

وفي ذلك موقف انخذال وتفص من المسؤولية، من جهة، وخلط فظيع بين القشرة واللب، بين الجسد والروح، بين البنية الأساسية والطلاء... وغاب عن أصحاب هذه التعلة كيف عرفت العربية طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وفلك بطليموس وحيَل ايرن وغير ذلك من فنون المعارف... على أن المترجمين - في المرحلة الأولى - لم يقفوا وقفة كبت عند حدود المصطلح، فكثيرا ما لم يهتدوا إلى أداء المعاني والمصطلحات القديمة أداء موفقا كاملا، ولم يبلغوا بلغتهم الاتقان من أول وهلة، ولم تبلغ لغتهم لغة العلوم المثلى التي يراعى فيها ضبط العبارة ودقة التفكير وترتيب المقدمات حتى تؤدي إلى النتائج الصحيحة... وبقيت لغة العلوم في الطور الأول متأرجحة، فمن أجل ذلك احتاجت الكتب المترجمة الأولى - في غالب الأحيان - إلى الإصلاح والتحرير والتهذيب والتنقيح! فنجد من الكتب: تحرير المناظر، وتحرير مصادرات اقليدس، وتنقيح المناظر... فلغة الخوارزمي، مثلا، في الجبر والمقابلة، تلتصق بالواقع المحسوس، وتقترب من اللغة المتداولة بين الناس، وتعدد فيها المفردات المترادفة تاركة للقارئ الخيار بينها: أمثلة:

الشكل الناري للهرم المثلث المنتظم. والجمع والضم والزيادة والإضافة... والطرح والنقصان والالقاء والاستثناء والتفريق والإسقاط إلخ.

كما أن النقلة والاخصائيين لم يروا ضيرا في المرحلة الأولى من استخدام مصطلحات ايساغوجي والدوسنتريا والبرسام والمالنخوليا

والجومطريا والاسطرومونيا والجغرافيا والاسطرلاب والقرسطون والزيج والجوز إلخ.

هذا وقد خصصت تعقيبا على معجم الرياضيات، موضوع رسالة دكتوراه الدولة التي ناقشتها حول «لغة الرياضيات في العربية» خمسين صفحة لاستعراض عديد الطرق لتكوين المصطلحات التقنية المخصصة وأشرت إلى الوسائل التي أميل إليها ولمحت إلى إمكانيات العقلنة والتنميط... كما ذكرت بعض الاصطلاحات والرموز المستعملة بالمغرب العربي المتميزة عن مقابلاتها بالمشرق. وبصفة عامة إن مشكلة المصطلحات العلمية - ولاسيما المستخدم منها في التعليم الابتدائي والثانوي - قد أعيرت اهتماما كبيرا في الفترات الأخيرة، وتعددت المؤسسات الإقليمية المسؤولة عن إيجاد المقابلات العربية... وأنوه بإكبار بما قام به مكتب تنسيق التعريب بالرباط من مشاريع للمعاجم الخاصة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحيوان والنبات والجيولوجيا والجغرافيا والفلسفة وغيرها... والتأم العديد من المؤتمرات (منها مؤتمر الجزائر 1973 والمؤتمر الثالث لتوحيد المصطلحات بطرابلس الغرب 1977 ومؤتمر تعريب التعليم العالي ببغداد 1978).

وتمت تصفية الأعمال وطبعت عدة معاجم موحدة تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[1]... والتزم القوم باستخدام مصطلحاتها... إلا أنها بقيت مستودعة على الرفوف طعمة للرطوبة والأرضة، ولم تبرز للناس ولم توزع على جموع المستهلكين، حرموا منها وأصابها العقم الدائم...

ثم كثرت المجامع اللغوية الإقليمية وتشتتت في البلدان العربية، كل يعمل متجاهلا ماعداه، ولكل منهجه الخاص، ولو تمادى الأمر لأدى بطبيعة الحال إلى بعث مجموعات من اللغات العلمية العربيات، أي إلى ما يركز البلبلة مكان الوحدة الثقافية المنشودة...

ويتكرر العمل ذاته مرارا، منطلقا من الصفر ويعاد الجهد عينه ويهدر، كما تهدر المساعي الحميدة ويضيع الوقت الثمين... يقول د. يوسف عز الدين، عضو المجمع العلمي العراقي: «وما أكثر التوصيات والقواعد التي وضعها

المفكرون وقادة الرأي ولكنها بقيت في الأدراج والرفوف ضحية الاختلافات السياسية بين الحكومات العربية لوجود فراغ كبير بين السلطة الحاكمة وبين المفكر الذي بدأ يختفي من الحياة العامة...»

ويقول د. سعد الدين إبراهيم، أمين عام «منتدى الفكر العربي» سابقا: «رغم استقلال الدول العربية بدأت تقام أسوار عزلة مرة أخرى بواسطة الأنظمة الوطنية المتصارعة في وطننا العربي... وفي داخل كل إقليم من الأقاليم كانت هذه الأسوار تقام حتى أصبح انتقال الفكر ربما أقصى صعوبة من أي انتقال آخر...»

وتبع هذا الوضع عيب فادح اتسمت به أعمال العرب في العصر الحاضر في الميدان الثقافي العلمي... وهو أننا ما فتئنا نطالع كتبا توسم بالكتاب العلمي المصري أو السوري أو العراقي أو المغربي أو التونسي... فكم جهدا ضاع بسبب انفراط العقد وتشتت الصف.

أفلم يحن الوقت لنحلم بانبلاج صبح قريب في الميدان العلمي والثقافي - على الأقل - يكون فيه من اليسير أن يُحقق لنا عمل مشترك وأن توضع مناهج موحدة وأن تخطط لنا سواء جادة وتضبط أهداف وترسم وجهات متوازية؟!

هذا ولعل العائق الأقصى للعمل العربي المشترك يتمثل في الفجوة الخارقة بين القول والفعل، بين القرار والتنفيذ... ويكتفي من ضعف إيمانه بالترديد: «إن الأعمال بالنيات» وينسى أن النيات إنما تتحقق بالأعمال.

وأذكر في هذا الشأن ما قرره المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر سنة 1973، وقد شرفتُ بالمساهمة في لجنة الصياغة لتوصياته بمعية الصديق المرحوم د. شكري فيصل والأستاذ سعد الدين الأسد. فجاء في فقراته: «يرى المؤتمر أن قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية في التنفيذ قدر مانالت من عناية في الإعداد والدراسة والإقرار. وإنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل النظري حولها إلى مالا نهاية له، وإنه لابد من أن يخرج من هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العلمية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه».

«ولذلك فإن أعضاء المؤتمر يذهبون إلى وجوب الأخذ بمبدإ الالتزام بهذه المصطلحات، يلتزمونها هم في مدارسهم وجامعاتهم وبحوثهم ومعاجمهم...»

وللمقارنة نذكّر بالقاعدة المتداولة في الرياضة: من يرد أن يعلّم ابنه السباحة يَرْمِ به في البحر، ويكتف بمراقبة حركاته من بعيد.

* * *

أيها السادة الأفاضل

لسنا فيما تقدم عددا من مواطن الضعف ومن العيوب ومن العراقيل الواقفة سدا في مواجهة الكتابة العلمية في العربية المعاصرة. وسنضيف إليها معوقات أخرى ونحاول تصنيفها والإدلاء ببعض من الآراء في شأنها قد توحي لنا بما نراه من حلول مفيدة ناجعة لتجاوزها والتخلص منها.

فمن العوائق العامة - التي انتشرت في العصر الحديث في البلدان سائرها - سيطرة الأمور المادية وتضاؤل حب الإطلاع والشوق إلى المعرفة. فانعدم الوعي لدى الطالب العربي وفقدت روح الفضول، ونتج عن ذلك قلة المطالعين، ولاسيما بالنسبة إلى كتب الاختصاص العلمية... عز الطالب فقلّ الطبع للكتب وارتفعت كلفة النشر والتوزيع.

ويلجأ الطلبة إلى المختصرات المحررة باللغات الغربية التي يسهل عليهم اقتناؤها وتساعدهم على التزود بالقدر الأدنى من مبادئ العلوم، بل كثيرا ما يكتفي معظم الطلبة بالحضور ساعة الدرس واقتناء أمالي الأساتذة، إذا ما وجدت، والاقتصار على مقررات المناهج، جاعلين همهم كله في الحصول على ما يكفي من العلامات لاجتياز الامتحانات والنجاح في الاختبارات.

ولن تجد بين الطلبة - إلا نادرا - من يتطلع إلى ما وراء مادة المنهاج الضيقة، ومن يتوسع في محتواه بالمطالعة المستمرة للمصادر المهمة والمراجع المتنوعة والبحوث المتجددة في المواضيع التي يتطرق إليها الدرس... ومعظم هذه المصادر والمراجع بلغات أجنبية قليلا ما يفهمها الطلبة حق فهمها، عاجزين عن إدراك ما تشتمل عليه من دقائق.

ومهما يكن من أمر، إننا نعود إلى القول بأن الرأي هو ما ذهب إليه، منذ القرون الأولى، مفكرو العرب إذ رأوا أن الأساس يتمثل في تعريب العقول والتفكير. فطفقوا يحررون الرسائل والبحوث المتعددة في مختلف الاختصاصات ونفقت سوق العلم بعد أن كانت منعدمة أو في كساد عميم.

ويتحتم اليوم أن نخرج مما إليه أدى الكسل الفكري وانعدام المطالعين من تقلص الإنتاج العربي في الكتاب العلمي ومن ارتفاع لتكاليف النشر وضئالة التبادل الثقافي العلمي بين البلدان العربية.

- وهناك عراقيل أخرى مادية تقف في وجه الكتابة العلمية العربية ومنها ما يتعلق بالكتّاب والمؤلفين، ومنها ما يتصل بِدور النشر بذاتها.

فمن الواجب أن تتخذ التدابير اللازمة الباعثة على تشجيع العلماء والباحثين على التأليف والنشر، في كنف الحرية الفكرية المطلقة، محاطين بما يجب من التقدير، وأن يوفر لهم ما يكفي من الوقت ومن الوسائل المادية الضرورية، من مكتبات ومخطوطات مصورة ومختصرات، ومختزنات لوثائق العلوم على النطاق الفسيح الدولي إلخ، وأن يتمّ إمدادهم بما يليق من المكافآت.

ولذا ينبغي أن يشتد وعي المشرفين على حقل التعليم العالي والبحث العلمي، وألا يقتصروا على مجرّد التسيير الإداري التقليدي، وأن يحسوا أكثر فأكثر بمتطلبات العصر الحاضر من دعم للبحث العلمي وتشجيع للخلق والابتكار والإبداع.

كما يجب لفت العناية إلى الحرص على التنفيذ الصارم للجهاز القانوني الحامي مبدئيا لحقوق التأليف للمصنفات المبتكرة أو المترجمة... ففي الواقع كثيرا ما نقف على حالات لم تحترم فيها النظم القانونية فأهدرت حقوق المؤلف من قبل دور نشر جعلت همها الأوحد في الزيادة لمردودها الذاتي وتوفير الغُنْم مهما كانت الوسيلة المتوخاة والأسلوب المستعمل.

وبصفة عامة إننا نشاهد دور النشر معظمها تتزاحم في الميادين التي يكثر فيها الطلب والاستهلاك، وتُعرض إعراضا تاما عن الحقول التي يقل

طالبوها، مهما كانت قيمتها العلمية في حد ذاتها... مقابلة هواتها والراغبين فيها بعين الازدراء...

وينقلب الناشر إلى بائع بضاعة، مثله مثل بائع البقول المنوع لمتجره حسب الفصول.

وهكذا تغلب على دور النشر الصبغة الصناعية التجارية، يحدوها غرض الربح، فتغفل عن صفة من الصفات الأساسية التي تجعل منها مؤسسات ثقافية تعليمية تعتز بجواهر الأفكار التي تبثها بين الناس، وتتبارى في تنويعها وتزيينها للنفوس، واجدة متعتها التي لا تقاس بمتعة فيما تسعى إليه من إشعاع أنوار المعرفة في العالمين، متمحضة لهدف الرفع من المستوى الذهني العربي... فتكون بذلك متميزة عن سائر المؤسسات الاقتصادية الخاضعة لقانون العرض والطلب.

* * *

ننهي هنا استعراضنا لبعض العوائق التي يواجهها النشر العلمي في العربية، وقد لمحنا أحيانا أثناء العرض إلى بعض الحلول المناسبة للتغلب على هذه العراقيل.

ونؤكد مرة الأخرى أنه لن يكون للعرب وزن بين الأمم مالم ينتبهوا إلى أن ثقافتهم وإبداعهم مشاعان بينهم ينتميان إلى أمة بأسرها وأنه لا فضل لمشرقي على مغربي ولا لحضري على ريفي إلا بالعمل المجدي وإجهاد النفس والمثابرة والخلق الدائم المتجدد المستمر.

والعائق الأعظم والأدهى هو عامل التشتت وانفراط العقد، فإذا ما جمع العرب إمكانياتهم الخاصة المتميزة، من ثروات مادية وقدرات فكرية بشَرية، سيكون في متناولهم القضاء على التخلف، والسير على درب التقدم، بالبحث والتأليف وإيصال مادة العلم من المصنف أو المترجم إلى القارئ المستهلك، بإزالة العراقيل على سبيل النشر والتوزيع.

أكرر هنا ما ختمتُ به كلمة ألقيتها في رحاب مجمع اللغة العربية

الأردني: فأقول: إنه لم يعد من الكافي أن نعلن فيما بيننا عن الاتفاق المبدئي... فوضْعُنا اليوم لا يغني فيه مجرد حسن النية وطيب الاستعداد... إنما الأمر عمل وجد وإنجاز... وعجلة الزمن تدور متسارعة ومن تخلف عن الركب ركد وآل إلى العدم وفسد...

إننا نرى كثرة من المجامع اللغوية تتوزع في الوطن العربي، ونشاهد جهودا تتشتت ومناهج تختلف... وعلى الرغم من وجود اتحاد للمجامع اللغوية العربية، إننا نهيب (بأكاديمية المملكة المغربية) أن يتزعم الدعوة لإرساء مؤسسة عربية مركزية قومية للتوثيق تجمع وتخزن كل ما يمت بصلة للميدان العلمي والتقني والثقافي المتطور، من منشورات علمية ومصادر ومراجع وكتب ومجلات وبحوث مقدمة للمؤتمرات القطرية والخارجية، كي يشرع، بالرجوع إليها، في كل بحث مستقبل في الإطلاع على الموجود وتجنب الإعادة والتكرار.

كما نسأله أن يضطلع بالعمل على التفكير في إيجاد مجلس أعلى عربي للتعليم العالي يمثل حقا الوزارات القطرية لهذا التعليم، يكون مسؤولا على التخطيط المحكم للبرامج والمناهج المشتركة، ويواكب بانتظام تطور العلوم وتقدم التقنيات، ويقرر، بترشيده للترجمة ما يجب تعريبه أو تأليفه من الكتب الجامعية، فيعمل بحزم على نشرها وتوزيعها توزيعا عاما شاملا للجامعات كلها، كما يتحمل هذا المجلس مسؤولية الالتزام بتطبيق القرارات وتنفيذ التوصيات المتخذة جماعيا ومتابعة هذا التطبيق متابعة حازمة مستمرة... ويكون هذا المجلس جسرا عمليا بين أهل العلم وأولي الأمر في الوطن العربي يحث على بذل الاعتمادات اللائقة وخلق الجو المساعد للعمل العلمي، من طمأنينة وحرية وعيش سليم حتى يقلع العلماء عن الهجرة إلى مواطن يظنون أنهم فيها سالمون، ويقبلون على أوطانهم، هم فيها جادون منتجون، متمتعون ولكل امرئ ماسعى ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾.

مشاكل الترجمة العلمية والتقنية
إلى اللغة العربية (واقتراحات لحلولها)

أحمد الأخضر غزال

I– هل هناك فائدة مّا في الترجمة العلمية إلى اللغة العربية؟

1– الاعتبارات السلبية:

سؤال في الحقيقة لا يُطرح بالنسبة إلى اللغة العربية فحسب ولكن كذلك بالنسبة إلى جميع لغات العالم ماعدا اللغة الإنكليزية، وذلك لأننا نرى ونسمع ونقرأ أن العلوم والتقنيات في أيامنا الحالية، ومنذ عقود، لا تؤدّى قولا وكتابةً إلاّ باللغة الإنكليزية وفي جميع أنحاء المعمورة وذلك لأسباب عديدة منها أولاً: أن الباحثين في العالم بأسره يسعون إلى ربط الصلة بأكابر المجلات المتخصصة في ميادينهم وكلها انكلوسكسونية المشارب ومطبوعة باللغة الإنكليزية.

بالإضافة إلى أن أغلبية الحكام في هذه المجلات ينتمون إلى مناطق ثقافية تمثل المدارس الفكرية السائدة. بحيث أن كل ذلك كثيرا ما يؤدي إلى علاقات أخائيّة قلّما تكون نزيهة في آرائها وأحكامها، وبالإضافة كذلك إلى أنّ

التحليل البحثي الذي يجري في سائر البلدان الأخرى يعتمد على نفس المعيار. ومعنى ذلك أن نشر نتائج البحوث والتعريف بها وإرساء سمعة الباحث كلها معطيات لا يمكن أن تكون إلا باللغة الإنكليزية، ومنها ثانيا: أن معظم البحوث والدراسات والوثائق العلمية والتقنية والمجلات والنشرات بأنواعها المختلفة تتوفر في مراكز الوثائق والمكتبات باللغة الأنكليزية، ومنها ثالثا: أن التقدم العلمي منوط بالاتصال بين العلماء على الصعيد الدولي وبمقارنة نتائج بحوثهم بلغة يفهمونها كلهم وهي لغة «الباسيك إنْكْليشْ».[1] وما عدا ذلك فليس إلا تمسكا عقيما بالقديم. ومنها رابعا: أن المناقشة العلمية في ميادين الاختراعات والابتكارات للحصول على ما يسمى بأسبقية الاكتشاف التي تقدَّر بزمن مضبوط قد يصل في تقديره إلى اعتبار الثانية الزمنية تؤدي بالمخترعين إلى تسجيل شهاداتهم باللغة الإنكليزية، لأن هذه اللغة تضمن الاطلاع السريع على الاختراعات لما في الحصول على أسبقية الاكتشاف قبل المنافسين من فائدة لصالح وسائل التصنيع. ومنها خامسا: أن هذه المنافسة الجُنونية تحمل العلماء على استعمال جميع الوسائل وحتى تلك التي يخجل لها الضمير للحصول على أسبقية النشر أو لتلفيق خطة إعلامية مُدبَّرة ممّا أدى إلى تلك الفضائح التي صرخت بها وسائل الإعلام أخيرا وتبيّن أنها كذب محض مثل «ذاكرة الماء» أو «الانصهار البارد» أو اكتشاف حُمة السيدا من طرف فريق بحث أمريكي.

إن المؤسسات العلمية تَحُثُّ الباحثين على إكثار نشراتهم في المجلات المشهورة ولكن هذه المجلات لا تقبل إلا النصوص المحررة بالإنكليزية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نُلاحظ أن الحكومات المختلفة في سائر البلدان لا تُولي النشر العلمي أهمية ولا تشجع على الطبع باللغات الوطنية. ومنها سادسا: أن فكرة تبادل المعرفة على الصعيد الدولي ينبغي أن يكون باللغة الإنكليزية بينما تبادلها على الصعيد الوطني يمكن أن يكون باللغة الوطنية. ومنها سابعا: أن تباشير المستقبل كلها تُنْبِئ بسيطرة الأنكليزية وسؤددها وهيمنتها على الصعيد العالمي، يظهر ذلك في أن علوما وتقنيات وحتى بعض المفاهيم لا تُؤدى إلا بالإنكليزية. فالطيران مثلا لا يمارَس في جميع الأجواء إلا بالإنكليزية

والمؤتمرات العلمية والتقنية في جميع بلدان العالم لا تَمُرُّ أعمالها إلا بالإنكليزية. ومنها ثامنا: أن اللغة الإنكليزية انتشرت ومازالت تنتشر وتحُلّ محل لغات أخرى في عُقر ديارها لأنها لغة تمتاز بخاصيّات لغوية قلّما توجد في لغات أخرى، منها البساطة والإيجاز وانعدام علامات النَّبْر وقابلية سَمْحة لتوليد المصطلحات. ومنها تاسعا: أن تَبَنّي لغة ناقلة واحدة على صعيد العالم يمكّن من الحصول على معيارية الجودة العلمية لفضل المقارنة بين المعلومات التي يَسْمَح بها كما يُمكّن من رفع المستوى وترتيب الإنتاج الفكري. ومنها عاشرا: أن العلوم والتقنيات عمادها الأساسي المصطلح، وفي هذا الميدان فإن اللغة الإنكليزية تُنْتج كل سنة ما يقرب عن عشرة آلاف مصطلح في الميادين العلمية والتقنية[2] (في مقابل ثمانية آلاف، سنة 1980، وفي مقابل خمسة آلاف، سنة 1970، ونرى الفرنسية مثلا[3] تضع في مقابلها سبعة آلاف تقريبا).[4]

والتأخر في وضع المقابلات الوطنية للمصطلحات الإنكليزية يُنشئ جمودا وكسلا لإيجاد هذه المقابلات في الوقت المناسب، بالإضافة إلى عمل ظاهرة التصنّع والتكلّف والحذلقة الذي يساهم في انتشار الألفاظ الإنكليزية واستقرارها بصفة نهائية في اللغة الوطنية. ومنها حادي عشر: أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار النقد اللغوي النزيه لكثير من المقابلات الاصطلاحية التي توضع بعجلة ذميمة في معظم اللغات يتبيّن لنا أن هذه المقابلات قلّما تكون جيِّدة وكافية في تأدية المعنى المطلوب. ومهما كانت جودة الترجمة فإن هذه المصطلحات الموضوعة بسرعة ولم تزكّها ترجمة وَفِية تبقى نواتها الدّلاليّة غبشاء ولا تشفي الغليل. وفي كثير من الميادين نرى أن الرسوم والتجليات المصاحبة للنصوص المترجمة هي التي تُوَضّح مدلولات المصطلحات. ومنها ثانيا عشر: أن نسبة استعمال لغات العالم في النشر العلمي العام تُبَيّن تقهقر جميع اللغات أمام الإنكليزية كما يظهر ذلك جليا من الإحصائيات الآتية:[5]

الإنكليزية	62% في سنة 1978	81% في سنة 1988
الفرنسية	12% في سنة 1978	8% في سنة 1988
الروسية	12% في سنة 1978	4,5% في سنة 1988

الألمانية	8,5% في سنة 1978	4% في سنة 1988
اليابانية	1% في سنة 1978	0,8% في سنة 1988
الإسبانية	0,9% في سنة 1978	1% في سنة 1988
لغات أخرى	3,6% في سنة 1978	0,7% في سنة 1988

في ميدان الطب نلاحظ أن:[6]

الإنكليزية	67% في سنة 1978	79% في سنة 1988
الفرنسية	5% في سنة 1978	3% في سنة 1988
الروسية	7% في سنة 1978	5% في سنة 1988
الألمانية	8% في سنة 1978	4% في سنة 1988
اليابانية	3% في سنة 1978	3% في سنة 1988
الإسبانية	1% في سنة 1978	1% في سنة 1988
لغات أخرى	9% في سنة 1978	5% في سنة 1988

وفي ميدان الكيمياء نلاحظ أن:[7]

الإنكليزية	63% في سنة 1978	64% في سنة 1988
الفرنسية	2% في سنة 1978	1% في سنة 1988
الروسية	20% في سنة 1978	11% في سنة 1988
الألمانية	5% في سنة 1978	5% في سنة 1988
اليابانية	5% في سنة 1978	13% في سنة 1988
الإسبانية	1% في سنة 1978	1% في سنة 1988
لغات أخرى	4% في سنة 1978	3% في سنة 1988

أما في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية[8] (بالمقارنة بين الإنكليزية والفرنسية) ومنها ثالثا عشر: أن عمليات النشر والطبع ضعيفة وباهضة

	1978		1988	
	الفرنسية	الإنكليزية	الفرنسية	الإنكليزية
الفلسفة	14,4%	49,0%	15,0%	46,0%
علوم التربية	32,6%	47,2%	35,0%	45,0%
علم الاجتماع	36,6%	45,6%	33,5%	48,0%
تاريخ العلوم	22,3%	41,7%	23,5%	43,0%
الأدب	21,7%	39,4%	26,5%	40,0%
علوم اللغة	20,4%	54,8%	25,5%	47,0%
ماقبل التاريخ	48,6%	19,3%	36,5%	26,0%
علم الآثار	24,6%	42,9%	28,0%	44,5%
العلوم الدينية	31,6%	27,6%	32,0%	29,5%
العلوم الإدارية	85,5%	8,8%	78,5%	10,0%
علم السلالات	37,3%	36,9%	36,5%	42,0%
الفهرسة الجغرافية الدولية	37,4%	34,3%	35,5%	36,5%

النفقات بالنسبة إلى نشر الكتب الأنكلوسكسونية وطبعها. يقول جاك روفيي كم من مرة استشارني طلبة أجانب لاقتناء كتاب باللغة الفرنسية في الميدان الطبي الذي يهمهم، فاضطررت أن أدلهم على كتاب انكليزي أمريكي إمّا لعدم وجود الكتاب الفرنسي أو لأنه باهض الثمن. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن الباحثين تقدَّر قيمتهم بعدد المقالات التي حرروها بالإنكليزية في مجلات أمريكية رغم كونهم أصحاب بحوث فائقة الجودة، لكنها محررة بالفرنسية[9] ومنها رابعا عشر: أن تعليم وتعلم اللغة الإنكليزية صارا في سائر أنحاء العالم منتشرَيْن

انتشارا عمّ جميع المرافق الإدارية والتجارية والثقافية، فصارت الإنكليزية في متناول كل من يرغب في معرفة هذه اللغة، كما أنهما يمتازان بكون مناهجهما متقنة الأساليب مبسطة المستويات متنوعة المواضيع بحيث يُفَضِّل العلماء اقتناء المعلومات مباشرة من النصوص المحررة باللغة الإنكليزية عوضا من الحصول على هذه المعلومات من خلال نصوص مترجمة ترجمة غالبا ما تكون نادرة الوجود، مهلهلة العبارة وقليلة الفائدة. ومنها خامسا عشر: أن هناك في مختلف البلدان العربية والمنظمات الدُّوَلية حركة ترجمية حقا وإن كانت قليلة إلا أنها موجودة بفضل التمويل الذي تقوم به هيئات في سبيل خدمة اللغة العربية ولكننا نُلاحظ أن الإقبال على اقتنائها قليل وأن سحب النسخ قليل إذ لا يتعدى معدل الثلاثة آلاف نسخة على صعيد العالم العربي كما نُلاحظ.كذلك أن المجهودات الكبيرة التي بذلتها وُفودُنا لدى المنظمات الدُّوَلية لجعل اللغة العربية لغة عمل في أشغالها لم تكن في مستوى المطلوب لأن الوفود العربية تُفَضِّل قراءة النصوص وحتى تدخلاتها أثناء جلسات العمل باللغة الأجنبية على اللغة العربية.

فلكل هذه الأسباب وغيرها طرحنا السؤال أعلاه حول فائدة الترجمة العلمية إلى اللغة العربية. ويظهر لأول وهلة أن الجواب سلبي لا سيما إذا أضفنا أن الفكرة السائدة في جميع المؤسسات التعليمية والثقافية تُشير إلى أن مستوى اللغة العربية في انخفاض وتقهقر دائمين منذ عقود، وأن الشبيبة العربية لا تُقبِل الإقبال اللازم على لغتها الوطنية وأن الكتاب العربي في أزمة مستمرة وأن الثقافة العربية في ركود وكساد تندد بهما جميع المنشورات والتقارير الصادرة عن جميع الهيئات العلمية والتعليمية والثقافية وكذا جميع وسائل الإعلام وبالخصوص المكتوبة منها.

2- الاعتبارات الإيجابية:

ولكن إذا تأملنا هذا السؤال من أبوابه الواقعية عبر التاريخ وأرجعنا أجزاءه وأسبابه إلى أصولها التي هي القضايا اللغوية تَبَيّن لنا أن هذه الأحوال المتعلقة باللغة الإنكليزية لم تكن موجودة قبل عصرنا هذا إذ فيما مضى، وليس

ذلك ببعيد، كانت اللغة السائدة في العالم والحاملة للعلوم والتقنيات هي اللغة الفرنسية. وقبل اللغة الفرنسية كانت اللغة العربية هي لغة الحضارة والعلوم والفنون والصناعات وعنها ترجمت أوروبا في الأندلس وفي المشرق إلى اللغة اللاتينية قبل نقل العلوم إلى لغاتها المختلفة. وقبل اللغة العربية كانت اللغة اللاتينية هي اللغة السائدة والحاملة للحضارة في الشرق الأوسط وأوروبا. وقبل اللغة اللاتينية كانت اللغة اليونانية هي صاحبة النفوذ والاعتبار، إذ الشعب اليوناني هو الذي كان يحمل قصب السبق في ميادين العلم والحضارة. فلذلك لا يمكن أن نقول بأن الوضع الحالي الذي عليه اللغة الإنكليزية هو الذي سيدوم وستكون عليه هذه اللغة غدا. وكما بين ذلك جميع علماء اللسانيات فإن اللغة كائن حي ينشأ وينمو ويكتهل ثم يموت.

ولكن ليس معنى ذلك أن هذا الكائن الحي لا ينتعش إذ أن مصيره الحقيقي في يد أبنائه المتكلمين به، فهناك لغات ماتت أو كادت أن تموت ولكن أبناءها المتكلمين بها، ولأسباب مختلفة، أخذوها بالعطف والاعتناء فأحيوها وجعلوا منها لغة مسايرة للظروف الحضارية الجديدة مثل ما يفعله اليوم الشعب الإسرائيلي بالنسبة إلى العبرية ومثل ما نقوم به نحن اليوم بالنسبة إلى اللغة الفصحى التي لا ينبغي أن ننسى أنها مرت عبر تاريخنا الطويل بفترات كانت لغات أجنبية مثل الفارسية والتركية وحتى العامية هي السائدة في جميع مرافق الدولة ماعدا في المغرب الذي حافظ دوما على العربية الفصحى في مراسلاته الإدارية مع الشعب. وهذه الظاهرة من تاريخنا قلّ من يعرفها.

ونتطرق إلى قضايا العلم والتقنيات بالنسبة إلى اللغات الوطنية أمام اللغة الإنكليزية ونلقي نظرة اعتبار وتأمل في أعمال الندوة الساحية[10] التي انعقدت سنة 1990 بباريس في موضوع «أيُّ لغات (تصلح) للعلم»؟ والتي حضرها وشارك في أعمالها رجالات عالميون من مختلف الأجناس واللغات والعلوم والتقنيات والتي تميزت بآراء وأفكار مهمة اعتمدت حقائق ودراسات ونتائج بحثية يجدر بنا أن نأخذها بعين الاعتبار في أشغالنا هذه لأنها تساعدنا على إلقاء ضوء شامل على حاضر لغات العالم المعاصر في موضوع البحث

العلمي كما أنها تُنير لنا معالم مسيرتنا اللغوية في هذه الميادين. وأول ما توصَّلت إليه هذه الساحية الهامة بإجماع المشاركين فيها وكان عددهم يفوق الألفين هو أن التقدم العلمي منوط بقيمة الاتصالات وتبادل الخبرات على الصعيد الدُّوَلي وأن أُحادية اللغة ليست محتومة وأنها لا تُشَجِّع قريحة العلماء والمفكرين في ابتكاراتهم واختراعاتهم وأن الخضوع لظاهرة الاحْتِيَان في هذه الميادين معناه قبول خضوع تقييم البحث العلمي لحكم الولايات المتحدة ولاستبداد المجلات الأمريكية الكبيرة،[11] وهذا ما بدأ العالم بأسره يفكر في التخلص منه لأنه في غير صالح العلم والمعرفة، لذلك بدأنا نرى مثلا أن اليابانيين ينشرون باليابانية وكذا بعض البلدان الآسياوية وألمانيا المتحدة وروسيا وفرنسا وأن التطور والتقدم في ميادين الإبراد الإلكتروني[12] سيجعل يوما ما هذه الوسائل الاتصالية مزاوَجة بنظائم[13] ترجمية مساعدة بالحاسوب من شأنها أن تذيع في الوقت نفسه نتائج البحث باللغة الأصلية[14] وينبئ بذلك المحاولات الناجحة في تطبيق المعلوميات[14][15] على العلوم اللغوية واستعمال الاتصالات المعلومياتية[15][16] كوسيلة سريعة لنشر المعلومات. واعترف الفرنسيون بحقائق مُرة أَسِفوا لها وهي أن العلم المُنتَج من طرف أهل اللغة الفرنسية لا يمثِّل إلا نسبة سبعة في المئة (7%) من باب التشاؤم وعشرة في المئة (10%) من باب التفاؤل بالنظر إلى الإنتاج العلمي على الصعيد الدولي. واعتمادا على هذا التأسف الناتج عن الغيرة الوطنية اتسم النظر الفرنسي إلى قبول فكرة أن شعوبا أخرى قد يشعرون بنفس الغيرة على لغاتهم وأن التسامح اللغوي الذي ينقص عادة عند أهل الإنگليزية ينبغي أن يزيد انتشارا عند الفرنسيين. وأشادت الندوة بتشجيع الترجمة المضبوطة لأن العلم بدون ضبط كلماته ليس بعلم، وبما أن العِلم يتطور ويتقدم بسرعة كبيرة فإن المترجمين يبقون دائما متأخرين في المواد العلمية التي يترجمونها. وفي أعمال بعض المائدات المستديرة تبودل الرأي بكيفية خاصة في موضوع بث الشعور العلمي والتقني في الأوساط الشعبية لأنه يُنمّي ويحفّز على تنشيط وتشجيع المواهب في هذه الميادين، ومن ذلك أن دور وسائل الإعلام له أهمية عظمى لا سيما في الصِّحافة ولكن كذلك في التلفزة والإذاعة. وفي موضوع واجب الاتصال يقول

أحد الحاصلين على جائزة (نوبل) في الكيمياء:[17] «هناك علوم لها لغتها الخاصة مثل الكيمياء التي يُمكن أن تكتب وتقرأ بدون مساعدة أي لغة غير لغتها الخاصة. فمن أبسط الجزيْئات كجزيْئة (الأوريا أو اليورة)[18] إلى إحدى أعقد الجزيْئات مثل (الحَيمَين بي 12) فإن الصيغة الكيميائية تتعامل مباشرة مع الكيميائي الذي يفهم ما تعبِّر عنه من بِنية وخصائص الجزيئة أو المادة إذ بالنسبة إليه فإنها تمثل تمثيلا صحيحا الأوضاع الحقيقة للذرات أي لهندسة الجزيْئة. وكذلك التغيرات التي تحوِّل المركبات الكيميائية في داخل أجسامها تمثَّل بواسطة رسوم بيانية لا تحتاج في اتضاحاتها إلى أية كلمة... فاللغة الكيميائية لغة رمزية ورسامية... كلمتها هي الجزيئة المركبة من عدد من حروف هي الذرات... وهذه اللغة لا تحتاج إلى ترجمة لأنها لغة مفهومة من الجميع في كل بلدان العالم. ويشملها اليوم قاموس يحتوي على خمسة ملايين مركّب – أي خمسة ملايين كلمة! – وتمتاز بملفظة[19] أوسع وأغنى من أي ملفظة لغة أخرى «... وهي بهذه الخصائص لغة عالمية ودُوَلية فوق اعتبار أي لغة أخرى لأنها تُبَلِّغ نفسها بنفسها. واللغة ينبغي أن تصلح قبل كل شيء لنشر العلم ولا العكس أي أن يكون العلم هو الناشر للغة. وكما قال إسحاق استيرن «إننا لا نستعمل الموسيقى للعزف على الكمان ولكننا نعزف على الكمان للإنتاج الموسيقي» ومن بين التوصيات التي انبثقت عن هذا اللقاء الهام تلك التي تهم منهجية السياسة اللغوية واستعمال اللغات في الميادين العلمية والتقنية والتي توصي أن يكون الهدف في جميع البلدان إتقان عدد من اللغات لا يقل عن ثلاثة، اللغة الوطنية ولغة أوروبية ولغة ثالثة أوروبية أو غيرها. ومن المعلوم أن ما يخص العلم فإحدى اللغات لابد أن تكون في الوقت الراهن اللغة الإنكليزية. وهذا الاختيار اللغوي لا يُهمِل التفتح على الثقافات الأخرى غير الأوروبية. وهناك مائدات مستديرة بعد مناقشة فكرة قبول أن يكون التبليغ على الصعيد الدولي باللغة الإنكليزية والتبليغ على الصعيد الوطني باللغة الوطنية، ارتأت أمام خطورة هيمنة الإنكليزية على اللغة الوطنية أن توصي بالاهتمام باللغة الوطنية وخدمتها وإكثار الترجمة العلمية والتقنية إليها كما أبرزت بكيفية واضحة أن التوصل إلى الجودة في البحث الأساسي وفي الميادين التكنولوجية الأساسية هو أحسن

وسيلة لِلَفْت النظر إلى اللغة المعنية وأن النموذج الياباني في هذا المجال لجدير بالاعتبار. ألا ترى أن اليابان ينشر معلومات كثيرة باللغة الإنكليزية سواء كان ذلك يتعلق بالمنتوجات المحلية أو بمقالات ومؤلفات تنشرها أكبر دور النشر الأمريكية أو غيرها؟ إلا أن الغريب هو أن العالم بأسره يشك في كون ما يظهر بالإنكليزية من اليابان ليس هو المنتوج الجيد الذي ينتجه هذا البلد، لذلك صارت أكابر الهيئات العلمية في الولايات المتحدة وفي أوروبا تتعاطى اللغة اليابانية وتترجم أو تحاول أن تترجم العلوم والتقنيات اليابانية. كما فعلت حكومة (واشينتون) سنة 1957 تحت صدمة التأثر لنجاح إطلاق الساتل (اسبوتنيك) فقررت تمويل برنامج خاص لتعلم اللغة الروسية لا لقراءة (طولسطوي) ولكن للإطلاع على تقدم العلوم والتكنولوجيا في المجلات الروسية. كما أن حكومة (ريگنْ) قبل سنوات قليلة صَوَّتَت على برنامج مماثل لتمويل تعليم اليابانية للمهندسين الأمريكيين. وقد علمنا مؤخرا أن العشيرة[20] الاقتصادية الأوروبية أنشأت برنامجا خاصا أسمته برنامج لينگوا[21] غايته تعليم اللغات الاثنتي عشرة لا لغاية ثقافية - الثقافة ليست من مسؤولية العشيرة التي حددتها اتفاقية (روما) وكذا العقد الفريد[22] - ولكن لتشجيع منافسات المقاولات الأوروبية.[23] وفي هذا الموضوع اللغوي علمنا مؤخرا أن فرنسا من جهتها قررت الزيادة في عدد اللغات في تعليمها فأصبح اثنتي عشرة لغة في الباكالوريا، منها في سنة 1988-1989 مليونان من التلاميذ الذين تسجلوا للغة الأولى مقابل 326.000 للغة الألمانية و25.000 للغة الإسبانية و2.800 للغة الإيطالية و3.400 للعربية و3.500 للروسية و18 للنيرلاندية و64 للصينية وصفر لليابانية.[24] ولكن بعض المدارس العليا شرعت منذ قليل في تنظيم دروس في اليابانية. وخَصَّصت فرق أخرى مواضيع مناقشاتها حول ابتذال العلوم والتكنولوجيا في مجلات ومنشورات ناجحة مثل (العلم والحياة)[25] التي أنشئت منذ سنة 1913، و(العلم والمستقبل)[26] و(في سبيل العلم)[27]. ولوحظ أن رواج (العلم والحياة) وصل في سنة 1988 إلى 341.000 نسخة وأن بيع (العلم والمستقبل) وصل إلى 176.000 وأن (في سبيل العلم) بيع منها 60.000 وأن (هذا يهمني)[28] وصلت 372.000 نسخة، أما مجلة (البحث)[29]

الشهيرة فلم يُسحب منها إلا 94.000 نسخة لأن قراءتها تتطلب مستوى ثقافيا علميا محققا.

ثم تطرقت الندوة إلى قضايا تشجيع اللغات الوطنية لتصبح لغات علم وتكنولوجيا إن لم تكنهما بعد أو إذا كانت لغات علم وتكنولوجيا بَعْدُ لتزيد في ارتقائها في هذه الميادين وتُجَنّس وتوطّن المعرفة وتُضفي عليها قيمتها الخاصة. وفي الوقت الذي أخذت تبرز في عقر ديار أوروبا دولة اقتصادية عظمى وهي ألمانيا الموحدة التي تدلي بدلوها شرقا وغربا في آن واحد فمن منّا يشك في أن اللغة الألمانية التي يتكلم بها أكثر من مليون شخص لا تصبح عن قريب ومن جديد لغة علمية وتصنيعية عظمى فيُكِب على ترجمتها من كل صوب المنافسون لها...؟ ولنا مثال آخر في اليابان الذي رغم اندحاره في الحرب العالمية الثانية أصبح اليوم صاحب الحل والعقد يملي شروطه التكنولوجية والمالية على الولايات المتحدة. وإننا نعلم أن الباحثين والمهندسين اليابانيين يؤلفون وينشرون باللغة اليابانية وأن البلدان المتقدمة الأخرى لا يتوفر فيها إلا عدد قليل من المتخصصين الذين يجمعون بين الهندسة ومعرفة اليابانية مما يجعلهم دائما على هامش الاطلاع على التكنولوجيا اليابانية، كما أننا نعلم أن اليابانيين لا يترجمون إلى الإنكليزية أهم ما عندهم من علوم وتقنيات. وإذا أضفنا إلى هذا كله أن اللغات ذات الكتابة الرمزية التي كانت تعتبر عائقا لتطورها ومسايرتها لمعطيات العصر أصبحت بفضل ظهور الحواسيب المزودة بستة عشر فارداً[30] تُعْتَبَر وسائل للتنمية أطوع وأجدى من اللغات ذات الكتابة الإصاتية.[31]

وإذا نطق العلم الروسي بالروسية ونطق العلم والتكنولوجيا اليابانيان باليابانية واكتشف الباحثون المهندسون الألمانيون من جديد فضائل لغتهم، وإذا أفاقت الصين غدا وَسَنّت منهجية للبحث باللغة الصينية - وقد بدأت بعدُ في ذلك - أفليس معنى هذا كله أننا سائرون وبخطى حثيثة نحو تعددية لغوية في العلوم على الصعيد العالمي؟ ومهما يكن من أمر فإن ساعة الهيمنة الأمريكية على العالم في الميادين الاقتصادية والسياسة والتكنولوجية قد دَقَّ ارتحالها وأخذت بوادر تقهقر سيادتها في البحث العلمي تلوح من الآفاق اليابانية.

وأخيرا فليس من البعيد، إذا اعتنينا بلغاتنا اعتناء اليابان بلغته أن نلتحق جماعيا مع أهل الإسبانية والبرتغالية ويوما مّا مع أهل اللغة العربية بالركب الرائد في العلوم والتكنولوجيا.[32]

II- لغة العلم والتكنولوجيا لغة خاصة:

وبما أن موضوعنا هو مشاكل الترجمة العلمية إلى اللغة العربية فإن أول ما يجب أن نعالجه هو التعرف على هذه اللغة التي سنترجم عنها ومقارنة أوضاعها بأوضاع اللغة العربية حتى نقف على الفوارق المشكلة للصعوبات ثم نحاول حصرها حصرا دقيقا وأخيرا نصنفها ونتأمل الحلول الممكنة لتصبح الترجمة ميسَّرة، مع العلم أن الترجمة العلمية تشمل التقنيات ومع العلم أن لغة العلم تختلف شيئا ما عن اللغة التقنية لاسيما في المستوى ولكن كذلك في المفاهيم وفي أدوات التعبير.

إلا أنه لا يفوتني، ولو على سبيل إثارة الاهتمام بموضوعنا فيما بيننا، الإشارة السريعة إلى الحجم الذي يتسع للنصوص المتخصصة وللتأليف فيها، مغتنما فرصة هذا اللقاء للتعريف بهذه الإحصائيات التي توفرت لي منذ سنة 1980 والتي يمكن إضافة نصفها إليها بالنسبة إلى سنتنا هذه أي سنة 1995.

جاء في الدورية «كتب الشهر» الفرنسية لشهر فبراير 1980 أنه أصدر أثناء هذا الشهر لهذه السنة، 1872 نشرة، منها 623 مؤلَّف في ميدان الأدب (شعر ومسرح وقصة عادية وقصة شُرطية وعلم خيالي ومحاولات وكتب للشباب ومزاح الخ...) أما الألف والمئتان والتسعة والأربعون (1249) الباقية فمعظمها في مواضيع التخصصات المنتمية إلى الطبقات العشر من الترتيب الاثنى عشري العالمي هكذا: العموميات 30، الفلسفة 63، الدين واللاهوت 90، العلوم الاجتماعية 301، اللغة 34، العلوم البحتة 63 العلوم التطبيقية 186 الفنون الجميلة والرياضة والتسلية 139، الدراسات الأدبية 95، الجغرافية والتراجم والتاريخ 248. وفي الميدان المعجمي تجدر الإشارة إلى النسبة التي تكتسيها الوحدات المعجمية في المعاني التخصصية إذ على سبيل المثال يوجد في قاموس (لو بوتي رو بير)[33] في الصفحات 500 و 1000 و2000 عبارات

تخصصية عددها 139. ومن العبث أن نبحث في قاموس عام عن المئة والخمسين ألف (150.000) لفظة علمية في الميدان الطبي التي يجمعها القاموس الفرنسي للطب وعلم الأحياء. وقل مثل ذلك عن المئة والخمسين ألف (150.000) دخلة لقاموس التقنية الصناعية (لريشارْ إيرنست)[34].

وفي الحقيقة فلا يمكن للقواميس المختصة نفسها أن تشمل جميع أسماء صُنافات[35] الكيمياء وعلم النبات وعلم الحيوان وغيرها إذ كل واحدة منها تتعدى ألفاظها مجموع دخلات قاموس لاروس المعْلَمِي العشاري الأجزاء والمحتوي على 163.000 دخلة.

ولغة التخصص لغة معقدة لها ميزات متعددة حملت الباحثين على تحليل مظاهرها المختلفة، منهم علاوة على اللسانيين، الفلاسفة والمنطقيون وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء السيمياء.

وسنُعالج هذا الموضوع المهم بتطرقنا إلى خمسة أبواب،[36] الباب الأول يبتدئ بتحديد لغة التخصص ومختلِف أنواعها، الباب الثاني سيفحص الخواص اللسانية للغة التقنية* مثل الاتساق النصي، والتركيز النحوي وموضوعية الجمل والاستسماء[37] وضبط الوحدات المعجمية وثروة العناصر الخطاطية. أما البابان الثالث والرابع فيكونان مخصصين لتشكيل الألفاظ ودِلالتها وكذا للبنية الاصطلاحية، كالاشتقاق والتركيب التعبيري والقرض والاختصار والنحت والحرفلة[38] والمجاز والتسبيب والتعليل والابتكار والتوليد والتحديد والترادف والحقول المعجمية والنظائم[39] المصطلحية. أما الباب الأخير فإن اهتمامه المركزي سيكون التطبيقات والتوقعات المستقبلية، أي المصطلحات المقارنة والترجمة والتعليم والتقييم والتنميط والإثراء والتوحيد إن شاء الله.

1- تحديد لغة التخصص والاختصاص:

نستعمل العبارات «لغة التخصص» و«لغة مختصة» في مقابل الإنكليزية:

language - language for specific purposes - language for special purposes

وفي مقابل الألمانية Fachsprachen.

* للغة التقنية – كتبنا للغة بثلاث لامات (عوض لامين) حتى لا تقرأ كمضاف، وتبعا للقياس (لا لكثرة الاستعمال).

ونوضح قبل كل شيء أن لغة الاختصاص تنتمي في آن واحد إلى مجموعتين واسعتين من الدّالّات[40] تتراكب معانيها وهي سيميّات[41] الاختصاص واللغة الطبيعية. ويتوفر الاختصاصيون على وسائل ونظائم[39] سيمياتية متنوعة للتعبير عن المحتوى الاختصاصي فيما بينهم منها علامات لاخطية ثلاثية الأقياس[42] (مثل النماذج والمجسمات) وثنائية الأقياس أوسوية[43] مثل الشفائف والرسوم والخرائط والمِرشامات[44] والمخططات والمِبيانات[45] والأخاطيط[46] وبعض الصيغ والعبارات المستشجِرة[47] للألسان[48] الرمزية ومنها العلامات الخطية بالمعنى اللساني (مثل عناصر اللغة أو الألسان الرمزية التي تتتابع فضائيا أو زمنيا) ومنها العلامات اللغوية المحضة (مثل الوحدات المعجمية والأرقام والرموز) والعلامات المباشرة (مثل الحساب) والعلامة الاستعراضية (مثل لغة المورسْ). وهناك إضافة إلى كل هذا أَلْسان الآلات والألوان والإيماءات والأفلام.

وقد يتساءل القراء الكرام عن هذه العلامات كلها ما الفائدة منها في مجال الترجمة فيكون الجواب كامنا في مفهوم الترجمة العلمية والتقنية لأن الترجمة العلمية تشمل التقنيات، ومعناه أننا مثلا إذا فحصنا معلمة كِتِّيي[50] في العلوم الصناعية في أبواب الكهرباء والإلكترونيات والتطبيقات فإننا نصطدم بخليط من النظائم[39] السيمياتية[41] ونلاحظ بعد ذلك أن الخاصية الأساسية للتبليغ الاختصاصي تَكْمُن في دور الألسان الرمزية من جهة وفي دور الوسائل السيمياتية غير الخطية والتُّصوارية[51] مثل الأشاكيل[52] والصور والتصويرات والمرشامات[44] والمخططات واللوحات والمِخطاطات[53] والأقنان الملونة وبعض النماذج الفَكوكة[54] (مثلا لِعَدّاد ولمركز هاتفي) ولوحات ورسوم إضافية.

وأوسع مرجع لهذه السيمياتية تلك النمائط[55] التي تصدرها الجمعية الفرنسية للتنميط والتي يمكن، على سبيل المثال الرجوع إليها في النميطة المتعلقة بالرسوم التقنية[56] لتَصَوُّر فائدتها، كما يمكن كذلك الاستفادة من الشروح اللسانية للألواح والأشاكيل[52] التقنية التي تَفَضّلَ بِبَسْطها (هو ريكي)[57].

وخلاصة القول في هذا الباب أن جميع هذه الوسائل السيميائية من رسوم وألواح وصور وأقياس ونماذج إلخ... التي توجد في النصوص العلمية والتقنية المطروحة للمترجم تقتضي ترجمتها إلى اللغة العربية ضبط أسمائها بمصطلحات دقيقة لطيفة الفوارق، الشيء الذي لا يوجد في لغتنا الحالية. وحل هذا المشكل يدخل في الحل الإجمالي للمصطلحات التي سنتطرق إليه فيما بعد.

2- لغة الاختصاص المعاصرة والماضية:

ومن مظاهر لغة الاختصاص كما هو الشأن بالنسبة إلى المظاهر الأخرى في اللغة أنها تشكل تفرُّعا ثنائيا بينها وبين حالتها الماضية لأن من طبيعة اللغة التغير واختلاف أحوالها باختلاف الزمن وحتى المكان ولاسيما في ما يتعلق بملفظتها التقنية. وعلى سبيل المثال، ماهو مصير المصطلحات الخاصة بالحاسوب قبل خمس عشرة سنة؟ وذلك لأن ألفاظ الاختصاص، باستجاباتها الدائمة لمسايرة التقدم وحركة التطور تتميز بظاهرة الزوال والعبور، ومن المفيد الاطلاع فيما يخص هذا الموضوع على تاريخ اللغة الفرنسية ل (فيلردينانْ برونوْ)[58] في أبوابها الخاصة بلغة العلوم والفنون وملفظة الحِرَف ومشاكل التعبير العلمي.

وخلاصة القول في هذا الفصل أن النص العلمي أو التقني المطروح للترجمة إذا كان قديما فالخلاص للخروج من مأزق دِلالة الألفاظ هو التسلح بالمعاجم المعاصرة لزمن النص.

3- لغة الاختصاص المعيارية وغير المعيارية وأنواعها المختلفة في الزمان والمكان:

هناك ثنائية أخرى بين اللغة المعيارية واللغة المُرسَلة أي غير المعيارية إذ اللغة التي تتسم بالتقنية والعلم هي اللغة المعيارية. أما اللغة المرسلة فإنها تشمل اللغة المنحلّة واللغة العديمة التكلف والغوصية[59] واللغة السوقية أي بصفة عامة اللغة المقولة أو العامية التي توجد فيها مواضيع تقنية خاصة ولا علمية

مثل النباتات والحيوانات الوحشية وأنواع المَرْكَبات وأجزائها وتسريج الأفراس وأدوات كَدْنِها والمحراث والحرث وفلاحة الشمندر والبطاطة وأجزاء الجزارة والأعمال التعدينية إلخ... واللغة المعيارية الاختصاصية تتغير بتغير المكان والزمان إذ لغة الاختصاص في كانادا وبلجيكا وسويسرة وإفريقيا السوداء قليلة الاختلاف في سياقها العام ولكن الاختلاف يظهر خاصة في بعض الألفاظ المعجمية والمصطلحات بالخصوص.

وخلاصة القول في هذا الباب أن مكتبة اللغات المتقدمة تتوفر فيها جميع أنواع المعاجم الخاصة باللهجات والعاميات واللغات المحلية لبلدانها وحتى للبلدان الأجنبية عنها.

4- اختلاف الاختصاصات وأنواعها:

وبالنسبة إلى ملفظة الاختصاص ومعجمها فإن الباحثين اتفقوا على تقسيم الاختصاصات تقسيما يماشي برامج التعليم أي العلوم التجريدية (الرياضيات) والتجريدية الحسية (الفيزياء والكيمياء) والمحسوسة (العلوم الطبيعية). وإحصاء الاختصاصات نفسها يبين أن العلوم الإنسانية لها 711 بابا وأن العلوم المضبوطة لها 529 بابا.[60] وفي سنة 1973 وُضِعت قائمتان موسعتان لتحديد عدد الاختصاصات، الأولى نشرتها جمعية الجامعات في ألمانيا الفدرالية تحتوي على 2268 اختصاصات تنتمي إلى 88 مُحْتذًى[61] تنتمي هي الأخرى إلى ستة مجالات أساسية هي العلوم الاجتماعية واللسانيات والفيزياء وعلم الأحياء والطب والتقنيات. أما الثانية، وهي أكثر دقة من الأولى[62] فقد جمعت ما يزيد على 5000 باب! لا فائدة في ذكر تفاصيلها هنا.

وخلاصة القول في هذا الركن أن مقارنة ما سبق بما يوجد عندنا في العالم العربي تُبَيِّن أنه يجب أن نغير سياستنا في التعريب وأن ننظر إلى قضايا خدمة لغتنا نظرة جدّ وتجند.

5- ميزات اللغة التقنية والعلمية وأنواع نصوصها:

وعكسا لماهي عليه اللغة العامة فإن اللغة التقنية تُسْتَعْمَل وتُفْهَم من طرف مجموعة محصورة من الاختصاصين الذين يتداولونها كأداة للحصول على

أهداف تهم نشاطهم الخاص كما أنها تتميز بضبط المصطلحات ونَظِيمِيّة المفاهيم وحِياد الشعور والاقتصاد في الألفاظ ودِلالاتها ومراقبة المشترَك والمجانسة وحذف المترادفات وتوخي التبسيط والابتعاد عن العاطفية والاعتبارات الشخصية، ولها معجم واسع جدا يُمَكِّنها من التعبير عن العالم الاختصاصي في تعقده وتفاصيله بكيفية مضبوطة.

ونسرد فيما يلي قائمات العناوين الأساسية لنصوص مختلفة في العلوم والتقنيات: دراسات، مُباديات،[63] أطروحات، دراسات أحادية ومذكرات، مقالات في مجلات دورية، إنشاءات تَوَسُّعِيَّة[64] عروض، تباليغ، محاضرات، مناقشات، محادثات، استجوابات، مداولات محاضر، نقود وتقارير، عروض بيان،[65] مقالات معلمية، ملخصات، ضبارات لَمْحِيَّات[66] مواصفات، براءات اختراع، أدلة الاستعمال، رسائل، مُشيرات، محتويات، ذخيرات نمائط اصطلاحية، قواميس متخصصة، تصانف كُتُبية، فهارس إلخ.

6- الاتساق في النصوص العلمية التقنية:

وأول ما يجب اعتباره في النصوص العلمية التقنية (أو العلميتقنية)[67] وتأمله جيدا كي يحصل فهمها الفهم الجيد من طرف المترجم هو الاتساق، ونبدأ بتركيز الاهتمام على الاتساق الجملي الذي يتكون من أدوات الربط بين كلمات الجمل المتجاوزة والتي تسهل الفهم بالنسبة إلى سرد عناصر العدّ والأوصاف والترتيبات والاستدلال والاستنتاج والبرهنة والمقارنة إلخ أي الفكرة التقنية والعلمية المعبر عنها لغويا[68] واعتبار حقيقة أمرها دِلاليا قبل البدء في عملية الترجمة هو أساس ما تتطلبه الترجمة العلمية بالنسبة إلى كل عنصر من عناصر البنية الدقيقة التي تنبني عليها النصوص الأصلية والتي يجب نقلها إلى اللغة المترجم إليها، لأن حقيقة الأمر على كل حال هي المحتوى المقصود تبليغه ليس هو محتوى الجمل المنعزلة بل هو محتوى النص المتناسق الجمل بفضل أدوات الربط، والكل بجميع عناصره هو الذي يساهم في تشكيل اللغة التقنيعلمية وتكوينها التكوين الحسن.[69]

III- الوحدات المعجمية اللسانية وغير اللسانية

تتألف النصوص التقْنيعِلمية من الوحدات المعجمية اللسانية التي تسمى

بالوحدات التامة التمفْصُلِ التي سنتطرق إليها فيما بعد، ولكن النصوص التقنيعلمية غنية بعبارات غير لسانية ويسميها بعضهم مُقْصَرات كتابية.[70] والمقْصَرات هذه ألفبائية (بمعنى أنها مركبة من حروف) مثل «ايس = S» (الدالة على سيمنس = Siemens) مثلا «و پي أ – PA» (للدلالة على پاسكال = Pascal) و«اوْ، ايم، إيس OMS (الدالة على المنظمة العالمية للصحة) ولكنها تدل كذلك على (نظيم المناورة المدارية Système de manoeuvre orbitale) والوحدات المعجمية الرمزية الكتابة مكونة أساساً من أرقام (وحدات عددية) ورموز خاصة، لها دلالات بطبيعة الحال تعبر عنها بواسطة مُقْصَرات كتابية ليس لها أية علاقة بالعلامات الإملائية العادية مثلا «إحدى المئة وأربعة = أوْن سانْ كاتر = une 104» (أي إحدى السيارات من طراز 104) أو العلامة على الدرجة «°» وعدد هذه الوحدات المعجمية كثير جدا يمكن أن نختار منها الأصناف الآتية على سبيل المثال والحصر:

1- حروف: حرف «إين N» (الذي يشير إلى الشّمال) وحرف پي = (الذي يشير إلى علاقة محيط الدائرة بقطرها).

2- أرقام: أوْن سانْ كاتر – une 104 (طراز سيارة من عينة پوْجو Peugeot)

3- رموز خاصة: «پور سانْ – ٪» (بالمئة)

4- حروف + أرقام: (عبارات أَلِفْبَارَقْمِيّة مثلاً بي ايل 234 = BL 234 (طراز حراث)

5- حروف + رموز خاصة: مثلا «اين أ = +Na» (إِيُونْ صوْدْيوْم Ion sodium)

6- أرقام + رموز خاصة: مثلا سانْ پور سَانْ 100% Cent pour cent (مئة بالمئة)

7- حروف + أرقام + رموز خاصة: مثلا «زيد كارانْط، زيرو، زيرو اونْ = Z 40-001» (إشارة إلى نمطية) أو «سي = سانْ دوْكري سانتيگراد «C = cent 100° degrés centigrades!» ومن الملاحظ في الدراسات الترجمية قلة أخذ هذه الوحدات المعجمية بالاعتبار من طرف الدارسين والباحثين، وهذا مالا نتفق معهم فيه لأننا نعتقد أنها تشكل جزءا من أجزاء اللغة التقْنِيعِلْمية. لذلك خصصنا لهذه المُقْصَرات الكتابية هذه الإشارة الموجزة.

1- الأسماء العامة وأسماء الأعلام

وكذلك نرى أسماء قلما تدخل في حساب الدراسات اللسانية والاصطلاحية مع أن لها خاصيات دلالية في النصوص التقنيعلمية فالأعلام تشكل ألفاظا مشتقة ومركبة تمتزج مع مسمياتها لتأدية معان خاصة مثلا من «أوكليد» (= الهندسة الأوكليدية، مُسلّمة أوكليد).

من لووي باستوْر (بَسْتَرة، مُبَسْتـر) من «رودولف ديزل» (= الديازال، محرّك، سيارة، دْيزَلَة، الديازال الكهربائي (قاطرة) من «لي بوْ دوْ پروفانس» = Baux - de - Provence) لابوكسيت = صخر يستخرج منه الألومينيوم).

وتُشكل كتابة الأسماء العامة وأسماء الأعلام بالحروف العربية وخاصة في المصطلحات مشاكل عويصة لقراءتها والنطق بها بسبب تأثير الكتابة العربية فيها وتطبيق ظاهرة الاختصار وعدم كتابة الحركات وحروف المد.

2- الحروف والعلامات الإمازية[72] والكتابة الرمزية[71]

من باب الحروف، هناك الحروف الرومانية التي عددها 26 بإضافة طبعا العَقَدات[73] وتشكل في صورتها الصغيرة والكبيرة مُقْصَرات كتابية مثل «سي = C» (الدالة على كولون (coulomb = وحدة كهربائية) أو «كاپي آ = Kilopascal = KPa» أو «پي آش» (Ph = پوتانسْيِلْ إيدروجين = potentiel hydrogène) أو فولاذ «إين إي – سي – إر (آسيي نيكيل كْروم - acier Ni- cr (acier nickel chrome) وبالإضافة إلى ذلك فإن الحروف المنبورة: è, é, ç, â, à ü, u, û, ï, i, ê لها نفس استعمال الحروف الأخرى في لغة الاختصاص وكذلك فاصلة الحذف[74] التي وظيفتها ليست هي وظيفة الإمازة ولا وظيفة علامات الوقف.
وتوجد في لغة الاختصاص أيضا علامات إمازية خاصة مثل النبرة على حرف «A = آ» (في آپريم (A prime = A’) والخط العلوي في «پي» (P̄= ليس پي= non-p).

وكذلك الحروف اليونانية في صورتيها الصغيرة والكبيرة، تستعمل بصورة مُقْصَرات كتابية مثلاً پي = π» (عدد پي = nombre pi) و« δ » ديوپتري = وحدة انكسار التقارب المبصاري) و«ريايون Y» (rayon gamma)

و«پار تيكوّل Ꜫ » (هتامة سيگما) و«مؤايِف = MF» (microfarad= ميكروفاراد) و«ω » (أوْ ميگا = أوْهم = المقاومة الكهربائية).

هناك علامات تصوارية[52] أي شكلها يشبه شكل الموصوف، غير أنها قليلة مثال ذلك: مطيلة في شكل حرف أوْ (U) أو عمود في شكل تيْ (T) أو (ايلس ايلياك = S iliaque) أي جزء متعرج من القولون.

ومن العلامات الغير الألفبائية (غير حرفية) هناك الأرقام. لها مرتبة ممتازة بسبب أهمية الحساب والقياس والتشبيه والنصوص المختصة التي تستعمل الأرقام العربية واللاتينية.

وبصفتها علامات رمزية الكتابة فإن الأرقام يمكن أن تشكل أو أن تساعد على تشكيل ألفاظ مقصرة الكتابة. وقد رأينا أنها تظهر وخدها مثلا «لوسيْنْكسانْ» (الخمسمئة، وهو قارئ مبصاري لمحارف سيْ، اي، تيْ اَلْكاتيْل CIT alcatel) أو في العبارات الرقْميألفبائية مثل (ايْرْ ديزْوْيت R18) أو «اَ ترواسانْ ديس = A310» نموذج للطائرة إيْربوّس) أو «ايْس، ايْس كاترسانْ ترانْت تروا SS433» (نجم غريب في كوكبة العقاب) أوفي العبارات النصفية المقصرة مثلا «ديْلتا 25» (في التقنيات النووية) أو في «فيرْتروا = III» = (Fer 3) حديد ثلاثي التكافؤ، أو «روْنو 145» (طراز جرّار ثقيل).

والوضع العمودي للرموز، وبالخصوص الأرقام يمكن أن يكون إقْصاديا[75] إذا كان في شكل مُقْصرات كتابية، ويكون ذلك شائعا في علامات الاستدلال والأساس (جمع أُسّ في الرياضيات) مثلا: «ايلسْ، ايْف يوْيسانْس سيسْ = SF^6» (Hexafluoreure de soufre) أو: «S^2» (= سوْكونْد كاريْ) ثم تأتي المجموعة المهمة للرموز الخاصة (الرموز الكتابية الغير الألفبارقيمة) التي تنتمي إلى اللغة الرموزية وإلى مختلف المراسيم الوظيفية وغيرها ولكن بعضها يظهر مرارا في النصوص التقنيعلمية ومنها بالخصوص.

«°» (درجة) و«′» (دقيقة الزاوية) «″» (ثانية الزاوية) و«-» (علامة السلبية أو الطرح) و «>» (=أكبر من)[76] «<» (= أصغر من)[76] «≤» (= يَصْغُر أو يُساوي)[76]. ≃ (= يختلف قليلا عن)[76] «٪» (بالألْف)[76] «∞» (= لانهائي) «*»

(النجمة) «&» (حرف عطف تجاري « ◊ » (معيَّن له في بعض الأحيان معنى الإحالة)« √‾ » (الجذر المربع)[76].

3- الوسائل الطباعية وعلامات الوقف:

هناك نوع آخر من الوسائل الخطاطية هي الوسائل الطباعية الآتية: المحارف[77] المائلة تستعمل للدلالة على النص الاستشهادي أو على الميزة الأجنبية أو على الخاصية الدلالية للعبارة المراد إبرازها. أما استعمال المحارف النصفية الغلظ وكذلك الغلظية والمائلة والرئيسية المتتابعة وفي بعض الأحيان إفضاء[78] المكان فإنه يعني التأكيد على العبارة المقصودة وفي النصوص المرقونة[79] أو المكتوبة باليد وأحيانا في النصوص المطبوعة يكون التأكيد بواسطة التسطير واستعمال المحارف الكبيرة (وكذا المحارف الكبيرة في أول الكلمة متبوعة بمحارف صغيرة) في كتابة كلمات له دور مهم للتعبير عن الميزة الدلالية الخاصة لوحدة معجمية. وفي النصوص المتخصصة تبرز أسماء الشركات ومختلف المنظمات بواسطة المحارف الكبيرة كما أن أسماء الأعلام تطبع بالمحارف الكبيرة إلا أن الأحوال تختلف ويحدث اضطراب في تطبيق القواعد الكتابية للمحارف الكبيرة إذ هنا يوضع المحرف الكبير في أول الكلمة فقط مثلا: Conseil international de la langue française

وهنا نجد الكل مطبوعا بالمحارف الكبيرة:

ASSOCIATION FRANÇAISE DE NORMALISATION

وفي الأسماء العادية نرى المحارف الكبيرة مستعملة خاصة لإبراز المدلول في الكلمات نحو Les Mammifères (أنسيكلوپيديا اونيڤيرساليس) ولكن (كَران لاروس أنسيكلوپيديك) نجد Les mammifères. وكثيرا ما تستعمل المحارف الكبيرة في الحروف الأولى من الكلمات إشارة إلى أن هذه المحارف ستستعمل في صورة حرفلات[38] مثلا:

(Séries Electroniques Structurales) = (SES) وتدل كذلك المحارف الكبيرة على الفصل بين الكلمات والجُمَل إلاّ أن الفصل في الحقيقة يُؤدَّى بالبياض رغم أن عيب البياض عدم تغير المسافة بين الكلمات وفي النصوص

التقنيعلمية يُستعمل البياض للمساهمة في الدِلالة الإجمالية للعبارة العددية مثلا (000 1000) التي فيها نرى أن البياض هو العلامة الفاصلة بين المجموعات الثلاثية للأسفار. وفي فرنسا غالباً مايعوّض البياض بالنقطة (1000.000) بينما نرى أن الاستعمال الإنكليزي الأمريكي يفضّل الفاصلة 1,000,000).

أما خط الوصل فإنه يدل على أن الكلمات موصولة دِلاليا بكفية شاذة وأنها تقوم مقام وحدة معجمية مثلا: Moissonneuse-batteuse-lieuse (حصّادة درّاسة ربّاطة).

أما علامة القسمة أو خط القسمة فإنه يلغي دلالة البياض ويدل على أن الكلمة النهائية في السطر ليست هي الأخيرة.

والوسائل الخطاطية التي لها وظيفة دلالية هي علامات الوقف، ووظيفتها الإشارة إلى انتهاء الجملة أو تقسيمها أو بيان مكوناتها. ونشير بصفة خاصة إلى بعضها لِما لها من دلالات متميزة مثلا علامة التعجب تستعمل في حالات عدم الالتزام بالحياد الموضوعي، كما أنها إذا كانت بين قوسين تحل محل (كذا= Sic) بمعنى التنصيص على خطأ أو على عبارة غريبة أو مشكوك فيها في النص الأصلي.

والوظيفة الرئيسية للفاصلة التأكيد لأسباب مختلفة على تشديف الجملة إلى أُجْمولات[80] أو مركبات.

أما الزاويتان[81] (« ») والزاويتان الزائفتان (< >) والفاصلات المعكوسة („ ")، و(‚ ') فإنها تميز بالخصوص من الناحية الدِلالية الألفاظ التي بينها والألفاظ المجاورة. وتجدر الإشارة إلى أن علامة الزاويتين في الألمانية توضع معكوسة عنها في الفرنسية فمثلا الزاويتان الفاتحتان في الفرنسي (») هما الخاتمتان في الألمانية.

والنقطة قد تستعمل للدلالة على الضرب (المضاعفة) إذا جاءت بين الحروف. ونعلم أن الفاصلة صارت تدل على التقسيم العشاري ولكننا نعلم أيضا أن النقطة العشارية هي التي لها نفس الوظيفة في ميادين أخرى.

وعارِضة القسمة الواربة[82] تقوم بوظائف خاصة مثلا في العبارات الآتية:

«أعضاء التحكم في الدخلات / الخرجات (الدخرجة[83] بالألمانية (-E/A Steu reinheit) = (Organe de commande des entrées/ sorties) أو «500/300 كغ في الهيكتار» (300/500kg à l'hectar) أو «70ط/هـ» = (70t/ha) أو «التبخر / الساعة» = (évaporation/heure) أو (م/ث2 = m/s^2 = متر بالثانية المربعة) كل هذا يدل على أن العارضة الوارية تحل محل الحروف الآتية: «و، في ب» إلخ .(et, à, par)

وعلامة التعجب والنقطتان تدلان على رموز رياضية مثلا: -égale par déf) inition)=: أي يساوي بدليل التعريف و(N Factorielle) N أي عاملي إين:

أما القوس والمعقوفة[84] واللامّة[85] فإنها أخذت في الخطاب الرمزي معاني مختلفة مضبوطة، ونقف في هذا الركن على هذا القدر لما فيه الكفاية في الشرح.

4- وضع المصطلحات وأنواعه:

نخصص الفصلين الآتيين لدراسة الألفاظ من الوجهة المعجمية لأنها تشكل الميزة الأساسية للغة التقنيعلمية ونبدأ بالنظر في تشكيلها ومعانيها ثم نتطرق إلى بنية الإصطلاحات أي إلى العلاقات التي توجد بين الألفاظ.

والوحدات المعجمية لا تصير مَحادِد[86] لفظية إلا إذا حددت معانيها واستعملت في نصوص الاختصاص، ومن المعلوم أن احتياجات التوليد المعجمي في التقنيات والعلوم كثيرة جدا بحيث أن الموارد اللغوية في هذه الميادين يجب أن تكون قوية خلاقة وولادة حتى تستطيع أن تواجه بالكفاية وفي الوقت المناسب المتطلبات المتزايدة التي تقتضيها التسمية المختصة.

ومن المعلوم أن التسمية البسيطة تشكل الوسيلة المباشرة لتكوين الكلمات البسيطة مثلا «باك، شو، كوط، أو، فير، فورم، كاز، كلاس، أور، پونپ، ترون (Tronc, pome, heure, glace, gaz, forme, fer, eau, côte, chou, bac,) إلا أنها قد تدخل في تشكيل مجادد (بصفتها كلمات مكوِّنة لمركبات تعبيرية مصطلحية مثلا: باك ايريان = «معدية جوية» (انك air ferry) أو «اوْ گازنيْيفيلي = ماء مُغَزّى أو: «ترونْ» دوكون = «جذع مخروط».

5- الاشتقاق الغير الصّحيح

من بين أنواع وضع المصطلحات يتبوأ الاشتقاق المكانة الوسطى بين التسمية البسيطة والتسمية المركبة (أو العلمية) وفي ما يخص الاشتقاق فهو نوعان: الاشتقاق الغير الصحيح والاشتقاق الصحيح الذي يكون بالتصدير والتكسيع (أي بدخول الصوادر على أوله أو بإلحاق الكواسع على آخره).

أما الاشتقاق الغير الصحيح فهو الذي تكون فيه كلمتان متماثلتان شكلا (ومن جذر واحد) وتُنتسبان إلى طبقتين معجميتين مختلفتين، مثلا عندما تكون كلمة «أو بجيكتيف» إما نعتا (وفي هذه الحالة معناها موضوعي) وإما اسما (وفي هذه الحالة معناها: شبحية) أو مثلا ساڤوار (في صيغة الفعل أو في صيغة الإسم) أو تكون كلمة «بلان» إما نعتا (بمعنى أبيض) وإما اسما (بمعنى البياض) أو تكون كلمة «ديريجابل» إما اسما (بمعنى مُنطاد مسيَّر) وإما نعتا (بمعني قابل للتوجيه) وفي المعاجم آلاف من هذه الأمثلة ينبغي بل يجب الانتباه إليها لضمان ترجمة وفية جيدة.

6- الاشتقاق الصحيح (التركيب)

أما الاشتقاق الصحيح فإنه يحدث بواسطة صوادر أو كواسع تلتحق بالدوامج (الصوادر في الأول والكواسع في الآخر والدوامج في الوسط) نسميها مركّبات، وهي يونانيلا - تينية الأصل في أغلبيتها مثلا «polymère بوليمير = عِدِّي الجزيئات[87]» أما التركيب فإنه يحدث في حالة تجاور كلمتين أو أكثر لتكوين كلمة مركبة واحدة مثلا «لوكارتير - موتور» (le carter-moteur =) حوض محرك أو كارتيرمحرك (مع العلم أن كارتير اسم مبتكره) أو «لاڤ ڤيتر Lave-vitre =» غسّالة الزجاج (انڭ windscreen washer ألمانية: Scheibenspüler).

وقد تطرح الصوادر والكواسع مشكلا في الترجمة مثلا (ment وage) لهما نفس المدلول في ديفريشوماڽ (= défrichement) وديفريشاج = -défrich age بينما «اينّ» (= in) قد يحدث التباسا مثلا في ininflammable فإن «اينّ» الأولى والثانية لهما معنيان مختلفان، الأولى تقابل «اينّ» في اينسوبميرسيبل

(insubmersible = غير غروق) والثانية تقابل «إينّ» في اينَفيلتري (= infiltrer = أرشح) وهناك ثلاثة كواسع «إيت = ite» (الأولى في «آرثريت = arthrite» (التهاب المفاصل) والثانية في «آپاتيت = apatite» (الحجرة الكاذبة) والثالثة في «سوُلفيت = sulfite» (ملح الحمض الكبريتي).

وأكبر مشكلة في ترجمة المصطلحات تكمن في ضبط مفاهيم المكونات اليونانيلاتينية ووضع مقابلات لها عربية موحدة وهذا ما نحن مكبّون عليه، ونأمل الانتهاء منه عن قريب إن شاء الله بإصدار كتاب عنوانه «دليل المصطلحي».

7- *التقارب والتجانس اللفظيان:*

ومن المشاكل التي قد تخدع المترجم، الألفاظ المتقاربة والمتجانسة وهي كلمات مختلفة إلا أنها متشابهة أو متماثلة إلى حد انخداع المترجم بها، مثلا «آميْريكينّ» ومقاربه «آرموْريكينّ» (américain وarmoricain = أمريكي وأرموريكي) أريْوْل (لُعوة) ومقاربة «أوْريوْل» (هالة أو لطخة) «أوْريجينال (= أصلي) ومقاربه أورينيال (عَلَنْدُ كانادا[88] سوْسكريپسيوْنّ (عنوان رسالة) ومقاربه سوسكريپسيون) (= اكتتاب souscription) و(suscription = عنوان رسالة).

أما الألفاظ المتجانسة فهي مجموعة كلمات لها نفس الشكل في الكتابة أو النطق مثلا: كوليْريك = «Cholérique» (= من الكوليْرا = الهيضة) و«Colérique» من (لاكوليْر = الغضب) أو «بيْ baie» (شرم) و(baie عِنَبِيّة) أو «سوْسپينّس» و(suspense = رباط وsuspense = تَوَتّر) أو «ايْر» (air = هواء وaire باحة وère عهد وerre = مشية وers = كِرْسَنّه وhère = مِسكين وhaire = جوخ خام) إلخ...

وكثيرا ما نعثر في تقارير الترجمة الكتابية والشفاهية* على أخطاء فادحة سببها التجانس ولاسيما في الترجمة الفورية. لهذا أشرنا إلى هذه

(*) ينبغي الانتباه إلى الفرق بين شفاهي (oral) (مصدر شافه) وشفوي (labial) (نسبة إلى شفة لأن الخلط بينهما كثير الحدوث.

المشكلة منبهين المترجمين إلى المزيد من الحذر والتثبت، وزيادة على هذا فإن التجانس الكتابي واللفظي يتناقض مع مثالية فردية التقابل[89] في اللغة التقنيعلمية لأنها تدل على عدم اللبس أي وجود مفهوم واحد مقابل شكل واحد وتسمى في ميدان المصطلحيات فردية الدلالة. ورغم أن ظاهرة التجانس شائعة في جميع اللغات إلا أن اللغة التقنيعلمية تتضرر منها لذلك نرى أن المؤلفين في الميادين العلمية ينبغي أن يحاولوا التخفيف من هذا الضرر بتجنب التجانس أكثر ما يمكن.

8- الترادف والتضاد:

يعتمد البحث عن المقابلات في الترجمة على الترادف بين لغتين مختلفتين، مثلا في لغة يقال «زوم» وفي أخرى يقال «شبحية» ذات مسافة بؤرية متغيرة. هذا من باب الاستعمال المتخالف أو مثلا «ايكروويل» و«سكر وقول» من باب الاختلاف الزمني، أو مترادفات موضوعة لمخالفة الآخر من باب المنافسة مثلا «اوفرييي = oeufrier (= مبيض وهو اللفظ الأساسي) يرادفه «كازيي = casier، باك = bac وبانيي وتيروار = tiroir وبلاطو plateau وألفيول وبالكوني balconet ومول moule وتابليت tablette ونيش niche».

أما التخالف الشكلي بين ألفاظ الازدواج الترادفي فهو شائع كثيرا «سيانس دو سول» (= science du sol = علم التربة من باب التعجّم)[90] و«بيدولوجي» (= pédologie = علمية التربة[91] من باب تلاصق المركبات)[92] ومثلا «سوكريتير دو تورناج» (= secrétaire de tournage كاتبة التصوير)، و«سكريپت گورل» (= script girl من باب القرض) ومثلا «آسيد ريبونوكليييك» (من باب التعجم) و«آ اير اين = ARN» (من باب الحرفلة) ومثلا «ديوكسيد di-oxyde = bioxyde = بيوكسيد» و«بيوكسيد مغيّر» (modificateur «مؤديفيكاتور») «مؤديفيور» (modifieur = محول) ثاني أوكسيد، من باب ترادف الصوادر ومثلا مِحدان[87] مشتقان مختلفا الجذرين والمركبين مثل «لوجيسييل = logiciel برنام[93]» و «پرو گرامؤري = programmerie = (نفس المعنى).

9- خصائص الترجمة التقنية والعلمية.

نتطرق فيما يلي إلى الترجمة التقنيعلمية من مظهرين أساسيين مظهر

العملية الترجمية ومظهر نتيجتها أي النص المترجم مهما كان نوعه كتابيا أو شفاهيا، ومهما كانت، ووسيلة إنتاجه إنسانا أو آلة إلخ، ونحصر الموضوع في الترجمة المتخصصة (التقنيعلمية، الإدارية، القانونية المهنية إلخ).[94]

وفي نظرنا فإن مراحل الترجمة التقنيعلمية ينبغي أن تكون:[95]

أولاً: تأويل النص المصدر (إنكليزي أو ألماني مثلا) **ثانيا**: تحديد العناصر اللغوية الاقصادية للنص المصدر، **ثالثا**: إنتاج النص الهدف محرر باللغة الهدف (العربية) ينبغي أن تكون عناصره اللغوية الاقصادية نظيرة لأخواتها في اللغة المصدر.

ومن المعلوم أن المحتوى المعرفي للنص التقنيعلمي يُشكل أهم جزء من عناصره الاقصادية كما أن أهم جزء من العناصر الاقصادية يتكّون من المُدركات التي تحملها المحادد[86] التي تظهر في النص. ونظرا لما تكتسيه العلاقة السياقية بين الألفاظ المحددة المفاهيم بكيفية كبيرة الضبط فمن الخطورة اللجوء إلى الأساليب الجمالية أو الاعتيادية. فمثلا بالنسبة إلى الترجمة بين الإنكليزية والفرنسية ينبغي أن يُترجم مِحدّ إسمي أنكليزي بمحدّ إسمي فرنسي، فإن لم يوجد هذا في اللغة الهدف يلجأ إلى توليد محد جديد أو إلى تركيب تعبيري واصف غير تعجّمي[90] أو إلى إعادة تحديد صيغة متوفرة أو إلى المِحد الأجنبي يوضع بين زاويتين وإضافة جملة تفسيرية عارضة.

وبصفة عامة فإن ترجمة النصوص التقنيعلمية يمكن أن تكون ترجمة متقابلة المحادد (أي لفظا بلفظ) في كثير من الأحيان ولكن هذا لا يتوفر إلا بين لغتين متساويتي الدرجة التقنيعلمية لا بين لغة راقية ولغة متخلّفة، إذ كي تكون الترجمة وفية أمينة يجب أن يحصل نقل المحتوى بكامله من اللغة المصدر بدون أي إهمال (أي ضياع) وبدون أي زيادة دلالية.[96]

أما إنتاج النص فإنه يتسنى بإيجاد وتقدير ثم اختيار نظائر اللغة الهدف. وينبغي للمترجم أن يبدأ بالبحث عن النظائر المقابلة للوحدات المعجمية للنص الهدف، ثم بعد ذلك، ومع اعتبار النص بكامله، يشرع في ترجمة الجُمل الإحدى تلو الأخرى. وبطبيعة الحال فلا يتيسّر ذلك إلا بمراعاة تقابل القواعد

الصرفية والنحوية والأسلوبية بين اللغة المنبع واللغة الهدف لأن المقصود هو إنتاج نص يجب أن يكون لاسيما نظيرا للنص الهدف ولكن كذلك يجب أن يكون مطابقا لقواعد اللغة المعيارية (من باب الإملاء والنحو والأسلوب إلخ...).

وإذا أراد المترجمون أن ينتجوا نصا هدفا مُرضيا فلا بد أن تتوفر لديهم مصادر وثائقية «ابتدائية» و«ثانوية» (أدوات المترجم) وأن يكون في استطاعتهم الاتصال بالخبراء الاستشاريين لاستشارتهم في الميادين الاختصاصية التي قد يكونون بعيدين عنها من حيث التكوين والمعرفة.[97]

وأهم ما يشغل المترجم في نشاطه الترجمي هو تردده في اختيار أحسن صيغة لتأدية المقابلات الدلالية بين اللغتين. وتجدر الإشارة إلى أن أكابر الهيئات المشتغلة بقضايا الترجمة ضبطت كل واحدة على حدة مقاييس لتقدير الترجمة الجيدة على هذا الأساس تقريبا: النظر في المعنى (المعنى المعرفي الأساسي) واللوائن[98] (لأنها تكمل المعنى الأساسي) وعملية المصطلح (تعادل المحدد) وعوامل التأثير (تصادف الكلمات الانفعالية، الجناس الاستهلالي، طرق الإبراز إلخ...) والزيادات والنقص والإهمال والإملاء والتركيب النحوي والاستعمال والأسلوب والركاكة واللطافة والمنطق والاتساق والتصرف العام إلخ...[99]

البحث عن النظائر المحدّيّة والمصطلحات المقارنة

وقضية الجودة تؤدي بنا إلى عمق الترجمة التقنيعلمية، ألا وهي البحث عن المِحدّ الهدف المقابل للمِحد المصدر، ثم المصطلح الهدف المقابل للمصطلح المصدر، لتتكافأ الألفاظ وتتقابل بدون لبس، ومن المعلوم أن المعاجم والقواميس المتخصصة، في هذه الميادين هي التي تلعب الدور الأساسي في الترجمة التقنية. وبما أن العلم يسير بسرعة كبيرة فإن المعاجم والقواميس كثيرا ما تبقى متأخرة لا تساير سرعة التقدم العلمي، لذلك تلجأ الهيئات الساهرة على الاستمهاد* اللغوي إلى التجريد الدائم للنصوص العلمية الجديدة وإنشاء بنوك

(*) استمهاد لغوي: أمينا جومان لينكويستيك

للكلمات رغبة في تسهيل أعمال المترجمين مثل المجلس الدُّوَلي للغة الفرنسية «وأفرؤديكوتوم» (القاموس التلقائي للجنة العشائر اللأوروبية) وبنك الحكومة الكانادية للمصطلحات وبنك كيبيك للمصطلحات و«نورماتيزم» في فرنسا و«تي اَ ايلم» لشركة «سيمنس» في ألمانيا «وتيلرمدوك» في السويد و«ليكسيس» في ألمانيا.[100] وقاعدة المعطيات المعجمية في المغرب (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب) التي أخرجنا منها بواسطة المعلوميات معاجم موحدة بالحاسوب بنسبة مئة بالمئة (فرنسي – عربي وعربي – فرنسي) والبنك الآلي السعودي للمصطلحات «باسِمْ» إلخ.

والبحث عن النظائر اللغوية يكون على درجات، من السهولة التامة إلى الصعوبة العويصة بل إلى الاستحالة وذلك حسب مايلي: إذا كانت الكلمتان متجانستين لفظا أو كتابة، ويكون ذلك في حالة القرض أو الاستعمال الدولي، فالتناظر يكون سهلا وتاما، وفيما عدا ذلك فإن التوصل إلى التناظر قد يكون مختلفا باختلاف المصطلحات بين اللغتين المختلفتين لاسيما إذا كانت اللغتان مختلفتي الأصل مثلا بين العربية (لغة سامية) والفرنسية لغة أوروبية (لغة آرية).

ولا حاجة إلى ذكر مشاكل الترجمة بين لغتين غير متخصصتين، لأن مشاكلها تنتمي إلى اختلاف البيئة الثقافية مثلا كيف نترجم «أبواب المدينة» لأناس لا يعرفون إلا الخيام، أو كيف نترجم «ثلج» لسكان الصحاري الذين لم يروا الثلج ولا يعرفونه؟[101]

وفي اللغة التقنيعلمية، رغم أن هذه الاختلافات البيئية والثقافية المادية والاجتماعية والإدارية توجد أيضا إلا أنها أقل جدة وذلك لأن كلماتها محددة تحديدا أكثر دقة (مَحَادِد) مما جعلها تقبل المقاربة أكثر من غيرها وتتلاءم مع التقطيع المفهومي للمدارك التقنية والعلمية.

تعليم علميّة المصطلح ومعايير التنميط

ومن أسباب تذليل مشاكل الترجمة العلمية نذكر تعليم اللغة التقنيعلمية على مستوى وحدات البحث في كليات التعليم العالي وكذا تعليم مادة

المصطلحيات مع العلم أن تعليم عناصر اللغة التقنيعلمية ينبغي أن يبدأ في التعليم الثانوي، بالتركيز على تلقين ملفظة النصوص التقنيعلمية الذي أظهر فائدة كبيرة في هذا الميدان بحصر قائمات مصطلحية مبنية على ترددها بين لغة المصدر ولغة الهدف،[102] ثم اختيار النصوص الملائمة التدرج حسب الغاية المقصودة إلخ...

وأول مشكلة تطرحها قضية المصطلحات هي التوحيد، أي توحيد ما يوجد متداولا إلا أنه يختلف من بلد إلى بلد وفي نفس البلد من مؤسسة إلى أخرى وحتى في نفس المؤسسة بين العلماء والمؤلفين. وأول وسيلة للتوحيد هي التنميط، والتنميط غايته الحصول على الدرجة المثلى لتنظيم المصطلحات في شتى الميادين التقنيعلمية والاقتصادية، ويتجلى التنميط في إعداد نمائط اصطلاحية تُنْشَر ثم تَدْخُل في حيز التطبيق على الصعيد الوطني بوسائل مختلفة من بينها الفرض أو التوصية من طرف الهيأة المالكة للسلطة في ميدان اللغة، ويكون تنميط المصطلح في المعنى والشكل في آن واحد كما قد يكون المصطلح المنمّط أو الموصَى به محدّاً مختارا من بين مَحادِد مترادفة متوفرة، وهذا ما يسمى بالتنميط الانتقائي. أما إذا كان المِحد لفظا جديدا (مولّدا) فذاك ما يسمى بالتنميط التوليدي. ومن المعلوم أن التنميط لا يحدث إلا بعد عملية التقدير، تقدير المصطلح المقصود تنميطه من عدة جوانب لذلك وضعت هيآت التنميط معايير تعتمد عليها في قراراتها منها:

أولاً: معيار النطق والإملاء، ويدخل فيه قِصَر المِحدّ وإيجازه وعدم تنافر حروفه وسهولة النطق به وصحة إملاءه. وفي هذا الباب تدخل عملية القرض بمعنى أن الكلمة الأجنبية التي تكون مرشحة للدخول في اللغة الوطنية يجب، لابد، وبدون هوادة أن تتجنس بجنسية اللغة الهدف وإلا أدت مع طول الزمن ومع تزاحم أخواتها للدخول معها، إلى إفساد اللغة المترجم إليها، أما إذا تجنست اللفظة الأجنبية وخضعت إصاتيتها[31] لقواعد إصاتية اللغة المضيفة فلا ضرر في ذلك.

ثانيا: معيار الصرف والنحو، يعني الانقياد والخضوع لخصائص وقواعد

اللغة الهدف ولعبقريتها من حيث بنيتها الداخلية وقبول وضعها بين الكلمات المركبة للجملة وتلاؤمها مع ظاهرة الإعراب مثلا.

ثالثا: معيار التركيب النحوي بمعنى الأصناف المعجمية والوظائف النحوية بالنسبة خاصة إلى المحادد التركيبية التعبيرية[104] والبنية الخطية والتسلسلية واللبس النحوي والدلالات الطارئة والاتساق التركيبي والحذف النصيّ وسهولة الاستعمال داخل النص. ولكن هذه المعايير قلما تؤخذ بعين الاعتبار لذلك نرى أن كثيرا من المصطلحات الموضوعية لا تستعمَل لأنها لم تمحص في ضوء هذه المعايير.

رابعا: المعيار المعجمي، وهو الذي يحدد ملاءمة المِحدّ المعجمية (نظيميته بالمعنى الواسع) أي يُبحث بالنسبة إلى مفهوم معين عن الشكل الذي يجعله يتخذ مكانه في البنية المعجمية للغة.

خامسا: وهناك مظهر للمِحد من باب الإنتاج أي ميزته التكوينية والاشتقاقية وطاقة جذره في إنتاج المشتقات منه، حسب تعبير جماعة من اللسانيين.[105]

سادسا: وهناك أصل المِحد وتناسبه مع المحادد المستعملة في اللغات الأخرى بمعنى هل يجب توليد المصطلحات دوما في اللغة الوطنية أو ينبغي فتح النوافذ على القرض وكيف يكون الموقف بالنسبة إلى المكونات اليونانية واللاتينية واليونانيلاتينية، وبالنسبة إلى المصطلحات الدولية هل تنقل كما هي أو تترجم حرفيا أو بتوسيع، وهل تقارب الاصطلاح الدولي أو تعتمد على عبقرية اللغة القديمة أو الحديثة: وما العمل إزاء توحيد المصطلحات على الصعيد الدولي؟

سابعا: ومن باب العلة والمعنى فهل الدافع يوافق الدلالة (المدرك والتركيب التعبيري المحدد للمعنى)؟ أو بعبارة أخرى. هل البنية السيميائية للمِحد ملائمة؟ وما العمل حتى لا يوحي المحد بفكرة خاطئة بالنسبة إلى المقصود؟ وهل المِحد منطقي وواضح وماهي قدرته على الإيحاء وهل الدافع إليه إقصادي؟ وماهي

طاقته الاستذكارية؟ وأخيرا هل هناك حقيقة ضرورة لإيجاده وبالنسبة خاصة إلى المختصين في ميدانه.

ثامنا: وهناك مصداق الاستقرار والاستعمال يحصلان بالاستعمال وإقرار العرف وتردده في التداول وتوزّعه في مختلف الجهات المعنية أو بالأحرى برجوعيته.(106)

تاسعا: وفردية التناظر هي في الحقيقة القضية التي توجد في عمق الإشكالية الدلالية للمِحد المطروح للتحليل، ومعناها عدم اللبس والتجانس والاشتراك فهي التسمية الوحيدة بدون ترادف ولا تعدد المعنى أو الشكل. ومن اللسانيين من اقترح قرن فردية التناظر بدقة المِحد أي ما يسمى بالإنكليزية «ديفينيتنس = وبالألمانية بيلستيمتهايت (Bestimmtheit و definiteness) ويضيف بعضهم ظاهرة التميُّزيّة التي توجد في أساس كل نظيمية.

ودور المصطلحي لا يقتصر على نقط ما سبق، ففي الحقيقة يجب أن يستعمل في مقالاته أو كتبه أو منتجاته المختلفة مصطلحات متسقة، ولا يخفى أن أحسن وأجود عمل مصطلحي هو الذي تقوم به جماعة من المصطلحيين بعد اتفاقهم على منهجية واحدة مضبوطة لا تترك مجالا للاختلاف أو التضارب والتنازع. وهذا ما حققناه في شعبة المصلطحيات بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب التي تلبي حاجات مختلف الجهات الوطنية في إنتاج المعاجم المختصة.

والمشكلة العامة التي يطرحها التنميط المصطلحي تثير مناقشات عديدة وعنيفة إذ يختلط فيها الحماس بالتشاؤم ويتواجه فيها جانب التوحيد والاقتصاد والفرض والإجبار والنظيمة والنظام بجانب مبدأ الاختلاف والثروة والتسامح والابتكار والحرية، كل هذا بغض النظر عن العاطفة والغيرة والحسد بين أهل اللغة الواحدة.

اختلاف وجهات النظر:

مما يدعو إلى التناقض والاختلاف واتخاذ المواقف السلبية بل العدائية أحيانا إزاء اللغة التقنية والعلمية التعارض بين الثقافتين يعني المواقف المعروفة

بين رجال العلم، (المتخصصين في الميادين التقنيعلمية) ورجال الأدب بالمعنى الواسع. ونتيجة هذا التعارض يؤدي أحيانا إلى وصم اللغة التقنية والعلمية ورميها بعيوب السّقط والركاكة عوضا من اعتبارها لغة وظيفية مختصة تختلف عن اللغة الجمالية الاعتيادية. وبالإضافة إلى هذا هناك أفكار قديمة شائعة حتى بين الفريقين بخصوص جمالية وطاقة وثروة اللغة العربية التي تعتبر أجمل وأوسع وأكمل وأغنى لغات العالم وأنها وسعت كل شيء بحيث أنها لا تحتاج إلى أي شيء إلا جرة قلم لفرضها وإحيائها وجعلها تساير جميع متطلبات العصر. وهذه الأفكار مع الأسف الشديد هي أفكار شائعة في أذهان الأدبيين لأن التكوين العلمي ولو البسيط ينقصهم، ولكن كذلك نلاحظ وجودها حتى عند رجال العلم والمهندسين بسبب الخوف من تصنيفهم في صفوف أعداء العربية إلى حد أنك تراهم يقولون ما لا يعتقدون. وأحسن وسيلة إلى تنوير أذهان هؤلاء المعتزين بلغة القديم وبكيفية عمياء أن يطلعوا على تاريخ اللغات الأوروبية التي سبقتنا إلى الارتقاء إلى مستويات العلوم والتقنيات المختلفة، ونسرد على سبيل المثال في التعاليق المرفقة مراجع لتاريخ اللغة الفرنسية في العلوم.[107]

فإنهم يطلعون في هذه المراجع على نفس الأفكار والاتجاهات التي ميّزت تاريخ اللغة العربية مع الفارق أن اللغة الفرنسية في ارتقائها إلى مستوى العلوم والتقنيات سبقتنا بطبيعة الحال بقرون.

وأتذكر أن فقهاءنا اللغويين كانوا يمنعون قبل عقود ابتكار أي لفظة عربية جديدة وألا نستعمل إلا اللغة التي تكلم بها العرب القدامى. ونفس القول نجده عند الفرنسي «ما ليرب» المتوفى (1628) إذ كان يقول «لا يُرَخَّص ابتكار كلمات جديدة لأي أحد ولو كان هو الملك».[108]

الترجمة التلقائية

مرت الترجمة التلقائية على ثلاث مراحل في تاريخها. الأولى (من أواخر الأربعينيات إلى سنة 1965 وهو تاريخ تقرير آلپاك[109] تميزت بالتتالي بحماس في أوائلها ثم بخيبة أمل، أما الثانية (من 1965 إلى 1975) فإنها كانت فترة ركود نسبي بسبب تأثير تقرير «آلپاك». أما الثالثة (من 1975 إلى يومنا هذا)

فإنها تشهد نشاطا جديدا لاسيما في ميادين البحث فيها. ولا نتطرق للمرحلة الثالثة لأن المرحلتين الأوليين أصبحتا لا فائدة فيهما إلا من الناحية التاريخية.

منذ سنة 1975 شاهد العالم نشاطا جديدا استأنف الاهتمام بالترجمة التلقائية لما بدا من طلبات متكاثرة من طرف المقاولات الاستخصاصية[110] والعمومية في ميدان الترجمة ومن تقدم وتطور متزايد في الأدوات المعلومياتية التقنية منها (طاقة الحواسيب وسرعتها) والنظرية (تطوير ألسان البرمجة وتكييفها) ونمذجات عالية الدقة.

ونظائم الترجمة التلقائية الجديدة المعَدّة في هذه المرحلة تتجسم في نظائم من الجيل الثاني أكثر إتقانا من سابقاتها وبالخصوص بعضها مثل «آريان» التي لها قدرة على المراقبة الذاتية: أي بفضل ألسان معلومياتية متطورة تُمكّن من الاسترجاع التكراري والمراقب لأنحاء (جمع نحو أي قواعد لغوية) فرعية واكتشاف سير خاطئ، والرجوع إلى الوراء والشروع في سير آخر إلخ...

ومن هذه النظائم نذكر «آريان» (جيْتا، كرونوبل: الروسية - الفرنسية، الإنكليزية - الماليزية - الفرنسية - الألمانية إلخ...) «ميتال» (سيمنس: ألمانية - انكليزية - ألمانية - إسبانية)، «تيتوس» (معهد الأنسجة بفرنسا: جميع المزدوجات اللغوية بين الفرنسية والانكليزية والإسبانية).

ومنذ عشر سنين تضاعف الاهتمام بالترجمة التلقائية، فظهرت نظائم ومشاريع وطنية ودُوَلية في أوروبا مثلاً في فرنسا المشروع الوطني للترجمة المساعدة بالحاسوب «پيْ إيْن - تيْ آ آوْ 1983 ⟵ (PN - TAO = 1987 تحت رعاية الوكالة للمعلوميات، وفي العشيرة الأوروبية مشروع «اوْروْترا» (ظهر في سنة 1982 ويشمل جميع لغات «السيْ، اوْ، اوْ»: (العشيرة الاقتصادية الأوروبية)، وفي كانادا البرنامج الوطني (ظهر في سنة 1985) للترجمة المساعدة بالحاسوب، وفي اليابان تحت رعاية الوكالة من أجل العلم والتكنولوجيا المشروع العظيم للترجمة والتأويل (الترجمة التلقائية، نظائم الترئية المتعددة اللغات، بنوك المعطيات المصطلحية، توليف حلقي والتعرف على

الكلام من أجل إعداد «هواتف مترجِمة») المنسّق في أول انطلاقه من طرف جامعة «كيوطو»، وبه بدأ ظهور الجيل الثالث والرابع لنظائم الترجمة والذين سيدخلان في حواسيب الجيل الخامس.

الترجمة التلقائية والذكاء الاصطناعي:

إن تعبير «الترجمة التلقائية» الذي كان يستعمل من قبل كان يقصد التوصل إلى ترجمة آلية بكامل المعنى أي عملية ترجمة لا يتدخل فيها الإنسان وذلك في مقابل تعبير «الترجمة المساعَدة بالحاسوب» المعروفة حرفلياً ب «تيٍ آ او» (ترادوكسيونٌ آسيستيٍ پار اوردينانوٌر) وبالعربية ت، م، ح (تاء ميم حاء).

وفي الحقيقة هناك نوعان من الترجمة المساعدة يطلق عليهما المِحدّ «ت.م.ح» النوع الأول هو: الترجمة الميكانيكية المساعَدة بالإنسان حيث يقوم الحاسوب بعمليتها ويساعده الإنسان فيها. النوع الثاني هو الترجمة الإنسانية المساعَدة بالحاسوب والتي تسمى «مركز عمل المترجم». فالذي يترجم هو الإنسان ويستعمل الحاسوب ليساعده على (الاتصال بقاعدات معطيات مصطلحية والبحث عن المحادد في القواميس وللاطلاع على مدونات مزدوجة اللغة إلخ...) وهذا ما حققناه في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بمساعدة فريق الترجمة التلقائية لجامعة «گرونوبل» فأنشأنا «مركز عمل المترجم» في ميادين التجارة والمحاسبة والإدارة في حاسوب دِقّي يوجد بالمعهد.

النظائم الترجمية المتَّجرة (لمحة خاطفة عنها)

نمر مرور الكرام على المترجِمات اللالكترونية الجيبية التي لا تترجم إلا بعض عشرات آلاف من الكلمات والعبارات الخاصة بلغة ما والجمل النامونجية للحياة اليومية وكلها تكون مسجلة مسبقا بعدة لغات. فهذه المُوَيْكِنَات الحِيلِيّة ترأب المسافر وتبهر الحَداثِيِّين (لاسيما عندما تكون جملة الخروج صائتة) ولكن فائدتها اللغوية ضعيفة جدا إذ كلها ألفاظ وجمل مصنوعة مسبقا ولا تخضع لأية معالجة.

أما النظائم التي تقوم بعمل ترجمي حقيقي فيمكن تصنيفها إلى ثلاثة

أنواع أساسية: النوع الأول يتكون من النظائم المقصورة والنوع الثاني يتكون من النظائم الخفيفة أما النوع الثالث فيتكون من النظائم الثقيلة.

فالنظائم المقصورة متينة بسيطة ذات جدوى (ترجمتها لا تحتاج إلى مراجعة) إلا أن نصوصها يجب أن تخضع لنحو صارم سابق التحديد، وميادينها يجب أن تكون محدودة ونماذجها المثالية هي النظيم الكانادي «توم – ميثيؤو» الخاص بالأرصاد الجوية والنظيم الفرنسي «تيتوس» الخاص بالمقالات التقنية في موضوع الأنسجة. والجدير بالذكر أن لغاتها يجب أن تكون مبسطة إلى حد كبير ومحاددها يجب أن تكون متقابلة موحدة بكيفية صارمة.

أما النظائم الخفيفة (مثل نظيم ڤايد نيْر = Weidner) فهي نظائم مبسطة مغترَسة في حواسيب دقية وموضوعة تحت مراقبة المستعمل الذي له تحكم كامل في القواميس إذ النظيم لا يحتوي في بداية الأمر إلا على نواة صغيرة من القاموس والمستعمِل هو الذي ينميها بنفسه حسب حاجاته وميدان تطبيقاته ويتمتع بمياسرة برانيم معالجة النصوص. وعيب هذه النظائم هو عدم جودة الترجمة ومرارا ما تحتوي نصوص الخروج على خلافات في المعاني وحتى بالنسبة إلى اللغات المتشابهة البنيات (ومعناه أنها لا تصلح للغات متباينة الأصل).

أما النظائم الثقيلة فإنها تشتغل على تجهيزات معلوماتية قوية وأشهرها هو نظيم «سيستران». ومثل هذه النظائم لا تفرض المعيارية المسبقة لنص الدخول وهي التي تصلح لترجمة مختلف النصوص التقنية وسرعتها عشر صفحات (10) تقريبا في الساعة الواحدة. لكن الذي يرهق الآلات هو أن هذه النظائم تتطلب الاحتواء على قواميس عديدة وضخمة إذ لتلبية حاجات الجمهور ينبغي أن يكون عدد الدخلات فيها يتراوح بين عدة مئات الآلاف وعدة الملايين، وزيادة على ذلك فإنها تقتضي وجود فريق دائم لصيانتها أي صيانة البرانيم اللسانية التي تهم النحو والمعجم في آن واحد.

وفيما يخص اللغة العربية فإن التحريات التي قمنا بها في هذا الموضوع بيّنت أن الهيأة الوحيدة التي توصلت إلى نتيجة (ولا تشفي الغليل) هي هيأة

«كاشو» بنظيم «سيستران» الذي كان مهندسه في هذا المجال العربي، هو الطرابلسي. وبعد اتصالات بيننا وبينه ساعدناه على إجراء تظاهرة في موضوع الترجمة التلقائية في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب تعثرت كثيرا في اشتغالها فلم توف بالغرض. وبعد محاولات للحصول على معجمنا الموحد الذي يشكل الوسيلة الأساسية للتوصل إلى نتيجة مرضية في الترجمة التلقائية أحلنا على التقاعد ولا نعلم إلى أين وصل السيد «كاشو» بنظيمه «سيستران» إلى يومنا هذا. أما ما يجري في الوطن العربي في هذا الموضوع فليس لنا عنه أي خبر.

القراءة المبصارية[111] والترجمة التلقائية

ترجع فكرة القراءة التلقائية من طرف الآلة إلى الستينات، ولكنها لم تنجح في ذلك الوقت النجاح الذي تشهده اليوم لأن الوسائل التي كانت مسخَّرة لها آنذاك كانت غير متطورة التطور الكافي لتجعل مَسْك النصوص بها أجدى من المسك اليدوي. ومع ذلك لم يفقد الباحثون الأمل فتابعوا بحوثهم إلى أن ضبطوا تكنولوجية اللازير ضبطا أدى إلى صناعة نوافض[112] رخيصة الثمن ومتماثلة الوجيهات مع النظائم المعلومياتية الرائجة في السوق الدولية، فبدأت القراءة المبصارية تطبق بادئ ذي بدء في الشؤون الإدارية بِحَوْسبة أعمالها المكتبية ثم اتسع نطاقها إلى المسك الآلي للوثائق الضخمة وإلى إنشاء بنوك عظيمة للمعطيات وإلى تحليلات مهمة للنصوص في اللسانيات وإلى الطبع بمساعدة الحاسوب كما أصبحت تهم عمليات الفرز في البريد وإرشاد العُمي ومساعتهم إلخ...

والقراءة المبصارية تتم بواسطة ثلاثة أجهزة (النَّافوض والحاسوب الدِّقِّي وَبَرْنام المسْك) وحسب التسلسل الآتي 1- عرض النص 2- التقاط الصورة الخام 3- معالجتها وتحويلها إلى صُوَرٍ قَنِّيَّة[113] 4- تشديفها إلى عَيِّنات 5- التعرف على المحارف 6- تحليلها البعدي وإخراجها في صورة النص. وبما أن شرح كل حلقة من الحلقات الست للتسلسل المذكور يتطلب عددا كبيرا من الصفحات وحتى بالنسبة إلى المتخصصين في المعلوميات فإننا هنا لا نركز إلا

على ما يجب على المثقف العربي أن يعرفه في موضوع إشكالية الحرف العربي. لذلك نشير إلى أن جهاز الالتقاط (الذي رقمناه برقم 2 في عمليات التسلسل أعلاه) هو الذي ينتج المعلومات التي يعالجها الحاسوب وأن الصورة الخام تحول إلى لوحة مركبة من نقط تُسمَّى فَوارِد صفحية تقدر بكثافتها ودرجات لونها (لون الحبر الذي طبعت به) وأكبر مشكلة للتعرف على المحارف هي الاضطرابات التي تتسم بها الفوارد الصفحية للمحْرَف بسبب تغير أشكال الحروف بالإضافة إلى الاضطرابات الناتجة عن الدرجات المختلفة لجودة الآلة.

والاضطرابات نوعان: النوع الأول ويطلق عليه لفظ الضجيج يأتي إما من لطيخات دقيقة أو من عُنْصُوات[114] منفردة توجد في الورقة أو ناتجة عن تحبير سيء أو عن قلة التباين بين لون الورقة ولون المحرف؛ أما النوع الثاني ويقال له التلوي فهو تشوه قليل السعة يأتي من تفاوت درجات مطاطية الورق أو من عدم ضبط الالتقاط. والسبب الرئيسي في التلوي هو فعل المراقمة[115] الذي يحدث عند تحويل الصور إلى أرقام، إذ يحصل تشوه بين الصورة الأصلية للمحرف وبين الصورة النسخية له.

وكل هذه الخاصيات وضع لها المبرْنِمُون بَرَانِيمَ مبرمجة بخوارزميات خاصة بكل قلم من الأقلام الخطاطية[116] وبكل أسلوب من أساليب القلم وبكل نسقة[117] من النسقات المرقونة أو المطبوعة، وبما أن المحارف اللاتينية وكذا الأوروبية الأخرى مضبوطة العدد والرسم والأقياس والأجسام وتطبع منعزلة بتفريج[118] مفرد أو متناسب فإن الشعاع الإلكتروني - وكأنه يجول حول كل محرف ويدور به متسربا في البياض المحيط به - يعزل كل محرف عن غيره من المحارف - يتعرف على كتلته الجامعة له - ثم يبعث بصورته إلى الجهاز المراقم (الذي يضعها في شكل أرقام) ثم تحدث مقارنة الصورة المراقَمة بالصورة المسجلة لكل محرف في الحاسوب وأخيرا يقول بلغته «هذا محرف كذا» أي يتعرف عليه ويقرؤه، وكثيرا ما كان يخطئ في قراءة المحارف المتشابهة (مثل O وC) والضيِّقة المقربات[119] (مثل d وCl) أو المبتدئة بأشكال واحدة (مثل n وm) إلخ... إلا أن وَثاقية[120] القراءة المبصارية صارت جيدة إلى حد أن مثل هذه الأخطاء لا تتعدى العشرة في المئة وما زالت الأبحاث جارية للتقليل منها.

أما طباعتنا الحالية وهي متعددة النسقات وأنواع المحارف وتطبع موصولة الكتابة مختلفة الأقلام متباينة الأقياس متغيرة الأشكال مُنَمَّقة إلى حد الزخرفة فلا يستطيع المبصار قراءتها. وقد حاولَت بعض الجهات التقنية تطبيق نظيم القراءة المبصارية على الطباعة العربية الحالية ولكن تعقد البرانيم بالنسبة إلى تعقد طباعتنا جعل الصانعين يرتاعون من الوقت والنفقات وقلة المردودية في هذا الميدان.

إلا أنه لما اتصلنا بهم وبسطنا لهم نماذج من الطريقة المعيارية قالوا لنا بالحرف: «نَعَمْ، الطريقة المعيارية هي الحل إلا أننا لا نقبل إرصاد أي فِلْس في هذا المشروع لأن تجربتنا أخبرتنا أن العالم العربي لم ينضج فكريا بعد لقبول إصلاح طباعته».

ومن التطبيقات الأساسية للقراءة المبصارية الترجمة التلقائية أو المساعدة بالحاسوب لأنها تشكل المرحلة الأولى للترجمة الحاسوبية بمعنى أننا نُدخل في النافوض نصّاً مّا من النصوص المرقونة أو المطبوعة فيُمسك آليا ويُترجَم آليا ويصحِّح آليا فيخْرُج مطبوعا ومترجما إلى اللغة المرادة. وهذا لا يتم طبعا إلا بالاعتماد على حَوْسَبَة معجم مضبوط المصطلحات موحَّدها.

إشكالية الأرقام والرموز العلمية

كتابة الأرقام والصيغ العلمية:

لقد فات لنا أن طرحنا قضية توحيد أشكال محارف الأرقام على الصعيد القومي العربي أثناء المؤتمر الأول للتعريب بالرباط سنة 1961، ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم نتوصل إلى أي اتفاق عليها، وذلك لأن القضية طرحت هي الأخرى من باب الإبقاء على التراث وعدم تجديده لا من باب طرح إشكالية التراث وإيجاد الحلول للإبقاء عليه. فقال بعضهم إن الأرقام المتداولة عند الأوروبيين عربية يجب تبنيها بينما أنكر ذلك البعض الآخر فقال إن الأرقام العربية هي المتداولة في العالم العربي جاهلا أن الأرقام المتداولة في المغرب ليست هي الأرقام المستعملة في المشرق العربي. وفي نظرنا إن الفريقين

مصيبان ومخطئان في آن واحد، وذلك لأن النوعين من الأرقام عربيان بقوة الجنسية كما هو الشأن في اللغة بالنسبة إلى الكلمات المعربة.

فالنوعان في حقيقة التاريخ أصلهما هندي وفارسي لا عربي ولكن ما فائدة ذلك بالنسبة إلى الغاية التي نسعى إليها والتي يجب أن تكون نصب أعيننا لا خلفها أي ضبط أدوات ثقافتنا وتوحيدها قصد الإقلاع من التخلف والانطلاق في طريق التقدم، ألا ترى أن هذه الأرقام نوع منها منتشر في الوطن العربي كله يقرؤه الجميع في مختلف المطبوعات العربية والأجنبية ويراه في أرقام المباني وأرقام السيارات وبه يتكون علميا وتكنولوجيا في عقر دياره وخارجها، بالإضافة إلى أنه صار دُوَليا تبنته جميع شعوب العالم، ونوع غير منتشر في الوطن العربي لا يقرؤه الجميع وليس معروفا في الخارج ولا تتقدم به العلوم والتقنيات.

هذه هي الإشكالية الحقيقية وحلها يقتضي أن نتبنى جماعيا النوع الأول في كل ما يخص وسائل التقدم وأن نُبقي على النوع الثاني كتراث يجب المحافظة عليه محافظة نافعة وهي استعماله بإزاء النوع الأول بمثابة الترقيم اللاتيني (V, IV, III, II, I إلخ...) فنكون حللنا مشكلة في إطار التوحيد كما حللنا مشكلة الكتابة الطباعية بتبني المغرب العربي الخط النسخي عوضا من الخط المغربي، كما ينبغي بهذا الصدد أن نتفق على استعمال الخط الرقعي بمثابة المحارف المائلة (الإيطالية) واستعمال الخط الكوفي بمثابة المحارف الكبيرة (الروائس) لما لها من مدلولات خاصة في العلوم والتقنيات.

إن التوحيد الحقيقي يتناقض مع عاطفة التعصب والنزعات الإقليمية ولا يمكن أن يكون هناك توحيد بدون الاقتناع بخدمة الصالح العام، والصالح العام أساسه التآخي والتضامن للدفاع عن الشخصية العربية الإسلامية.

وقضية اتجاه كتابة الأرقام في الرياضيات والصيغ العلمية ينبغي هي الأخرى أن نتفق عليها جماعيا وأن نطبق اتجاه كتابتها من اليسار إلى اليمين كما تفعل كل أمم العالم وشعوبه مثلما هي الحال في اليابانية والصينية والروسية وحتى بالعربية في بعض البلدان التي كانت من قبل تكتب الرياضيات والصيغ العلمية في نفس اتجاه الكتابة العربية.

وبقيت قضية كتابة الرموز العلمية لأنها تقتضي الاختيار بين الحرف اللاتيني والحرف العربي ولكن وبما أن كتابة الرموز العلمية ينبغي أن تكتب بالحروف اللاتينية والحروف اليونانية فإن ضبط محارف عربية متقابلة مع المحارف اللاتينية واليونانية ممكن عندنا ودرسناه ولكن لتحقيقه لابُدَّ من تطبيق الطريقة المعيارية لأنها الطريقة الوحيدة التي تمكِّن من إرقاء الحرف العربي إلى مصاف الحروف العلمية الدولية على أساس التنميط والتوحيد، فإذا ثبت العزم على تنميط محارفنا وتوحيدها فلابد من وضع سَتْرَجة[121] (استراتيجية) وضبط مَدَيِاتها[122] (لوجيسْتيك) وتصميم زمنيتها بكيفية محكمة. وهذا مانحن مستعدون للمساهمة فيه متى سمحت الفرصة وتهيأت الظروف.

المعجمان الموحدان بالحاسوب بنسبة مئة بالمئة 100٪

وقضية توحيد المصطلحات العلمية والتقنية راودتنا فكرتها منذ حصولنا على الاستقلال لأننا كنا نمارس الترجمة من قبل تعليماً وعملاً ولمسنا مشكلتها على صعيد الوطن العربي فحذا بنا ذلك إلى عقد المؤتمر الأول للتعريب سنة 1961 وإنشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب بتعليمات المغفور له محمد الخامس لنقوم جماعيا بنهضتنا اللغوية بكيفية منسقة موحدة وصممنا منهجية لحل مشاكل اللغة العربية ابتداء من إصلاح الكتابة الطباعية لأن هذه التقنية تشكل الوسيلة الأولى لجعل أي لغة مهما كان نوعها لغة علمية وتقنية في متناول الجميع. ثم تأتي قضية توحيد اللغة في حالتها الراهنة بما في ذلك المصطلحات الموضوعة منذ اصطدامنا بالحضارة الغربية المعاصرة، فصممنا كذلك منهجية للتوحيد ركزناها على توحيد ما يوجد متداولا في المعاجم المزدوجة اللغة لأن المترجمين هم الذين يصنعون اللغة المعاصرة، وأداتهم الأساسية هي المعاجم المزدوجة اللغة، لذلك قررنا أن نوحد بوسائل المعلوميات منتجاتنا المعجمية على الصعيد الوطني العربي بإدخال اللغة العربية في الحاسوب وتوحيد الأقنان المعلومياتية. وذاك ما فعلناه بمساعدة المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس «أسمو» وكذا على الصعيد الدولي بمساعدة «الايزو» المنظمة الدولية للتنميط، وكل هذا حدث بفضل تعاون الهيآت العربية المختصة وتطلب منا ذلك خمس

عشرة سنة ولقاءات ومناقشات لا تعد إلا أنه في آخر المطاف نجحنا والحمد لله. ولكن مع الأسف الشديد تقلصت مهمة «الآسمو» في الوقت الذي كنا توصلنا إلى تحضير الأدوات التي من شأنها أن تجعلنا نشرع في توحيد المصطلحات على أساس التنميط.

ويتعلق الأمر كما قلنا بتحضير المعجم الموحَّد في مرحلة أولى ثم تجريد المركبات اللاتينية واليونانية للمصطلحات العلمية والتقنية وضبط منهجية محكمة لتعريبها جماعيا كذلك، فتابعنا بحوثنا رغم ذلك وها نحن نقدم نتائجها فيما يلي:

فيما يخص المعجم الموحد فإننا جردنا معظم المعاجم المهمة الموجودة في العالم العربي وعددها مئة وخمسة وعشرون مرجعا (معاجم، قواميس، موسوعات قائمات مصطلحية، أعمال المجامع إلخ...) ومتعددة اللغات: عربية، فرنسية، انكليزية، لاتينية (في علم النبات والحيوان) وفي جميع الميادين من بينها ثلاثة وسبعون (73) مرجعا من الميادين العلمية والتقنية. فاعتقدنا أنه آن الأوان للشروع في استغلال هذه القاعدة المعجمية عن طريق «ترجمة» معطياتها بواسطة الحاسوب المركزي القوي الذي تفضل صاحب الجلالة الحسن الثاني بتزويدنا به للقيام بهذا العمل الفريد من نوعه، فأخرجنا هذه القاعدة المعجمية الضخمة في شكل معجمين أساسيين الأول في العلوم والتقنيات ويحتوي على 102.700 دخلة والثاني في اللغة العامة ويحتوي على 70.900 دخلة وجمعناهما في معجم واحد أسميناه «الشامل» أخرجناه بضعة أيام قبل مغادرتنا المعهد وخروجنا إلى التقاعد. على أي، قد بدأنا بإخراج المعجم الأول في الميادين العلمية والتقنية اعتبارا للدور الأساسي الذي تقوم به المصطلحات في عملية اكتساب العلوم والتقنيات، ووضعنا برنامجا خاصا لإخراج المعاجم المتخصصة الأخرى بنفس النسبة (أي مئة بالمئة) حتى نسد حاجات المتخصصين في عمليات التعريب الموحد والمتين.

وهذا المعجم العلمي والتقني بالخصوص نتيجة معالجة معلومياتية أنجزت على 355000 مُعْطاة (ثلاثمئة وخمس وخمسين) مستخرجة كما ذكرنا من 73 مرجعا، وهذه المراجع تنتمي بدرجات مختلفة إلى ميادين متخصصة ولا تخضع لأية موازنة لا من ناحية اللغة ولا من ناحية المادة.

والغاية من برنامج حساب الترددات بنسبة مئة في المئة بواسطة الحاسوب هي استخراج جميع المصطلحات الفرنسية (البسيطة أو المركبة من عنصرين أو ثلاثة) والتي لها نفس المقابل العربي في المراجع الثلاثة والسبعين العلمية والتقنية.

ويتكون بَرْنامُ (برامجية) حساب الترددات بنسبة 100% من جزأين رئيسيين هما: استخراج العبارات وحساب الترددات، ويعمل بصفة عامة حسب المرشام[44] التالي:

مُدَوّنة الدخلة - استخراج العبارات - العبارات المتكونة من واحد (1) إلى ثلاثة (3) ألفاظ - حساب الترددات - العبارات الموحدة بنسبة 100%. ونشير إلى أن تركيبة حساب الترددات ينتج عند الخرجة قائمات مرتبة ترتيبا ألفبائيا على أساس الفرنسية والعربية للعبارات الموحدة بنسبة 100% أي العبارات المترجمة إلى العربية بنفس الكيفية في جميع المصادر التي ترد فيها. ومن المعلوم أن العبارات الواحدة لا ترد بالضرورة في جميع المصادر بيد أنه يحتفظ بها إذا كانت لها نفس الترجمة في المصادر التي أوردتها.

وتعتبر العبارة التي لا تَرِدُ إلا في مصدر واحد موحدة مالم يكن لها توارد آخر. وكذلك الشأن بالنسبة إلى العبارات التي لاترد إلا في بعض المصادر دون ما أي توارد في المصادر الأخرى.

ومن السهل إدراك كوننا لم نتمكن من تقديم المعجم في صيغتيه الفرنسية - العربية والعربية - الفرنسية في مجلد واحد وذلك نظرا لضخامة عدد المعطيات المدرجة فيهما. كما أننا نعتذر على كوننا نقدم المعجم مطبوعا بمحارف حاسوبية لا طباعية أي بحروف أول سلسلة طابعة حسب الطريقة المعيارية المشكولة بالشكل التام.

ولا يخفى على أحد أن هذين المعجمين بفضل التقابل الصارم بين دخلاتهما الفرنسية والعربية يشكلان الأداة الأولى للشروع في الترجمة التلقائية وتوحيد المصطلحات الموجودة بعد.

ضبط المقابلات العربية لمركبات المصطلحات العلمية:

يشكل تعريب العناصر اللاتينية واليونانية المركبة للمصطلحات العلمية والتقنية أعظم مشكلة بالنسبة إلى الترجمة التقنيعلمية وذلك لأسباب عديدة منها أساسا أن هذه المركبات يصعب فهمها بكيفية مضبوطة كما يصعب العثور عليها وعلى شروحها بسبب عدم وجودها بكيفية مستوعبة لأنها لم تحصر في مؤلف واحد.

وسعيا منا لحل هذا المشكل فقد شرعنا منذ سنين في تجريد المؤلفات التقنيعلمية للمركبات اللاتينييونانية فتوفر لدينا مايزيد على سبعة عشر ألف 17000 مركب لاتيني ويوناني وغيرهما، بما في ذلك المرادفات لها للإحاطة بالمفهوم بكيفية تمنع كل لبس، ونقدم هنا نسخة مصورة لصفحة حرف (cal) من كتابنا في هذا الموضوع (الصفحة 42). ترون فيها في العمود الأول على اليسار الدخلة (entrée) للمركّب اللاتيني أو اليوناني كما يبدو في المصطلحات وفي العمود الثاني أثبتنا الأصل (origine) وفي العمود الثالث أثبتنا ميدان الاستعمال (D.E) (علم النبات أو الكيمياء أو التقنيات أو الطب إلخ...) وفي العمود الرابع سجّلنا المعنى الدلالي (valeur sémantique) وفي العمود الخامس ضبطنا المترادفات للمركّبات (rapprochements)، وأخيرا وضعنا في العمود السادس الأمثلة التي وردت فيها المركبات (exemples).

Entrées	Origines	D.E.	Valeurs sémantiques	Rapprochements	Exemples
CALCEI-	lat: calceus (n.m) "chassure"	bot	chaussure	Cf: CALCEOLI-, CREPIDO-PEDILO-	calcéiforme
CALCEOLI-	lat: calceolus (n.m) "petite chaussure"	bot	petite chaussure	Cf: CALCEI-, CRE-PIDO- PEDILO	calcéoliforme
CALCITO-	fr: calcite (n.f)	zool	calcite	Cf: CALCO-, CAL-CARI-	calcitostracum
CALCO- CALCIO- CALCI- CALC- -CALCIE -CAL	lat: calx, calcis (n.f) "chaux"	méd min	a) chaux b) calcaire	b) S: CALCARI- Cf: CALCITO- a) S: CHALICO-	a) calcithérapie b) calcifuge, calcs-chiste, pédocal
	fr: calcium (n.m)	min méd	calcium		calco-uranite, cal-ciocélestine, cal-cirachie, calcistie, dyscalcie.
CALCULO- CALCULI- -CALCULIE	lat: calculus (n.m) "caillou"	gén	caillou	S: CHALICO-	calculiforme
	fr: calcul (n.m)	méd	calcul, lithiase	S: LITHO- Cf: NEPHROLITHO-	calculographie, calculifrage
	fr: calcul (n.m)	math	faculté de calculer	Cf: ARITHMETO-, ARITHMO-	acalculie
CALICI-	lat: calix, icis (n.m)	méd	coupe	S: CUPULO-, CYA-THO-, ACET-ABULO-, PHIALO-, POCILLO-, POCU-LI-, SCYPHO-, CO-TYLO-, PATELLO.	caliciforme
	fr: calice (n.m)	bot	calice	S: CALYCO-	caliciflore
CALLO- CALLI- CALO- -CALLE -CALLIS	gr: kallos (n.m) "beauté" gr: kalos (adj) "beau"	bot zool	beau	Cf: COMPSO-	callorhynque, cal-lichrome, cal-ophylle, hé-mérocalle, hymënocallis
CALLOSO-	lat: callosus (adj) "calleux"	méd	corps calleux	Cf: TYLO-, CE-RATO-, PORO-	calloso-marginal
CALO-				Voir: CALLO-	
CALOMNIO	fr: calomnie (n.f)	soc	calomnies		calomnigraphe
CALORI- CALORICO- CALO- CAL-	lat: calor, oris (n.m) "chaleur"	phys tech	chaleur	S: THERMO-, PYRO- Cf: FUSIO-, IGNI- A: FRIGORI-, CONGELI-, GELI-, CRYO-, CRYMO-, PSYCHRO-	calorifuge, cal-oduc, calextracteur
	fr: calorique (adj)	biol	calories, calorique		calorico-azoté

ونحن الآن في بحوثنا مكِبون على جمع المقابلات العربية لهذه المركبات وسنحاول القيام بدراسة خاصة تجعلنا بإذن الله نتوصل إلى ضبط مقابل واحد لكل مركّب منها إذ لا يخفى على أحد من جهة أخرى أن كل مركّب له عدة ترجمات مختلفة بالعربية مثلا «اَ = a» الصادرة الدالة على عدم وجود أو نقصان، لها (واحصيناها) ما يربو على عشرين مقابلا بالعربية.

الخلاصة

كل هذه المشاكل السابقة الذكر تعوق بل تمنع القيام بالترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية ونظن أننا في هذه الدراسة قد قدمنا لها بعض الحلول نأمل أن تطبق وتنشر، والكمال لله.

المناقلة الصوتية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية

a	آ
b	ب
c= s devant e et i	س = أمام (وْ) و(ي)
k devant o et u	ك = أمام (ۏ) و (ۊ)
d= mince devant a, e, i et u	د رقيقة أمام (آ) و(وْ) و(ي) و(ۊ)
emphatique devant o	د مفخمة أمام (ۏ)
e, eu	اوْ (في أول الكلام) و(وْ) في وسطه وآخره. عبرنا عنها واقفة لأنها ضمة مفتوحة
f	ف
g= j devant o et i	ج = أمام (وْ) و(ي)
gu devant o et u	گ = أمام (ۏ) و(ۊ)
h =	هـ
i	ايـ (في أول الكلام) و(ي) في وسطه وآخره.
j	ج
k	ك
l	ل
m	م
n	ن
o	اۏ (في أول الكلام) و(ۏ) في وسطه وآخره، عبرنا عنها بواو فوقها نقطة الدالة على التفخيم في المناقلة الدولية
p	پ
q	ك
r	ر
s	س = في أول الكلام ووسطه (أمام حرف صامت) وفي آخره = ز (بين حرفين صائتين)
t= mince devant e, i, et u	ت = أمام (وْ) و(ي) و(ۊ)
emphatique devant â et o	= مفخمة أمام (ا) و(ۏ)
u	اۊ (في أول الكلام) و(ۊ) في وسطه وآخره، عربنا عنها بعلامة «الأوملاوت» الألمانية على الواو.

ڤ	v
ڤ و (و)	w
كس	x
ي	y
ز	z
انّ	an
اوْنّ	en, em
اينّ عبرنا عن الغُنة المناقلة الدولية التي هي المدة فوضعناها على النون.	in, ain, etc
اوْنّ	un
ايْ (في أول الكلام) و(ـيْـ) في وسطه و(يْ) في آخره	é, è, ê, ai, ez, et

التعاليق

1- الباسيك انكليس: ظاهر العبارة معناه الإنكليزية الأساسية بينما يقال إن حقيقة أمرها تركيب من الحروف الآتية: «باء» إشارة إلى الحرف الأول من الكلمة «بريطانيا» و«ا» إشارة إلى الحرف الأول من الكلمة «أمريكا» و«سين» إشارة إلى كلمة «سيرقس» أي خدمة و«اي» إشارة إلى كلمة «انترناشنال»: و«سي» إشارة كلمة «كوميرس» أي تجارة، ومعنى الكل اللغة البريطانية الأمريكية لخدمة التجارة الدُّولية والله أعلم!

2- دانييل كونفلان، لغة التبليغ العلمي، ص 91.

Daniel Confland, les langues de la communication scientifique, p. 91.

3- مجلة الحياة واللغة، العدد 75، ص 50.

Revue vie et langage, n 75, p. 50.

4- المجلس الدُّولي للغة الفرنسية، بنك الكلمات.

Conseil international de la langue française, la banque des mots, N° 1.

5- لوُ ضوكو ما نْتاليست، المجلد 17، العدد 4-5 يوليوز - أكتوبر 1980، وأونيپس - سي إين إير إيس.

Le documentaliste, vol 17, n 4-5 Juillet - Octobre 1980 et UNIPS - C.N.R.S

6- ناشنال لا يبراري أوف مِديسين (إين إيل إيم) ميدلاين، هي القاعدة الأحيائية الطبية الأكثر استعمالا في العالم تحتوي على 5 ملايين مرجع ناتج عن 3400 دورية دولية.

National Library of Medecine (NLM), Medline est la base biomédicale la plus utilisée dans le monde. Elle contient 5 millions de références issues de 3400 périodiques internationaux

7- كيْميكال آبستراكت، هي القاعدة المرجعية في الكيمياء، تحتوي على أكثر من 8 ملايين مرجع مستخلصة من 1200 دورية.

Chemical Abstract est la base de référence en chimie. Elle contient plus de 8 millions de références extraites de 1200 périodiques.

8- اينيست - سي إين إير إيس INIST - CNRS.

9- جاك رُوفيِي، مسؤولية العِلْميين، ص 218.

Jacques Rufié, la responsabilité des scientifiques,p. 218.

10- الندوة الساحية Forum

11- آلِيَن ديكُو، في سبيل تعددية اللغات العلمية والتقنية، ص 17.

Alain Décaux, pour le plurilinguisme scientifique et technique p. 17.

12- إبراد Messagerie

13- فيليب لازار، رواد الصحة Philippe Lazare, les explorateurs de la santé

14- المعلوميات، على غرار الطبيعيات والرياضيات واللسانيات إلخ... Informatique لا المعلوماتية التي لا تبرير لها.

15- الاتصالات المعلومياتية التي يمكن أن تُنحَت في صيغة Télématique الاتصاليّات.

16- هوبير كورين، التوافق والتنوع، ص 23.

Hubert Curien, l'harmonisation et la diversité p. 23.

17- جانْ ماري لين، واجب التبليغ Jean marie Lehn, le devoir de communiquer

18- أوريا (اويورة) Urée

19- مَلفظة (على غرار مكتبة) في مقابل Vocabulaire.

20- عشيرة (عوض مجموعة لأن المجموعات كثيرة) Communauté

21- برنامج لينگوا Programme Lingua.

22- العقد الفريد l'Acte unique

23- إنيا سيو راموني، اللغات وامتلاك المعرفة وأنشطة الإنتاج، ص 177.

Ignacio Ramonet, langue, appropriation des savoirs et activités de production p. 177.

24- مثله Idem

25- العلم والحياة Science et vie.

26- العلم والمستقبل Science et avenir.

27- في سبيل العلم Pour la science.

28- هذا يهمني ça m'interesse.

29- البحث La recherche.

30- الفارد (انظر الحلول التقنية لمشاكل الكتابة العربية، أحمد الأخضر غزال ص 23 نشرات الباب) =

Bit (F) byt (E)

31- إصاتية (عوض صوتية الدالة على كل صوت) Phonétique.

32- بيرنار كاسين: فلنسهر على إبقاء لغاتنا في أوضاع جيدة.

Bernard Cassen, maintenir nos langues en bon état de marche.

33- عن آلِكسانْدر مانويلا، «القاموس الفرنسي للطب وعلم الأحياء»، 4 أجزاء.

Alexandre Manuila. Dictionnaire français de médecine et de biologie 4 vol.

34- ريشار إيرنست، قاموس التقنية الصناعية (1979)

Richard Ernest, Dictionnaire de la technique industrielle.

35- صَنَافة (بمعنى ما صُنِّف كالقوارة بمعنى ماقُوِّر) Nomenclature

36- انظر روستيسلاف كوكوريك، لغة التقنية والعلم الفرنسية، الوثائق الفرنسية، باريس

Rostislav Kocourek, la langue française de la technique et de la science, la documentation française, Paris.

37- الاستسماء (وضعناها على صيغة استفعل بمعنى طلب الإسم) Nominalisation.

38- حرفلة (نحت من حرف واول، على غرار بسملة وحوقلة إلخ...) Siglaison.

39- نظيم (ة) ج: نظائم Système.

40- دالّ Signifiant (المدلول = signifié)

41- سيميات (على غرار لسانيات = sémiotique)

42- أقياس جمع قاس عوض بُعد (زيادة في ضبط المصطلحات) Dimension

43- سوية Planaire

44- رَشْم أو مرشام Schéma.

45- مبيان Diagramme.

46- أخطوط Graphe.

47- استشجر (على غرار استأسد) Arborescent

48- ألسان جمع لِسْن وهو اللسان واللغة والكلام (زيادة في ضبط المصطلحات) Langage

49- ضاكوني، ألواح الكمياء وألسانها Dagognet, Tableaux et langages de la chimie

50- كيي Quillet.

51- تَصوارية Iconique.

52- أشاكيل، جمع أشكول Figures.

53- مخطاط Graphique.

54- فكوك Démontable.

55- نمطية Norme

56- أنظر النمطية رقم إين إيف أو 04-501 (لشهر سبتمبر 1978) NF 04-501

57- هوريكي، المظهر اللساني للألواح (التقنية).

Horecky, De l'aspect linguistique des tableaux vol 5: 321-328.

58- فيردينانْ برونو، تاريخ اللغة الفرنسية من نشأتها إلى يومنا هذا.

Ferdinand Brunot, histoire de la langue française des origines à nos jours 22 vol.

59- غوصية Argotique

60- گرانْ لا روس انْسيكلوپيديك Grand Larousse encyclopédique.

61- مُحتذى Discipline (matière)

62- كوكوريك، ص 27 Kocourek p. 27/ 27

63- ميْادر Manuel

64- إنشاء توسعي Dissertation

65- عرض بيان Compte renudu

66- لحية Prospectus

67- العلميتقنية، في مقابل (تيكنوسيانْتيفيك) هي صيغة في التركيب كثيرا ما يستعملها إسماعيل مظهر في معجمه «قاموس النهضة» نحبذها، Technoscientifique

68- انظر ملحق الاتساق بأدوات الربط ومحاولة ضبط دلالاتها.

69- انظر كوكوريك 40-07.

70- مُقْصَرات كتابية Brachygraphique.

71- الكتابة الرمزية Idéographique.

72- إمازية Diacritique.

73- عُقدة Ligature.

74- فاصلة الحذف Apostrophe.

75- إنْصادي Pertinent

76- أكبر من (على أساس أن العمليات الرياضية تكتب من اليسار إلى اليمين) Plus grand que

77- مِحرف = الحرف الطباعي Caractère

78- إنضاء Spatialisation

79- مرقونة أي المطبوعة بالمرقنة (عوض المضروبة على الآلة الكاتبة) Dactylographié

80- أجمولة (ما تجمل بها الجملة) Proposition

81- الزاويتان Guillemets

82- الزاربة L'oblique

83- دخرجة (من دخل وخرج) Entrée - sortie

84- المعقوفة Crochet

85- اللامّة Accolade

86- مِحدّ جمعه مَحادِد (هو اللفظ الاصطلاحي الذي يحدد المعنى، وهو غير المصطلح) Terme

87- عِدّي... Poly

88- عَلَنْد كاناذا Elan du Canada

89- فردية التقابل Biunivocité

90- تعجُم Lexicalisation

91- علمية كذا (في مقابل = لوجي =) علمية التربة Pédologie انظر دليل المصطلحي المنتظر.

92- تلاصق المركبات Confixation

93- برنام (بحذف جيم برنامج عوض بَرمجة نقول بَرْنمة) Logiciel.

94- من بين الدراسات والمراجع التي عالجت موضوع الترجمة التقنيعلمية، نذكر مايو وويلس ويومبيلت وفلوك وباكراك وكوفين وداربيلني إلخ.

(Maillot, Wilss, Jumpelt, Fluck, Bachrach, Goffin Darbelnet etc...

- كوكريك، لغة التقنية والعلم الفرنسية، ص 180 وتالياتها.

La langue française de la technique et de la science p. 180 et suivantes

- جاكوبسون، إيسي دولاّينكوِنستيك جينيرال، ص 63.

Jakobson essai de linguistique générale p. 63 et 59.

- ظ نيكول بيلاّنجي، لادوكوماّنتاسيون. La documentation, vol 25, n 1. ميتا، الجزء 25 رقم 1.

ودوليل وآلبير، الدليل البيبليوغرافي للمترجم والمحرر والمصطلحي أوتاوا.

Delisle et Albert guide bibliographique du traducteur, rédacteur et terminologue, Ottawa

لوائن، جمع لوين Nuances

ظ كواديك، پارامِيتر دو ليڤالوّاسيون دي ترادوكسيون Gouadec Paramètres de l'évaluation des

100- Conseil international de la langue française, eurodicautom (dictionnaire automatique de la commission des communautés européennes), BTC (banque de terminologie du gouvernement canadien) BTQ (Banque de terminologie du Québec), Normaterm (normalisation, automatisation de la terminologie) TEAM (terminologie - Erfassung - und Auswertungs met hode, siemens), Termdoc (Suède), LEXIS (Lexicographical information system, RFA)

101- ظ مونين، لي پرۏبليم دۏ لاترادۏكسيۏنّ Mounin, les problèmes théoriques de la taduction

102- ظ أنّدري فال، ڤۏكابۏلير جينيرال دۏرياتاسيۏنّ سيانّتيفيك André Phal, vocabulaire général d'orientation scientifique (اللفظة العامة للتوجيه العلمي) وهوفمان، الذي حصر قائمات ترددية بين الفرنسية والإنكليزية والروسية في ميادين الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات والبناء والإنتاج الحيواني والبيطرة، Hoffman L. 73 in Kocourek

103- إصاتية، بمعنى علم الأصوات اللغوية، لأن صات وأصات بمعنى واحد فنضع الإصاتة مصطلحا خاصا بالفۏنيتيك Phonétique أما الصَّوَاتة فهي على غير قياس.

104- المحادد التركيبية التعبيرية Termes syntagmes

105- ظ مازۏر وتيجنور وجۏسيۏ وفۏكس Mazur, tejnor, jussieu, Fuchs

106- يرجوعية (ظاهرة الرجوع) Recurrence

107- برۏنو، إستوار دۏلا لأنگ فرانّسيز Brunot, "histoire de la langue française" ڤارتبو، ايڤۏلۏسيۏنّ إي ستـرۏكتـۏر دولا لانك فـرانسـيـز Wartburg, évolution et structure de la langue française ماتوري، إستۏاردي ديكسيۏنيز فرانّسي Matoré, histoire des dictionnaires Français.

108- ظ ڤۏجۏلاس، رۏمارك سۏر لا لأنّك فرانسيز Vaugelas, remarques sur la langue française

109- حرفلة Alpac = Automatic Language Processing Advisory Committee بمعنى اللجنة المديرية لمعالجة اللغة تلقائيا

110- استخصاصية privées

111- المبصارية لا البصرية لأنها قراءة تتم بأدوات لا بعيون الإنسان.

112- «توسكان» بالإنكليزية معناها «أجَالَ بَصَرَهُ في مكانٍ مَا لِيَرَى مَا فيه» وهذا هو تعريف نَفْضَ المكان بالعربية.

113- قَنَّيَّة codées

114- عُنصوة pixel

115- مراقمة digitalisation

116- خِطاطية graphique

117- نسقة police de caractères

118- تفريج espacement

119- مقربة approche

120- وثاقية fiabilité

121- ستْرَجة (على غرار ترجمة) stratégie

122- مدديات logistique

بيداغوجية الترجمة العلمية

أحمد جوهري

1- التنظير والبداغوجية وفعل الترجمة:

- *سؤال التنظير*: إذا كان هناك إجماع منذ أرسطو إلى سارتر على استحالة عدم التنظير وعلى أن عدم لجوئنا إلى التنظير ماهو إلا ممارسة لتنظير رديء، فإن التنظير حول الترجمة لا يمكن إلا أن يكون رديفاً للممارسة العملية لفعل الترجمة، يتشرب رحيقها الحي ويواكب نبضها وحركتها الفعلية، فيقف على تردد حركة المترجم بين اختياراته وعلى طبيعة الحلول التي يتوصل إليها والمعطيات المعرفية والثقافية والذهنية التي تحكم سيرورة نشاطه المنتقل بين اللغات. إن التنظير للترجمة لا يمكن أن يكون ذا طابع تجريدي متعال عن الاشتغال اليومي لنشاط الترجمة لذلك كان ميشونيك يلح دائما في سياق تأسيسه لشعرية الترجمة على أن النظرية لا تعني سوى النشاط النظري المتجسد في البحث عن الاستراتيجيات والرهانات والمفاهيم الضمنية حول اللغة التي تخفيها الممارسات وتظهرها في الوقت نفسه، ومن ثم فإن كل نظرية للترجمة ليست إلا شعرية نظرية تجريبية، وما يهم شعرية الترجمة هو تاريخية فعل الترجمة والترجمات والعلاقات بين النصوص.[1]

ومن نفس الموقع يلخص لادميرال مجهودات اشتغاله على ترجمة النصوص الفلسفية الألمانية قائلا: «تستدعي الترجمة عملية فعلية تضع توقعات

التفكير النظري فورا من منظور اشتغالاتها في ممارسة الترجمة».[2] ولعل هذا الوعي بالأهمية النفعية لنظرية الترجمة والصلة الوثيقة بينها وبين فعل الترجمة هو ما جعل لادميرال يحدد مزايا علم الترجمة الراهن في قدرته على إيجاد مجموعة من المفاهيم لتسهيل ممارسة نشاط الترجمة وفي دوره العلاجي والإنتاجي، سواء من حيث قدرته على توسيم مشاكل الترجمة والبحث عن حلول لها أو من حيث تمكينه المترجم من معرفة ذاته وهفواته، وبعبارة موجزة فإن وظيفة نظرية الترجمة الراهنة تنحصر في كونها، علبة أدوات في خدمة المترجم، وهي بذلك تتجاوز الطابع المعياري للتنظير التقليدي للترجمة الذي كان يستلهم الفلسفة والأدب (مع بنجمان) والطابع اللساني الوصفي الذي يشتغل على الترجمة كمنتوج وليس كإنتاج حي (فيناي وداربلني).

- *سؤال البداغوجية:* وإذا ثبتت أهمية الميسم الإجرائي للاشتغال النظري في مجال الترجمة تبين الموقع الرئيس الذي تحتله العملية البداغوجية فيه، إذ إن أي بداغوجية للترجمة هي في نهاية الأمر مجموعة من الخطوات المنهجية والإجراءات العملية لتنظيم تحصيل نشاط الترجمة وضبط أولياته ومكوناته وتقويمه. ومن ثم كان من واجب كل تفكير نظري تجريبي حول نشاط الترجمة إن لا يلغي المساحة البداغوجية لهذا النشاط، وحتى يكون استثماره لهذه المساحة مفيدا وجب التنبيه على مفهومين رئيسين يحددان طبيعة الممارسة البداغوجية في حقل تعليم الترجمة، وهما «الترجمة البداغوجية» و«بداغوجية الترجمة».

تطلق الترجمة البداغوجية على نوع من الممارسة الديداكتية تكون الترجمة فيها أداة لمراقبة تعلم اللغات الأجنبية، وتكون وظيفتها لسانية موجهة لإبراز مدى فهم التلاميذ للدلالات والبنى المدروسة.[3] وهكذا يصبح تعلم ترجمة من هذا المنطلق وسيلة لغوية ونشاطا ديداكتيا له عدة مجالات تطبيقية نجملها في:

- تعلم البنى المعجمية والنحوية حيث تستعمل الترجمة كطريقة للاكتساب اللغوي فتجعل التلميذ يكتشف اواليات إنتاج الجمل الصحيحة، أو كرائز للكفاءة فتكون وسيلة لتقويم طريقة مراقبة التلميذ للغة الثانية التي يترجم بها.

- القيام بالبحث المقارن الذي يساعد على تحديد التعبير الخاص بلغة ما ويهدف إلى استخراج خصائص الاختلاف والتشابه بين اللغات.[4]

لكن على الرغم من إيجابيات الترجمة البداغوجية فإن ضعفها يتجلى في حصرها لنشاط الترجمة في عمليات لغوية مقارنة وفي تكريسها لردود أفعال حرفية لدى متعلم الترجمة، وهي بذلك تشكل عائقا أمام هذا الأخير لاكتشاف السمك الدلالي لدوالّ اللغة ولإحساسه بعبقرية كل لغة على حدة، كما تشجعه على اعتبار اللغة ركاما من المفردات يمكن استعماله بسهولة باحترام بعض قواعد التركيب، وتعلمه نقل الملفوظات بعد قلبها إلى معادلاتها عوض أن تدربه على إبلاغ محتويات معرفية بطريقة اللغة الهدف، ولعل هذا ما دفع الزابيث لافولت إلى القول: «إن الترجمة البداغوجية إرث لتعليم اللغات الميتة، فهي لا تؤدي إلى اثار المترجمين المحترفين ولا المترجمين الشفهيين، وهي ليست غاية بل وسيلة مستعملة في إطار ديداكتيك اللغات، وما يهمها ليس المعنى بل فعل الترجمة والوظائف التي يؤديها كاكتساب اللغة والمقارنة والمراقبة».[5]

وهكذا تعالت الأصوات التي تنادي بتجاوز فشل الترجمة البداغوجية لتعويضها ببداغوجية الترجمة أي ذلك النشاط الديداكتي الذي يسعى إلى تنمية قدرتي الفهم وإعادة التعبير لدى متعلم الترجمة، ويركز على البحث الوثائقي معطيا الامتياز لتلقائية المتعلم ولقدرته الابتكارية، فيدربه على أن الترجمة الجيدة غير أمينة للكلمات وأنها عملية دينامية تستثمر إجراءات تحليلية للخطاب الأصلي ومخزونا معرفيا وإبداعيا للمترجم، وتدمج إلى جانب الكشف النسقي للنصوص البعد التداولي أي وضعية هذه النصوص، مما يؤكد أن بداغوجية الترجمة لا تقتضي معارف لغوية فحسب بل معارف خارج - لغوية حسب نوعية الخطابات المراد ترجمتها.

الآن وقد حصل تبيان سمات الاختلاف بين الترجمة البداغوجية وبداغوجية الترجمة، وتم التلميح إلى تميز هذه الأخيرة في مجال تعليم الترجمة وتعلمها تبقى ضرورة توضيح مفهوم الترجمة العلمية وبعض القضايا المرتبطة به.

-*سؤال الترجمة العلمية*: أهم ما يثير الانتباه في تعريف مفهوم الترجمة

في القواميس اللغوية الأجنبية هو الطابع العام والمجرد لتحديدها حيث يعرفها القاموس الموسوعي «لاروسْ» بفعل النقل إلى لغة ثانية. ويحددها قاموس «روبير» بالفعل الذي ينتج فيّ لغة ثانية معادلا للنص الأصلي على مستوى الدلالة والتعبير، وقريبا من هذا التعريف يذهب غالسون إلى أن الترجمة تأويل لعلامات لغة ما بواسطة علامات لغة أخرى.

تقف إذن هذه التعاريف عند حد مجرد لا يشير إلى طريقة النقل ولا إلى خصائص التأويل الذي يقوم به فعل الترجمة، مما دفع بعض الباحثين إلى توسيع هذه التعاريف القاموسية بتجاوز حصر مفهوم الترجمة في قناة المرور بين اللغتين إلى مجال الابتكار والإبداع. تقول كرستين دوريو في هذا الصدد: «ليست الترجمة فعلا موجها داخل انتقال إجباري بين لغتين، بل هي ابتكار دائم... فالترجمة هي معالجة المعلومات التي تتضمن سلسلة متوالية من القرارات»[6]. يطرح هذا التعريف مشكلا عميقا يكاد يكون تقليديا، هو مشكل النزاع بين الترجمة العرفية والترجمة الإبداعية وما أثير حوله من نقاش حاد ومفاهيم متعددة كمفهومي الأمانة والاستحالة في الترجمة - منذ معالجة الفقهاء[7] المسلمين لمسألة ترجمة القرآن الكريم إلى آراء اللسانيات الوصفية مرورا بأفكار مارتان لوثر حول ترجمة التوراة - ولسنا نريد الخوض في هذا النقاش النظري الشائك ولكننا نشير فقط إلى أن صعوبة إيجاد التعريف الدقيق والموحد لفعل الترجمة هي التي كانت وراء تشعب الآراء النظرية حول إشكالات الترجمة ووراء اختلاف الترجمات المنجزة. لكن ماذا عن مفهوم الترجمة العلمية؟

إذا كان المفهوم الموصوف أوضح من المفهوم غير الموصوف في عرف المناطقة والمصطلحيين فإن الأمر مختلف بالنسبة لمفهوم الترجمة العلمية، إذ تثير صفة «علمي» بعض الالتباس، فيبدو ظاهريا أنها تخص طبيعة الترجمة وماهيتها بينما تتعلق ضمنيا بموضوع اشتغال الترجمة. فإذا عرفنا أن هذه الصفة تطلق على كل ما يلائم متطلبات العلوم من حيث دقتها وموضوعيتها ومنهجيتها تبيَّن لنا أن صفة «العلمية» في الترجمة لا تحيل إلى طبيعة الترجمة

كطريقة انتقال بين لغتين أو كابتكار وإبداع للغة ثانية انطلاقا من لغة أولى، بل تتعلق بموضوع اشتغالها أي بالخطاب. إذ يصعب نعت عملية المرور من لغة إلى أخرى بأنها علمية كما يعسر تحديد معايير علمية دقيقة وموضوعية لهذا المرور ولو كان حرفيا بله أن يكون مرورا مبدعا ومبتكرا. من هنا يبدو أن مفهوم الترجمة العلمية يدل - في مجال التداول التربوي على الأقل - على ترجمة الخطاب العلمي أي تلك الترجمة التي يشتغل موضوعها على خطابات تنتمي إلى مجالات العلوم ويتميز موضوعها بالطابع الكوني غير الخاص بجماعة لغوية معينة (عكس الخطابات الأدبية) وتستجيب لشروط الدقة والموضوعية والمنهجية العلمية. وهكذا يبدو المفهوم بسيطا ويتم تداول مصطلح الترجمة العلمية في الوسط التعليمي بهذا المعنى بشكل عادي وواضح. وليس الأمر بهذه السهولة، فالمشكل أكثر تعقيدا ويتصل بنمذجة الخطابات اللغوية عامة والخطاب العلمي خاصة، فكيف ذلك؟

تبدأ المشكلة من غياب تعريف دقيق وشامل للخطاب العلمي، فمعظم التعاريف ترى أنه يتميز عن الخطاب غير العلمي بطابعه الكوني والموضوعي والمنهجي وبعدم خضوعه لتأثير المحيط اللغوي الذي ينشأ فيه، وهذا قول لا يخلو من ضعف إذ أن الخطاب العلمي لبعض الشعوب فقير بالمقارنة مع الشعوب المتقدمة، وكمية المصطلحات ونوعيتها تختلفان عن كليهما، وهذا دليل على تأثر الخطاب العلمي بالمحيط الاجتماعي والحضاري الذي يولد فيه، ثم إن المصطلحات العلمية بالرغم من موضوعيتها فهي تنخرط في نسق تركيبي خاص بلغة معينة ومشروط بطريقة تقطيعها للواقع، ومن ثم فإن الخطاب العلمي يشترك مع بعض الخطابات غير العلمية (الأدبية) في بعض السمات، فهل ستخضع إجراءات ترجمته لنفس إجراءات ترجمتها؟

لتجاوز هذا الغموض حاول بعض الدارسين وضع حدود فاصلة بين الخطابات بالاستناد إلى الوظيفة اللغوية. وهكذا قدمت كتارينا رايس اعتمادا على أعمال بهلر تصنيفا ثلاثيا يتمثل في:

- الخطابات الإخبارية التي وظيفتها تمثيل محتوى ما، وتتمحور حول الموضوع.

– الخطابات التعبيرية التي تكمن وظيفتها المهيمنة في شكلها وتتمحور حول المرسل.

– الخطابات الإجرائية التي وظيفتها طلبية وتتمحور حول المتلقي كالخطاب الإشهاري والسياسي والديني.

ويبدو واضحا أن الخطاب العلمي يندرج ضمن هذه النمذجة، في قسم الخطاب الإخباري المتمحور حول الموضوع، لكن هذا التصنيف لا يحل مشكلة الخطاب الابستمولوجي والخطاب الفلسفي عامة حيث يتميز هذا الأخير مثلا بكونه إخباريا يتمركز حول الموضوع والمرسل في الوقت نفسه. فالنص الفلسفي استراتيجية تواصلية إجمالية يشغل في نفس العقد اللغوي شخصية المرسل المفرد والكونية العقلانية لمتلقيه. وما يؤسس هذه الازدواجية فيه هما الطابعان الفردي والكوني للعقل.[8] من هنا يصعب إدماج هذا النوع من الخطاب في نمذجة كتارينا رايس وحتى في تلك النمذجات الثنائية التي تقسم الخطابات بحسب وظيفتين: وظيفة البينية حيث تتدخل اللغة بين الذات اللغوية والعالم خارج – اللغوي فلا تهتم بنسخ العالم بل بإعطائه صورة إنسانية. ووظيفة التمثيل حيث تلعب اللغة دورا إخباريا يعيد إنتاج عالم الأشياء بالكلمات.

ولعل صعوبة إيجاد الموقع الملائم للخطاب الفلسفي ضمن هذه النمذجات هو ما جعل المترجمين الأدبيين يتخلون عن النصوص الفلسفية بحجة أن لغتها تقنية كما دفع المترجمين التقنيين إلى طرحها بذريعة تعدد المفاهيم الخاصة بكل فيلسوف علاوة على غموضها وعدم دقتها. مما يؤكد أن الترجمة الفلسفية ذاتية في تكوينها وموضوعية في غايتها.

وما من شك في أن إقامة نمذجة دقيقة لأنواع الخطاب العلمي وتمييزها عن باقي الخطابات اللغوية الأخرى تستوجب وضع تعريف شامل لهذا الأخير لا يقتصر فقط على خصائص مضمونة وموضوعة بل يمس إطاره السميائي المعقد الذي تحدده خمسة مستويات:[9] ثلاثة منها تخص فعله التواصلي وهي:

أ- مستوى التلفيظ: وفيه يجب تحديد قانون متلفظ الخطاب العلمي وما يميزه عن متلفظ الخطاب غير العلمي من حيث تحققه الواقعي والتخييلي، وكذلك قانون الفعل التلفيظي من حيث خصوصيته الشفهية والكتابية، وصيغ التلفظ أي استخدام الخطاب العلمي لصيغتي السرد أو التمثيل.

ب- مستوى التلقي: وفيه ينبغي تحديد طبيعة متلقي الخطاب العلمي، هل هو واقعي دائما أم متخيل؟

ج- مستوى الوظيفة: وفيه يجب إبراز الوضعيات الخطابية للفعل الكلامي للخطاب العلمي، هل هي طلبية؟ أو إخبارية؟ أو وصفية؟

أما المستويان الرابع والخامس فيخصان نص الخطاب العلمي وتحققه اللفظي، وهما:

د- المستوى الدلالي: وفيه يجب ضبط خصائص موضوع الخطاب العلمي والقانوني الحرفي والمجازي لبنيته الدلالية.

هـ- المستوى التركيبي: وفيه ينبغي دراسة العوامل النحوية والسمات الأسلوبية والعناصر المنظمة لبنية الخطاب العلمي.

ومجمل القول إن مسألة نمذجة الخطابات اللغوية والخطاب العلمي خاصة من شأنه أن يساعد على تحديد مجال اشتغال المترجمين وعلى ضبط مقررات تكوينهم وتنظيمها وعلى انتقاء النصوص المراد ترجمتها بكل دقة والتفكير في منهجيات وطرائق ترجمة كل خطاب على حدة. إن تحديد موقع الخطاب العلمي داخل هذه النمذجة الخطابية اللغوية العامة سيقود بدون شك إلى إدراك علائقه بأنواع خطابية أخرى كالخطاب الفلسفي والخطاب الأدبي، ومن تم سيدفعنا إلى مراعاة إجراءات التأويل والفهم أثناء ترجمته على شاكلة ترجمة هذين الخطابين. كما سيُفضي بنا إلى الإيمان بضرورة أن يشمل تكوين المترجم العلمي والتقني معرفة عميقة بالأدوات اللغوية المستعملة من منظور حضاري وإنساني نظرا للعلاقة الوثيقة بين الفكر العلمي الكوني والتمظهر العبقري الخاص بشعب ما داخل اللغة العلمية، وأن لا يقتصر هذا التكوين على التفتح على مختلف العلوم وعلى ممارسة اللغات الخاصة والمصطلحية فقط.

وتجدر الإشارة إلى أنه في غياب هذه النمذجة الدقيقة للخطاب العلمي ولأصنافه المختلفة سنعمل على عرض اقتراحنا الخاص ببداغوجية الترجمة العلمية بموازاة مع التصور الشائع لمفهوم الترجمة العلمية في الوسط التعليمي بالمغرب. فما هي إذن الأسس النظرية والديداكتية لهذه البداغوجية؟ وماهي مكوناتها؟

2- أسس بداغوجية الترجمة العلمية:

أ- الأساس التأويلي: تأتي دعوتنا إلى ترجمة تاويلية بديلا عن الترجمة المعجمية التي تقتصر على عمليات لغوية ونحوية محدودة من شأنها أن تؤدي إلى نوع من الانتقال الحرفي بين اللغات وحثاً منا على ضرورة الرقي بدرس الترجمة العلمية ليصبح مجالا لتطوير الخطاب العلمي العربي وليس فقط درساً لاستيعاب الخطاب العلمي الأجنبي ومراقبة استعمال اللغة الأجنبية. وهكذا فإن المراهنة على إجراءات التأويل ووسائله في بداغوجية الترجمة العلمية هي أول خطوة لتجاوز سلبيات الترجمة البداغوجية وتأسيس بداغوجية الترجمة (انظر أعلاه).

إن الحديث عن التأويل في مجال تدريس الترجمة هو وليد الأهمية الخاصة التي يحتلها في نظرية المعرفة ونتيجة لتعالقه مع مقولات أخرى هي من صميم النشاط المترجم كالفهم والقراءة والسياق واللغة. لقد زادت أهمية التأويل منذ أن تغير تعريف هذه المقولات فاللغة لم تعد وعاءً يحتوي الفكر بل وسيطا حيا تتحقق فيه العلاقات بين الدوات ويحيل إلى الروابط بين الوعي والوجود، كما أن الدلالة لم تعد تكمن في الإشارة بل في العقل، وسيصبح السياق بدوره دعوة لبناء علاقة بين الذات واللغة وليس مجرد كلمات، وسيتجاوز الفهم وظيفته النفسية والمعرفية ليصبح أساس العلاقة بين الكائن والكينونة، كما ستتحول القراءة من البحث السلبي عن اليقين في النصوص إلى حوار يسائل هذه الأخيرة ويعيد بناءها، بعبارة أخرى ستصبح القراءة تاويلا، فكل تاويل إذن هو على حد قول «غدامير» محاولة لإعادة الحوار بين المؤول والنص أي أنه رقي نحو المثاقفة الجادة والمتفاعلة وتحرر للمؤول من حرفية النص.

لقد كان للمدرسة التأويلية (ريكور غدامير) الفضل في خلخلة مجموع هذه المفاهيم وفي إبراز الوظيفة المعرفية والوجودية للتأويل، وكان هدفها الرئيس هو الاتصال بتاريخية النصوص وتجريدها من هالتها المتعالية عن طريق تعريتها وكشف مكوناتها ثم إعادة بناء سلسلة معانيها. غير أنها كانت تعترف مع ذلك باستعصاء التأويل على الوصف الدقيق وبأن اللسانيات عاجزة عن صياغة منهجيات تاويلية (شليماخير)، لذلك قامت المدرسة الدلالية التاويلية مع «راستيي»[10] خاصة بمحاولة تخطي هذا العجز من خلال رصدها للكيفية التي تنتج بها استراتيجية ما نوعا محددا من التأويل ثم ببحثها عن العلاقات القائمة بين أنماط من الاستراتيجيات وأنواع من التأويلات. كما قسمت التأويل، باعتباره تعيينا منظما للمعنى، إلى تأويل كنهي يستخرج المعينيات "Sèmes" المحيّنة في النص، وتأويل غير كنهي يستخرج المعينيات غير المحينة فيه، حيث يقوم الأول بعمليات تخليل السميمات "Semèmes" مع المحافظة عليها أو تكثيفها باختزال مجموعة منها في سميم واحد، بينما يقوم الثاني بتحويل السميمات الأصلية أو استبدالها أو إدماجها. وهكذا حدد راستيي مجال اشتغال التأويل داخل نص ما في تعريف المورفيمات ثم تحديد أبعاد محتواها بالوقوف على المقتضيات الوجودية أي عناصر التلفظ والحمل، وعلى المعطيات المسكوت عنها والمعاني التحتية. ورأى أن إنجاز أي قراءة تأويلية يستلزم مجموعة من الشروط والوسائل أجملها في المعلومات الكنهية للنص والمعلومات غير الكنهية أي معايير الاتساق والانسجام ثم المجال الموسوعي والمحيط التداولي.

لقد كان لهذه التصورات إذن تأثير عميق في التفكير النظري والبداغوجي حول نشاط الترجمة، فظهرت معالمه واضحة في أراء «سلسكوفتش» و«ماريان لدري» حيث أكدت الأولى أن موضوع الترجمة ليس النسيج الذي يكون اللغة بل المعنى، وأن هذا الأخير لا يختزل في الدلالة اللغوية بل يتكون انطلاقا من السياق اللفظي والمعرفي وكل الوسائط الخارجة عن اللغة، بعبارة أخرى أن الترجمة تأويل يستثمر بالإضافة إلى العناصر الكنهية للنص معطيات أخرى

موسوعية وتداولية قصد تعرية معانيه ومساءلتها. وقد حاولت «لدري» من جهتها تعريف السيرورة التأويلية للترجمة بإدماج المترجم معرفته للواقع غير اللغوي الذي تحيل إليه المفاهيم في العلامات الخطية للغة وليس فقط معرفته للمفاهيم اللغوية. ويظهر منزعها التأويلي أكثر في قولها بأنه بالرغم من أن للمعنى طابعا فرديا فهو لا يلغي مساحة واسعة يقتسمها أطراف التواصل، وأن فهمه يتكون مما تقدمه اللغة التي يحينها النص ومما تقدمه أيضا المكملات المعرفية للمترجم. وبناءً على هذا التصور حددت «لدري» سيرورة الترجمة التأويلية في ثلاث مراحل: فهم المعنى ثم تعريته من ألفاظه الأصلية، ثم إعادة التعبير عنه في اللغة الثانية مع احترام استعمال هذه الأخيرة وعادتها الكلامية، وكل ذلك من خلال اللجوء إلى المحيط التداولي للنص والنشاط الموسوعي والمعرفي للمترجم.

وموضع العبرة مما تقدم أن الاستناد إلى هذه الأسس النظرية التأويلية سيغني لا محالة خطوات درس الترجمة العلمية ومنهجية تدريسها، ويمكن اختصار جوانب أهميتها في النقط الآتية:

أ- تأكيدها الحضور المركزي للمترجم ولنشاطه الذهني داخل عملية الترجمة، فالمترجم داخل النظرية التأويلية سيرورة نشيطة من العمليات الفكرية والنفسية وحركة دائبة ومتفاعلة مع اللغة الأجنبية وعاداتها اللسانية ومخزونها الثقافي وزخمها الحضاري، وهو ليس آلة لنقل مفردات هذه اللغة وتراكيبها فقط.

ب- إبرازها للدور الفعال لما يسمى بالمكملات المعرفية "Compléments cognitifs” والعالم الموسوعي للمترجم، بعبارة أخرى تركيزها على البحث الوثائقي وعمليات التحليل والتلخيص والتركيب واختزان المعلومات العلمية وغيرها قصد توظيفها أثناء الترجمة.

ج- دعوتها إلى ترجمة دينامية تتجاوز حدود النقل المعجمي والمقارنة النحوية وتسعى إلى خلق التعادلات بين عناصر المعنى من خلال تلفظ المترجم للمعنى الذي استفاده في اللغة الثانية، وهكذا تصبح الترجمة عبارة عن عمليات ذهنية تنجز أثناء فهم النص الأصلي وأثناء إعادة بنائه في اللغة الثانية.

د- انفتاحها على معطيات تواصلية وأبعاد تداولية من شأنها أن تعيد الاعتبار في الممارسة البداغوجية للترجمة العلمية للوضعية الخطابية للنصوص العلمية ولشروط إنتاجها وتلفظها وتلقيها وذلك باستثمارها خلال عمليتي البحث والتوثيق والتحليل النصي. إن الانفتاح على المعطى التواصلي يدفعنا إلى مراجعة غايات الترجمة وطبيعتها الحقيقية، فيجعل متعلم الترجمة يحس أنها نشاط طبيعي يمارس في الحياة اليومية من أجل التواصل وأنها لا تنحصر في الانتقال بين لغتين بل بين خطابات سميائية تختلف أنظمتها الدلائلية (صوتية، خطية، تصويرية) وحتى داخل اللغة الواحدة، كما يدفعنا هذا المنظور التواصلي إلى استغلال النشاط الشفهي والمجال السمعي البصري في تعليم الترجمة العلمية وتعلمها خاصة في عملية البحث والتوفيق وإنتاج النصوص وتركيبها. وكل هذا يساعد المتعلم على التحرر من النقل الحرفي والتعامل السلبي والأحادي مع النص العلمي المكتوب ويدربه على استغلال المعلومات وتاويلها.

ب- *الأساس الديداكتي:*

ب1- ديداكتيك الأهداف: لاشك أن تشغيل هذه الجوانب الهامة للنظرية التاويلية في تعليم الترجمة العلمية يحتاج إلى خطة ديداكتية منسجمة ودقيقة تضبط العملية التعليمية واواليتها التربوية التي تحركها. وعندما نقول خطة ديداكتية فإننا نقصد جميع العناصر المكونة لهذه العملية من أهداف وطرائق وأنشطة تعليمية وتعلمية وتقويم، وهكذا فإن نجاح ديداكتيك الترجمة العلمية التأويلية رهين بتبني بداغوجية الأهداف التعليمية التي ستمكن من نقل متعلم الترجمة من وضعية التعلم المترجل إلى وضعية منهجية ومنظمة خاضعة لتصور متماسك وواضح. كما ستساعد معدي البرامج والمقررات على إيجاد المادة والخبرات والأنشطة التعليمية التي سيوليها مدرس الترجمة اهتمامه أثناء تدريسه، وسترشده إلى تحديد مادته وتصميمها وإلى كيفية استغلال النصوص الموضوعة قصد الترجمة والوثائق المراد استغلالها وتركيبها، وإلى رسم الأنشطة التعليمية والتعلمية الملائمة لهذه النصوص والوثائق ولمستوى المتعلمين. وتزيد أهمية الأهداف التعليمية أكثر في كونها تمكن من اقتصاد الوقت والجهد

بالنسبة لطرفي العملية التعليمية وتسهل عملية التقويم إذ بدونها يصعب تقويم البرامج والمواد المقترحة ويتعذر تقويم نجاح أو فشل طرائق التدريس، ناهيك عن قدرات المتعلم ومهاراته. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يمكن استثمار بداغوجية الأهداف لصالح درس الترجمة العلمية التأويلية؟

يمكن التوظيف الجيد لهذه البداغوجية في هذه الخطوات: - وضوح الغايات والمرامي من تأسيس مادة الترجمة العلمية لدى كل أطراف العملية التعليمية علما بأن هذه الغايات يجب أن تستشرف خلق ترجمة علمية دينامية تستطيع القيام بدورها النهضوي لمواجهة تحديات حضارية وتكنولوجية هي المبتغى الذي ترومه فلسفة المجتمع المغربي والعربي عامة.

- تماسك هذه الغايات وتدرجها من الأهداف العامة المتعلقة بتصور المجتمع والأغراض الخاصة ببرامج التعليم البعيدة المدى إلى الأهداف الوسطى المرتبطة بالمراقي المعرفية والسلوكية للمتعلمين والأهداف الإجرائية التي تمارس داخل درس الترجمة العلمية. وهذا التسلسل هو الكفيل بضمان تطبيق التصور العام لتأسيس درس الترجمة العلمية.

- اعتناء مُدرّس الترجمة برسم الأهداف الإجرائية للدروس وذلك بجرده للأهداف العامة لتدريس الترجمة من خلال المذكرات الوزارية والكتب التربوية وكتب المقررات وقوائم الأهداف، ثم تصنيف هذه الأهداف وتوزيعها على مكونات درس الترجمة العلمية المتمثلة في البحث الوثائقي والتحليل النصي والترجمة، وبعد ذلك على كل درس على حدة مع الوعي بأن أهدافا معرفية قد تحقق في درس واحد كحفظ مصطلحات علمية ومرادفاتها في اللغة الأجنبية في حين تتطلب أهداف تطبيقية عدة دروس لتحقيقها كالتدرب على تقنية الحذف والزيادة أو التطويع والإبدال. كما ينبغي على المدرس أن يحترم شروط صياغة الأهداف الإجرائية ومستوى الفئة المتعلمة المستهدفة والوسائل التعليمية المتاحة.

- توجيه أهداف درس الترجمة العلمية نحو ممارسة ترجمة تأويلية لا تنحصر في البحث عن التناسب المعجمي والمصطلحي بل ترقى إلى تدريب

المتعلم على تأويل النصوص المسموعة والمرئية والاشتغال على الخطاب العلمي من حيث طبيعته ووظيفته واستثمار تقنيات الإعداد للترجمة من بحث وتحليل وتركيب وتلخيص وإنتاج لنصوص علمية في اللغتين.

انطلاقا من هذه التوجيهات إذن سيتوزع درس الترجمة العلمية التأويلية على ثلاثة مكونات: مكون عملية الترجمة والتأويل، ومكونان إعداديان لهذه العملية هما البحث الوثائقي والتحليل النصي.

ب2- مكونات درس الترجمة العلمية:[11]

ب2-1 البحث الوثائقي: يندرج هذا المكون في إطار التهييء المعرفي والموسوعي للمترجم قبل خوضه عملية الترجمة، حيث يقوم بالإطلاع الموسع على المعلومات الخارجية التي ترتبط بموضوع ترجمته سواء في الموسوعات العلمية والتقنية التي تزوده بمعلومات أساسية أو في المجلات العلمية والتقنية التي تمكنه من تنويع معارفه حول الموضوع الذي يبحث فيه أو في الكتاب المتخصص الذي يقدم له معرفة عميقة بموضوعه، والشيء نفسه بالنسبة لأهل الاختصاص الذين عليه أن يتعود على التحاور معهم والاتصال بهم لتجاوز بعض مشاكل المصطلح التقني المتخصص. ولا تخفى أهمية هذه العمليات المعرفية من حيث مساعدتها للمترجم على الفهم العميق لموضوع ترجمته ودفعه إلى التحرر من قيوده اللغوية وتركيبه الشكلي وإلى الاستيعاب الجيد لمعانيه التي سيؤولها في اللغة الثانية. من هنا تأتي ضرورة استثمار بداغوجية الترجمة العلمية لخطوات هذا المكون خلال مراحل التكوين المختلفة، وذلك بترسيخ بعض ثوابت البحث والتوثيق لدى المتعلمين من خلال التركيز على العمل الجماعي في إطار ورشات عمل متناسبة المستوى، واستغلال الوثائق السمعية البصرية انسجاما مع المنظور التواصلي والتأويلي، ويمكن إبراز بعض المهارات التي ينبغي تركيز التكوين عليها فيما يلي:

* الكشف الأولي لموضوع الترجمة وللمراجع والوثائق المتصلة به بالاعتماد على القواميس والمعاجم، ثم انتقاء الوثائق بالنظرة الأولية على المراجع أو بتصفح الفهارس وقراءة مقدمات الكتب.

* استغلال الوثائق بوضع جدادات منظمة خلال عملية الكشف عنها، ثم تسجيل المعطيات المتصلة بموضوع الترجمة بواسطة جدول للكلمات المفاتيح أو ملخص أو نقط محورية أو رسم بياني.

* وضع تصميم مؤقت يوضح معطيات القراءة الببليوغرافية وينسق عناصرها.

* الاتصال بأهل الاختصاص في المجالات العلمية والتقنية المختلفة حسب موضوع الترجمة قصد استجوابهم مباشرة أو باعتماد تقنية الاستبيان، وهو عبارة عن أسئلة مكتوبة ترسل إلى المختص بالإجابة عنها ويراعى فيها الوضوح والدقة والتدرج المعرفي وملاءمة الموضوع. ويجب أن تتوج هذه العمليات دائما بعروض كتابية وشفهية يقوم بتحريرها وتركيبها ومناقشتها المتعلمون حتى يتمكنوا من الامتلاك التعبيري لجوانب موضوعهم والتحكم في مغاليق مفاهيمه ومعانيه.

ب2-2- مكون التحليل النصي: يدعم هذا المكون عمليات البحث والتوفيق ويكملها، حيث يقوم المترجم خلاله بالاشتغال المباشر على المتن المراد ترجمته اعتمادا على مكملاته المعرفية ومعلوماته الموسوعية وعلى معالجة معاني المتن. إن ما يهم في هذا المكون هو الفهم الدقيق لمعاني المتن، والفهم لا يتكون من العناصر الكنهية والسمات المعنوية المحايثة للكلمات اللغوية فقط بل من استعمال المعارف القبلية واستحضار شروط مرجعية وسياقية، ومن ثم تكامل سيرورة الفهم والتحليل مع البحث الوثائقي. ويمكن إجمال العناصر التي يجب أن ينصب عليها فهم المترجم وتحليله في: منطق تمفصل المتن المراد ترجمته وبناؤه الاستدلالي والحجاجي، ثم الحقول الدلالية المستعملة فيه والخيط الموجه لمضمونه.

إن تركيز بداغوجية الترجمة العلمية على هذه المقومات التحليلية الأساسية من شأنه أن يدرب المترجم على تقنيات الاستيعاب الجيد للخطاب التي ستعصمه من الخطإ أثناء ترجمته وأن يقوده إلى التحرر من شكل الخطاب مع الحفاظ على مضمونه من خلال إعادة ترتيبه لمعانيه ولعلاقة دلالاته

وضبطه لديناميته. بيد أن هذا لن يكتمل إلا بتدربه على ما يسمّى بالتعبير الشارح Paraphrase الذي يتم فيه الانفصال عن الكلمات والارتباط بالمعنى الإجمالي للملفوظ وتمكن هذه التقنية البداغوجية من استخراج الخيط الموجه لمعنى الملفوظ ومن ابتعاد المترجم عن شكله دون تحريف محتواه. وبصفة عامة فإن أي نشاط كتابي أو شفهي يهدف إلى تنظيم نص ما أو شرحه أو تلخيصه أو تقديم تقرير عنه سيحث متعلم الترجمة على الانفصال عن شكله والبحث عن معناه وعلى إعادة إنتاج ما يريد النص قوله بدلا عن محاولة إعادة إنتاج الطريقة التي يقول بها النص.

ب2-3- مكون الترجمة: بناءً إذن على خطوات المكونين السابقين سيكون هدف التكوين داخل هذا المكون هو تعويد متعلم الترجمة على أن هذه الأخيرة تأويل واستيعاب ذكي للخطاب الآخر وليست تقيدا بمفرداته وعباراته، ومن ثم فإن أي خطة بداغوجية ينبغي أن ترقى داخل هذا الدرس بوعي المتعلمين بالطابع الكينوني والانطولوجي لعملية الترجمة التي يمارسها الكائن اللغوي في حياته اليومية سواء في اللغة الواحدة أو بين اللغات أو بين خطابات سيميائية مختلفة، وأن تحرص على تنمية إعادة التعبير عن النصوص الموضوعة للترجمة باحترام خصائص اللغة المنقول إليها وعاداتها الكلامية ومتلقيها. فإذا كان دور المترجم هو استنساخ الكاتب فإن هذا الاستنساخ مشروط أيضا بجعل الكاتب مقروءا بسهولة في اللغة الثانية أي أن مفهوم الأمانة في الترجمة لا يخص الكاتب والنص الأصليين فقط بل المتلقي أيضا. وهكذا فإن من خطوات هذا الدرس تدريب المتعلمين على تقنيات الترجمة غير المباشرة التي ستساعدهم على تأويل المتن المدروس مع احترام اللغة المنقول إليها كتقنية الإبدال "Transposition" التي يتم اللجوء فيها إلى تعويض أقسام الكلم في اللغة الأولى بأقسام أخرى مغايرة في اللغة الثانية كإبدال الفعل بالصفة أو بالإسم أو غيره، وتقنية التطويع "Modulation" التي نعتمد عليها في حال صعوبة إيجاد مرادف مناسب لما نريد ترجمته فنعوض بعبارة شارحة أو كلمة مختلفة تحترم ثقافة المتلقي، وتقنية التكافؤ "Equivalence" التي تتطلب معرفة

موسوعية عميقة وثقافة عالية فنبحث فيها عن وضعيات متكافئة في الثقافتين وليس عن مرادفات في اللغتين لتأويل المعنى وترجمته، وتقنية الزيادة "Addition" وهي انتقال المترجم من الضمني إلى الظاهر دون إضافة أي معلومة وإظهار ما تم السكوت عنه في النص الأصلي دون تشويه للمعنى، وتقنية الحذف "Soustraction" وهي عكس الزيادة انتقال من الظاهر إلى الضمني دون فقد أي معلومة حيث يتجاوز المترجم بعض العلامات الظاهرة لينقل الضمني دون أن يحرف المعنى، وتقنية التحويل التي تمس تغيير الجوانب النحوية والدلالية والصواتية في إطار احترام اللغة الثانية ومتلقيها.

* خاتمة وتركيب:

لاشك إذن أن الطموح إلى درس للترجمة يراعي خصوصيات هذه المكونات الديداكتية والأسس النظرية من شأنه أن يؤسس أرضا تعليمية صلبة هي القاعدة الرئيسية للانفتاح السليم على الخطاب العلمي الأجنبي والاستيعاب المثمر له من جهة ولتدعيم الخطاب العلمي العربي ودفعه إلى التفاعل مع الخطابات العلمية الأجنبية من جهة ثانية. إن أهمية بداغوجية الترجمة العلمية وتأثيرها لا يتوقفان عند حدود التكييف اللغوي وإيجاد الحلول للتماس الاصطلاحي بين الخطابات العلمية بل سيؤدي إلى تغيير مجموعة من المفاهيم والممارسات الراسخة في كينونة التعليم والثقافة المغربيين، فمفهوم الحقيقة التعليمية - التعلمية الذي يستند إلى نزعة «الهوية الأحادية» و«الطابع الفردي» للدرس التعليمي والتعلم، حيث يستقل كل درس داخل شرنقته ويغيب التنسيق بين مختلف الدروس، وخاصة درسي اللغات والعلوم، فينعكس هذا سلبا على تصور المدرس والمتعلم للمادة المعرفية المشتركة بينهما، ويؤدي إلى إنتاج وعي ثقافي منفصم يفصل اللغة عن المعرفة عامة، وعن المعرفة العلمية خاصة. وهكذا يبدو الموقع الحيوي لبداغوجية الترجمة العلمية التي ينبغي أن يكون من أولويات أهدافها تصحيح هذا الوعي وتوفيق درسي اللغة والعلوم، وتأمين تفاعلهما الدينامي، وتكسير المنزع الفردي للتعلم بتكريس العمل الجماعي المشترك من خلال مكون البحث الوثائقي. ولا يقتصر دورها على تلغيم مفهوم الحقيقة

التعليمية / التعلمية ومنزعيها الأحادي والفردي بل يتجاوزه إلى إعادة التفكير في أدواتها بغية تطوير حركة التعلم واكتساب المعارف وذلك بعدم الاقتصار على الكتابة والانفتاح على المجال السمعي البصري والثورة المعلومياتية وإعادة أخلاق المناظرة في التعلم والبحث العلميين.(12)

إن تصور بداغوجية للترجمة العلمية بهذه الخصائص الدينامية لن يدفعها إلى فحص بعض أوليات الدرس التعليمي فقط بل سيجعلنا نسائل مفهوما أوسع وأعمق هو مفهوم «الثقافة» إذ أن الفهم السائد له في الأوساط والمؤسسات الثقافية وفي الصحافة والإعلام يُغيِّب المعطى العلمي والتقني ويحصر الثقافي في الأشكال الأدبية والفنية. ويكفي رصد المعطيات التداولية التي تسمى ثقافية (من ملاحق ثقافية وبرامج إعلامية ومجلات ثقافية) للتأكد من أننا نفتقد لثقافة العلم والتقنية ونتقيد بثقافة التخييل الأدبي والمسرحي والسينمائي والتشكيلي وهذا المفهوم الناقص للثقافة يؤثر سلبا على عملية المثاقفة سواء مع الثقافة الأجنبية حين يحصرها في قناة التعامل مع الجوانب التخييلية لهذه الثقافة بدليل شيوع الترجمة الأدبية، أو مع التراث حيث لا يسير البحث في الموروث العلمي القديم ولو فيما يتعلق بالاصطلاح العلمي بنفس وثيرة البحث في مجالات تراثية تخييلية أخرى. من هنا تتبين الرسالة الجسيمة التي تحملها الترجمة العلمية في الظرف الراهن إذ عليها أن تكمل نقص مفهوم الثقافة السائد وتحقق توازنه الواقعي بجعله مواكبا للنقلة العلمية والتقنية التي يعيشها مجتمعنا على مستوى الاستهلاك الحسي فقط (الأجهزة الإلكترونية، المعلوميات، الصحون الهوائية) ولا يرقى للتفكير المعرفي في مظاهرها وخصائصها، ولا يحولها إلى جزء من نشاطه الثقافي. وحتى تستطيع الترجمة العلمية أن تضطلع بهذه المهمة السامية لابد من إرساء مبادئ سليمة وأهداف طموحة لبداغوجيتها، وتوافر شروط مادية وعلمية وتجهيزات تقنية بالإضافة إلى التنسيق المنظم بين جميع المؤسسات والمعاهد العلمية العالية والأكاديميات التعليمية، والوعي التام للجهات المسؤولة عن الصحافة والإعلام الثقافيين بأهمية الترجمة العلمية والتقنية.

الهوامش

(1) انظر: "Langue Française 51, septembre 1981, p: 11

(2) المرجع نفسه ص 17

(3) انظر: Karla Déjean le Feul: "Traduction pedagogique et traduction professionnelle" in "le Français dans le monde". août 1987, pp: 107-112.

(4) انظر: Teodora Cristea المرجع السابق ص 113-118.

(5) انظر: Elizabeth Lavault: "Traduction pédagogique et pédagogie de la traduction" in "Le Français dans le monde" op. cit. p. 119.

(6) انظر: Christine Durieux: Fondements didactiques de la traduction technique", coll. Traductologie n° 3, Didier Erudition 1988 p. 23.

(7) انظر: «الموافقات» لأبي إسحاق الشاطبي.

(8) انظر: J.R. Ladmiral: Langue Française, op. cit

(9) انظر بعض خصائص هذه المستويات مطبقة على العمل الأدبي في: «ما الجنس الأدبي؟» جان ماري شيفر، لوسوي، ص 79.

(10) انظر: François Rastier "L'interprétation" بكتاب Presses universitaires de France "Sémantique interpretative". ص 213-265.

(11) انظر هذه المكونات بتفصيل في: أحمد جوهري: «درس الترجمة» «نحو منهجية متماسكة لديداكتيك الترجمة العلمية مكناس 1995 ص 27-87.

(12) كانت أخلاق المناظرة من علامات نجاح الثقافة التراثية (مناظرة متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي، ومناظرة بديع الزمان الهمداني مع الخوارزمي...) ومن مقومات التلقين والتعلم المعرفيين الجماعيين، عكس الثقافة العربية المعاصرة التي تنحو إلى الفردية. يظهر هذا بوضوح في مجال الترجمة من خلال انتشار ترجمات الأفراد. فهل يرجع هذا التفاوت إلى اختلاف بين وعي بالتقدم (عند القدماء) ووعي بالتخلف (عند المعاصرين)؟ أم إلى شروط خارجية أخرى؟

معايير اختيار النصوص الصالحة للترجمة العلمية الموجهة إلى المتخصصين وطلاب التعليم العالي

أحمد شيخ السروجية

الأصل في التعليم والتعلم أن يكون باللغة الأم الأصلية. هذا ما ذكرته قوانين وأنظمة وتعليمات معظم الجامعات العربية إن لم تكن كلّها، إلا إذا تعذّر ذلك. والأسباب لعدم انصياع الجامعات لهذا التشريع وجعل الاستثناء هو القاعدة في الدراسة العلمية تردّ إلى أمور عديدة، من أهمها عدم توافر الكتب العلمية المرجعية والكتب المتخصصة التي تفي باحتياجات التعليم العالي والمتخصص. كيف نوفر هذه الكتب؟ أبالتأليف أم بالترجمة؟ الجواب على هذا السؤال يستحق بحثًا بحد ذاته. أما ماذا نترجم فهو موضوعنا في هذه الورقة.

للإجابة عن هذا السؤال سأتحدث تحت العناوين التالية:

1- الهدف من الترجمة

2- المناخ السائد في حركة الترجمة والتدريس باللغة العربية في التعليم العالي

3- موقف الجامعات من الترجمة.

4- القطاع المستهدَف في حركة الترجمة.

5- المترجمون. من هم؟ ومدى إتقانهم للغة المصدر واللغة العربية.

6- النشر والتوزيع.

7- الإمكانات المتاحة والإمكانات الممكنة.

1- الهدف من الترجمة

منذ نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وبعد التخلص من سيطرة الدولة العثمانية، واستبدالها بالاستعمار الأوروبي، مرت حركة التعريب في البلاد العربية في مراحل. فحول نهاية السيطرة العثمانية تم تعريب التعليم والتعليم العالي في بعض البلدان مثل سوريا ولبنان ومصر. وعند اقتراب السيطرة الأوروبية أو بعدها، انتكس التعليم في مصر ولبنان إلى التعليم بلغة أجنبية، بينما استمرت سوريا وحيدة في تقديم التعليم العالي باللغة العربية. أما الجامعات التي أنشئت فيما بعد، فكان تعليم العلوم فيها بلغات أجنبية منذ تأسيسها. كان الهدفُ الأعلى لتعريب التعليم في جميع مراحله تحقيق الذات القومية واستعادة المكانة العلمية التي بلغتها الأمة في الماضي.

وبعد منتصف القرن العشرين، تسارع التقدم العلمي بخطىً واسعةٍ حتى إذا شارف القرن على الانتهاء، أصبح الكمُّ المعرفي ضخما جدا بحيث يصعب على فرد أو مؤسسة أن تمتلكه. فنشأت بنوك المعلومات في مختلف الدول. كيف يمكن للدارس أو المتخصص أن يحوز ما يريد من المعلومات، يبقى أمراً يجدر أن يُولى أهمية كبيرة.

إن هذا التوسع والتسارع المعرفي أصبح حَجَرَ العثرة الذي يعيق عملية الترجمة والتعريب. إذ إن المقاومين للترجمة والتعريب يزعمون أن إمكانية متابعة العلوم باللغات الأجنبية أجدى وأسهل، ولكن يمكن القول إن المتابعة بلغة أجنبية ستضيع جهدا كبيرا في محاولة الفهم، كما أن نقل ما يقرأ إلى اللغة الأم في ثنايا المخ، إضافة إلى مضيعة الوقت الكبير، قد يجعل الترجمة العقلية هذه مغلوطة أو منقوصة في كثير من الأحيان. كل ذلك، إضافة إلى حَجْر العلوم على من يتقنون اللغات الأجنبية، ويتوقع أن يقل عددهم مع صعوبة تلقي العلم في بلدان أوروبا وأمريكا وزيادة كلفته زيادة هائلة، سيقلل من عدد من يتقنون اللغة الأجنبية إتقانا جيدا مما يجعل متابعة العلوم أصعب من ذي قبل. إنني أعتقد أن هذه يجب أن تكون مدعاة إلى نقل العلوم جميعها إلى لغتنا، لأن التأخر في ذلك سيبعدنا عن اللحاق بركب الأمم المتقدمة، كما أن نقل العلوم، وسيكون ذلك

بإشراف المختصين، سيزيد من فهمهم لمادتهم، ومن إتقانهم اللغتين المعنيتين، وسيُبقي على استمرار متابعة العلوم على أعلى المستويات.

2- المناخ السائد في حركة الترجمة والتدريس باللغة العربية في التعليم العالي.

الكثيرون يدعون للترجمة والتعريب، ولكن ليست هناك سياسةٌ عامة، والقرار في ذلك يتيه بين قرار سياسي مُلْزِم، واقتناع ذوي التخصص. والصعوبة في اتخاذ القرار السياسي تكمن في تفرق الأمة العربية إلى دول عديدة، تختلف سياساتها في كثير من الأمور، ومن بينها عملية التعريب. والتعريب كما يذكر عبد الله العروي قرار من أهم القرارات ويحتاج إلى سلطة مركزية قوية وصاحب سلطة قوي مثل عمر بن الخطاب وعبد الملك بن مروان والمأمون. لذلك يصعب أن يؤخذ قرار مثل ذلك في إحدى الدول العربية في معزل عن الدول الأخرى. والقرارات التي تؤخذ في اجتماعات الجامعة العربية لا تأخذُ ولم تأخذْ صفة الإلزام.

التعريب إذن ليس إلزاميا بحيث ينكبّ المختصون وغيرهم على نقل المعرفة والعلوم إلى اللغة العربية. وبالرغم من المؤتمرات المتخصصة بالتعريب، والندوات التي تقام على هامش كثير من المؤتمرات العلمية، وتقريبا في جميع المؤتمرات الطبية، لا يجد المترجم العلمي من يشد على يده ويدعمه معنويا أو ماديا، لأن الجهد الذي يُبذَل في الترجمة ليس جهدا يسيرا ويحتاج إلى جهدٍ وكدّ. فالكثيرون من زملاء المترجمين يشفقون عليهم فيما أضاعوه من وقت. يبقى الموقف الحقيقي للترجمة على المستويات الرسمية والجامعية والمهنية وغيرها موقفا لا أباليا إلا فيما ندر.

والتدريس باللغة العربية في التعليم العالي الجامعي في معظم الدول العربية ليس إلزاميا، ويقوم معظم أعضاء هيئة التدريس بنقل المعلومات إلى الطلبة بلغة أجنبية كما يفترض، ولكن واقع الحال أن الأساتذة يدرِّسون بهجين لغوي لا هو بالعربي ولا هو بالأجنبي، وإنما بمزيج سيء من اللغتين. أما المراجع التي يعود إليها الطلبة فهي مكتوبة بلغة أجنبية، وإما أن تكون كتبا أجنبية أو كتبا مؤلفة محليا، وغالبا ما تكون الأخيرة منقولة بشكل أو بآخر عن

الكتب الأجنبية. فالطالب يجد صعوبة في دراستها وفهمها، ويبذل فيها وقتا مضاعفا حتى يتمكن من فهمها واستيعابها. وإذا وجدت كتب مكتوبة باللغة العربية أو مترجمة إلى العربية، فهو لا يعيرها التفاتا، لأن امتحاناته التحريرية والشفوية تُجرى بلغة أجنبية. من ذلك، كان الحافز الذي يدفع أعضاء هيئة التدريس لنقل العلوم إلى اللغة العربية ضئيلا أو معدوما.

3- موقف الجامعات

كما ذكرت، إن معظم الجامعات تنص في قوانينها وتعليماتها على التدريس باللغة العربية إلا إذا تعذر ذلك. ولكن الجامعات لا تبذل الجهود الحثيثة لتذليل العقبات وإبطال العذر. في جميع الجامعات، لا يترقى عضو هيئة التدريس من رتبة إلى أخرى إلا إذا قدّم إنتاجا علميا فيه إضافة جديدة للعلم والمعرفة. أما الترجمات فلها شروط لا تشجع عضو هيئة التدريس على الترجمة. فهي محدودة في أغلب الأوقات بكتاب واحد ووزنه عند تقييمه أدنى من وزن كثير من البحوث مهما كان مستواها. ففي تعليمات الهيئة التدريسية في الجامعة الأردنية مثلاً، جاء في المبادئ التي تُعْتَمَدُ في قبول الإنتاج العلمي المقدم للترقية (فيما يتعلق بالترجمة) ما يلي: يجوز أن يُقبَل الإنتاج العلمي المقدم للترقية بعد إرساله للتقييم الأولي وورود تقاريرَ إيجابيةٍ بشأنه، إذا كان الإنتاج كتبا مترجمة، ولا يُحْسَبُ للمتقدم للترقية أكثر من كتاب مترجم واحد لكل ترقية، ويشترط أن يكون موضوع الكتاب في حقل المتقدم للترقية، وأن لا يقل عدد كلماته عن مائة ألف كلمة، ويعتبر هذا الكتاب بحثا مشتركا بعد أن يخضع للتقييم الأولي سواء أقام بترجمته مستقلا أو بالاشتراك مع آخرين.

وإنجاز الترجمة يأخذ عادة من المترجم وقتا كبيرا يفوق المردود الذي يلقاه. وأقل تشجيع للترجمة يمكن للجامعات أن تقدمه نحو الترجمة والتعريب هو أن يتحول الجواز إلى إلزام عضو هيئة التدريس بنقل كتاب واحدٍ في حقل تخصصه قبل أن يتقدم للترقية. وإذا طُبِّق قرارٌ مثل هذا في الجامعات العربية كلّها مع التنسيق فيما بينها لعدم تكرار ترجمة الكتاب الواحد، فإن ذلك سينقل كمّا هائلا من المعرفة إلى اللغة العربية.

4- القطاع المستهدف في حركة الترجمة.

إن من أهم ما يحدد نوعية الكتاب المترجم هو فئة المواطنين المستهدفة. والفئات المستهدفة تتلخص فيما يلي:

التعليم الأكاديمي	الجامعي	دراسات دنيا
		دراسات عليا
	المتوسط	المعاهد المتوسطة وكليات المجتمع
	المدرسي	

القارئ العام

واستهداف أي فئة يؤثر على بقية الفئات، فنحن هنا بصدد اختيار الكتاب المناسب للترجمة الموجهة للمختصين وطلاب التعليم العالي.

إن معظم التعليم العالي الذي يتم في المعاهد المتوسطة يعتمد التدريس باللغة العربية. ويقرأ الطالب عادة من كتب موجزة أو من محاضرات ليست مرتبة. واللغة التي تكتب بها ليست رصينة في غالبية الأحيان. ويجعل ذلك إمكانية رجوع الطالب إلى الكتب المتخصصة أو المرجعية صعبا، لأن لغته الأجنبية لا تساعده على ذلك، ولأن هذه الكتب ليست متوافرة باللغة العربية مما يحرمه من الاطلاع على العلوم في مصادرها، وتعيقه عن متابعة الجديد الذي يصدر معظمه بلغات أجنبية كما يحرمه من الاطلاع على المجلات العلمية، لأن الجيد منها مكتوب بلغة أجنبية.

وتتم الدراسة الجامعية في الكليات العلمية بلغات أجنبية في معظم الجامعات العربية باستثناء سوريا. والكتب الموجودة باللغة العربية قليلة ومعظمها لا يرقى لأن ينافس الكتب الأجنبية من حيث المستوى أو تغطية المواد المقصودة. لذلك لا يشجع الأساتذة طلابهم للاطلاع على الكتب العربية بل يشجعونهم على الدراسة في الكتب الأجنبية. هذا أمر جيد، ولكنه يرهق الطالب الذي يبذل جهدا واعيا في محاولته فهم المعاني بصورة دقيقة بما في ذلك معاني المصطلحات. فأمر أساسي ومهم جدا أن يفهم الطالب معنى المصطلح

الدقيق حتى يستوعبه جيدا ويكوّن لديه ملكة التمييز بين المصطلحات المختلفة وبالذات التي تتقارب في معناها. وبهذا الصدد يبذل الأساتذة جهدا قليلا في شرح هذه المصطلحات. وليس مبالغاً أن نقول إن عددا لا بأس به منهم لا يميزون تمييزا دقيقا بين المصطلحات المتقاربة، وهنا يكون الخلط.

5- المترجمون، من هم؟ ومدى إتقانهم للغة المصدر واللغة العربية

المفترض أن يقوم أصحاب الاختصاص في ترجمة الكتب العلمية كلٌّ حسب اختصاصه. وهذا يحتم عليهم أن تكون درايتهم في لغة المصدر واللغة العربية جيدة، كما يجب عليهم أن يلتزموا بالمعاجم العلمية الموجودة ويرجعوا إليها بالنسبة للمصطلحات العلمية. ومن الأمور البديهية أن تكون درايتهم في حقل اختصاصهم ممتازة. هذه شروط أساسية، لأن غير المختصين، على الأقل في اختصاص المادة العام، لن يتمكنوا من فهم معاني المصطلحات الدقيقة وفهم المادة ليمكن نقلها نقلا سليما إلى اللغة العربية. فأن يكون هناك مترجمون متخصصون في الترجمة لا يساعد في نقل العلوم بل يشوّهها. ولحسن الحظ لم تبرز فئة تدّعي القدرة على الترجمة العلمية كما هو الحال في الترجمات الأخرى. ومن المؤسف أن هذه الشروط ليست متوافرة في هذا الوقت. وللظروف السائدة الآن في الوطن العربي التي لا تشجع نقل العلوم إلى اللغة العربية، لا يبذل المختصون الجهد الكافي ولا يحاولون نقل المعرفة العلمية في تخصصهم إلى اللغة العربية. وما يتم الآن لا يعدو أن يكون محاولات فردية.

6- النشر والتوزيع

إن دَوْرَ دُورِ النشر والتوزيع في نقل المعرفة العلمية المتخصصة والتي تستهدف التعليم العالي إلى اللغة العربية الآن، ليس مشجعا، بل ليس مهتما على الإطلاق. إنها تهتم بكتب تستهدف القارئ العام وتختار الكتب التي قد يكون لها رواج في الأسواق، وهذه عادة كتب علمية عامة ليست متخصصة أو أكاديمية، ومستوى ترجمتها غالبا ما يكون دون المستوى المأمول. والأسباب عديدة، وأهمها أن دُور النشر دور خاصة في غالبيتها وهي لا تهتم في أمرٍ من الأمور إلا إذا وفّر لها الربح. والترجمة العلمية في هذا الوقت ليست نشطة

وإمكانية توزيع الكتب المترجمة ليست كبيرة لعدم وجود إلزام بالتعليم باللغة العربية، فالكتب العلمية المختصة الموجهة للدراسات العليا لا يتوفر لها توزيع كبير بحيث يفي بالكلفة التي أُنفقت على ترجمة الكتاب. وكثير من الكتب المترجمة مكدّسة لا تجد طريقها إلى المستهلك، وهو أصلا غير مهتم بها لأن الجو السائد لا يلزمه ولا يشجعه على الاطلاع على العلوم باللغة العربية، بل يُعتبَر معظم المتوافر منها إما قاصرا أو متأخرا لأن الترجمة تحتاج إلى وقت ليس بالقصير، وبالذات فيما يتعلق بالكتب المرجعية الكبيرة الموجهة للدراسات الدنيا. وفي الوقت التي تنجز فيه ترجمة كتاب من الكتب تصدر طبعة جديدة منه تجعل الطبعة المترجمة قديمة نسبيا.

7- الإمكانات المتاحة والإمكانات الممكنة

إن الإمكانات المتاحة الآن كما أسلفت ليست مشجعة والمحاولات فردية ولا يمكن أن نبني عليها سياسة عامة في نقل المعرفة أو أن نأخذ منها الاستنباطات السليمة أو التوجهات نحو المستقبل. نقل العلوم يحتاج إلى:

1- وجود المختصين في المادة التي يُراد ترجمتها.

2- تأهيل هؤلاء المختصين في الترجمة.

3- القرار الإلزامي بتعليم العلوم باللغة العربية.

4- إيجاد التشريعات في الجامعات التي تشترط ترجمة كتاب على الأقل كشرط من شروط الترقية وأن يؤخذ بعين الاعتبار ترجمة أكثر من كتاب واحد عند الترقية بل ويشجّع ذلك.

5- توفير الإمكانات المادية اللازمة للطباعة والنشر والتوزيع.

بعد هذه الخطوة يمكن ترجمة الكتب المرجعية الكبيرة بوقت سريع نسبيا وبجودة عالية إذا اشترك في الترجمة عدد كبير من المختصين.

في مناخ كما أشرت إليه لتوي تصبح المعايير التي يتوجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في اختيار الكتاب الذي يزمع ترجمته هي:

1- أن يكون الكتاب حديثا نسبيا، وبما أن الترجمة ستستغرق وقتا طويلا، وبالذات في الوقت الحاضر، فيستحسن أن يبدأ بترجمة الكتاب بعد صدوره مباشرة.

2- يجب أن يسجل الكتاب قبل ترجمته في دائرة عربية مركزية للترجمة حتى لا يترجم الكتاب أكثر من مرة واحدة في أقطار عربية عديدة.

3- يجب أن يقوم على ترجمة الكتاب مختص في المادة التي يبحثها الكتاب.

4- يجب أن يلتزم المترجم بالمعاجم الموجودة عند ترجمة المصطلحات ولا يعتمد علي معلوماته الخاصة من دون الرجوع للمعاجم، لأنه بغير ذلك كثيراً ما يعرض نفسه للوقوع في ترجمة المصطلحات ترجمة خاطئة، بحيث لا يكون هناك تفريق دقيق بين المصطلحات المتشابهة، وهذه كثيرة في جميع العلوم.

5- إذا أخذت الجامعات دورا إيجابيا في تشجيع الترجمة بتغيير تشريعاتها كما أشرت، فيجب أن تؤخذ موافقة مسبقة للكتاب المنوي ترجمته من المجالس الأكاديمية المختصة في الجامعات والمعاهد العليا.

خلاصة

إن موضوع الترجمة ومعايير اختيار النصوص الصالحة للترجمة العلمية الموجهة إلى المتخصصين وطلاب التعليم العالي من الأمور التي يصعب تناولها وتحديدها على أفضل وجه، في غياب سياسة تنفيذية عامة للترجمة والتدريس باللغة العربية، يكون فيها شيء من الإلزام بالنسبة للتعليم باللغة العربية في جميع المستويات. ودور الجامعات في وضع هذا الأمر في طريقه السوي دور أساسي. إذ يمكن لها أن تسهم إسهاما كبيرا في نقل العلوم إلى اللغة العربية، وتغني المكتبة العربية من الكتب المتخصصة المترجمة، وفي نفس الوقت تعمل على تأهيل أساتذتها في أعمال الترجمة، لا بل في الكتابة العلمية القويمة باللغة العربية، وتشجعهم على التدريس بها. أعتقد أن ذلك كلّه قد يتم بصورة جيدة إذا غيرت تشريعاتها وطلبت من أعضاء هيئة التدريس فيها بترجمة كتاب متخصص واحد على الأقل في حقل تخصصهم وجعلت ذلك شرطا من شروط

الترقية من رتبة إلى أخرى. أعتقد أن خطة كهذه قد تكون ناجحة، بعد أن تصبح لدى أعضاء هيئة التدريس الدربةُ والدرايةُ في عملية الترجمة، أن يتصدوا بكل يسر وكفاءة بترجمة الكتب المرجعية الكبيرة، وإعادة ترجمة طبعاتها المتتالية. كما أن إغناء المكتبة العربية بالمراجع المترجمة سيساعد على عملية الترجمة والتأليف الذي يستهدف القطاعات الأخرى من المواطنين وسيمكنهم من الاطلاع على المراجع العلمية الأصلية بلغتهم العربية.

لذلك يجب أن يدرس هذا الموضوع بعد معرفة الهدف من الترجمة، وبيان المناخ السائد في حركة الترجمة والتدريس باللغة العربية في التعليم العالي في الوقت الحاضر، ومعرفة موقف الجامعات من الترجمة والتدريس باللغة العربية فيها، وكيف يمكن أن تؤثر فيهما بصورة فاعلة. وكيف تستهدف القطاعات المختلفة من المواطنين في عملية الترجمة والكتابة باللغة العربية. وكما يجب الإشارة إلى دَوْر دُورِ النشر والتوزيع، ومعرفة الإمكانات المتاحة والإمكانات الممكنة.

المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة - العلوم الطبيعية كنموذج

أحمد الحطاب

1- مفهوم المصطلح العلمي

قد يتساءل القارئ لماذا نُعتت بعض المصطلحات دون غيرها بالعلمية؟ هل فعلا هناك خاصيات تتميز بها هذه المصطلحات عن غيرها أم هناك تفسير آخر؟

للإجابة عن هذا التساؤل، يجدر بنا أولاً أن نوضح ما المقصود بكلمة «علم» أو بعبارة أخرى ندرك ماهية المفهوم الكامن وراء هذه الكلمة.

إن لفظة «علم» لفظة بسيطة جدا تتكون من ثلاثة أحرف لكن معناها ومضمونها لهما جذور تضرب في أعماق التاريخ البشري. فالكلمة كغيرها تزامنت مع وجود العنصر البشري على وجه الأرض إلا أن مفهوم العلم تطور مع تطور الحضارات والمجتمعات البشرية بدءاً من الحضارات الأسيوية والمصرية ومرورا بالحضارات اليونانية والرومانية والعربية الإسلامية إلى الحضارات المعاصرة. وكيفما كان الحال، فالعلم كمفهوم وليد الحاجة أي بمعنى آخر، فالإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض وجد نفسه باستمرار أمام

عدة مشكلات ارتبط بقاءه بإيجاد حلول لها. فبحكم الضرورة، وظف الإنسان قدراته العقلية والفكرية التي يمتاز بها عن سائر الكائنات الحية الأخرى للتصدي لهذه المشكلات. فكانت النتيجة أن تكونت لديه طريقة معينة لفحص هذه المشكلات والنظر فيها والتعامل معها. والمقصود هنا بالطريقة هو الاستعمال المنظم والممنهج للقدرات الفكرية والمهارات اليدوية المتمثلة في الملاحظة والمقارنة والتدقيق والقياس والعد والتجريب والحفظ والاستنتاج، إلخ، الشيء الذي أدى مع مرور الوقت إلى ظهور منهجية لها قواعدها وأسسها يتم اللجوء لها كلما ظهرت الحاجة لحل مشكلة من المشكلات أو للتعرف على الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

انطلاقا من هذه الاعتبارات، فما هو المقصود بمفهوم علم؟ العلم حسب ماهو متعارف عليه هو الرصيد المعرفي الذي توصل إليه الإنسان من خلال استعماله المتواصل للمنهجية المذكورة. وسمي العلم علما لأن الرصيد المعرفي الذي يتكون منه ناتج عن أسلوب في التفكير يعتمد أساسا على الملاحظة والتجريب. ومن هنا وضع تمييز بين المعرفة المنعوتة بالعلمية والمعرفة غير العلمية أو المتداولة التي تفرزها الممارسة اليومية والتفاعل الاجتماعي اللساني. واعتمادا على هذا المنظور، يبدو جليا أن المصطلح العلمي هو كل لفظة أو كلمة تدخل في نطاق المعرفة العلمية والتي صاغها أو ابتكرها أو اقتبسها الباحثون والدارسون للتعبير عن نتائج أعمالهم. وهكذا، فإذا نُعتت المصطلحات بالعلمية فذلك ليس راجعا لكونها علمية في حد ذاتها ولكن للظروف التي تمت فيها الصياغة أو الابتكار.

فالمصطلحات العلمية إذن عبارة عن مجموعة من الكلمات تم الاتفاق على استعمالها من طرف مجمع الباحثين لتقوم بوظيفة تتمثل في تجسيد نتائج البحث ووضعها في قالب لغوي يضمن تواصلا فعالا ومفيدا بين مختلف فئات المستعملين.

فكل مصطلح إذن يحمل في طياته تاريخا حافلا بالأبحاث والدراسات والتجارب قد يطول عدة سنوات بل عشرات السنين. وعلى سبيل المثال لا

الحصر، نسوق هنا مصطلح النظام البيئي أو المنظومة البيئية (Ecosystème) الذي صاغه العالم البيئي الإنجليزي (Lindeman) عند وضعه لنظرية الأنظمة البيئية (Théorie des écosystèmes) خلال النصف الأول من القرن العشرين لكن بعد أخذ وردّ امتد منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

إن المصطلحات العلمية وليدة البحث والنشاط العلميين وبالتالي، فهي إما تطلق على الظواهر الطبيعية وإما على مكونات الطبيعة أو العناصر التي تتألف منها هذه المكونات وإما على الوسائل التي يستعملها الباحث للقيام بنشاطه العلمي. فعندما نتحدث مثلا عن الجاذبية (Gravitation) أو عن التركيب الضوئي (Photosynthèse) أو عن التحلل بالماء (Hydrolyse) أو عن الترسب (Sédimentation)، فهذه مصطلحات صاغها الباحثون للتعبير عن أفكار علمية تصف ما يحدث من ظواهر في الطبيعة. فهي في الحقيقة عبارة عن مفاهيم بينما عندما نتحدث عن المعي (Intestin) أو عن الزئبق (Mercure) أو عن العلق (Plancton) أو عن الكلس (Calcaire) أو عن المجهر (Microscope) أو عن أبي منجل (Ibis) أو عن العدسة (Lentille) فهذه مصطلحات تشير إلى أسماء تطلق إما على مكونات حية أو غير حية تتألف منها الطبيعة وإما على الوسائل التي يستعملها الباحثون لممارسة نشاطهم العلمي.

في هذه الحالة، يمكن بصفة عامة تصنيف المصطلحات العلمية إلى نوعين اثنين. في النوع الأول، يمكن إدراج المصطلحات التي تمت صياغتها للدلالة على ما يقع من ظواهر الطبيعة منها وتلك التي أحدثها الإنسان. وفي هذا الصدد، ينظر إلى المصطلحات كصُوَر فكرية تشير في غالب الأحيان إلى أشياء غير ملموسة. أما في النوع الثاني، فيمكن إدراج المصطلحات المصاغة للدلالة على المكونات والأشياء التي يتعامل معها الباحث أثناء قيامه بنشاطه العلمي والتي يمكن أن ينظر لها كألفاظ تقنية. وكيفما كان الحال، أي سواء تعلق الأمر بالمصطلحات كصور فكرية أو كألفاظ تقنية، فهي ناتجة عن سياق فكري علمي معيّن.

2- صياغة المصطلحات العلمية

2.1- المصطلحات العلمية كصور فكرية

عندما يتوصل الباحث إلى تفسير ظاهرة من الظواهر، فإنه مطالَب بأن يسميها تسمية تجعل القارئ يدرك ما أراد أن يوصله إليه من أفكار. في هذه الحالة، بينت التجربة أن الباحث يلجأ إلى عدة طرق لإخراج المصطلح إلى حيز الوجود. من بين هذه الطرق:

- أولاً، اللجوء إلى رصيد المفردات المتداولة واختيار من بينها تلك التي لها علاقة من حيث المعنى بالظاهرة المراد تسميتها.

وفي هذا الصدد، يمكن أن نأخذ كمثال مصطلح (Trou noir) الذي اختاره الباحثون للدلالة على مفهوم فَلَكي، فهذا المصطلح مركب من مفردتين متداولتين (Trou) بمعنى ثقب و(Noir) بمعنى أسْود، أي ثقب لونه أسود. لكن الباحثين عندما اختاروا هاتين المفردتين لم يكن قصدهم هو الدلالة على شيء لونه أسود بل كان اختيارهم مبنيا على أن المفردتين المذكورتين تعبران أكثر من غيرهما على ما يروج في أذهانهم من أفكار. وهكذا، فبمجرد انتقال هاتين المفردتين من اللغة المتداولة إلى اللغة العلمية يصبح لكلّ واحدة منها معنى آخر. في هذه الحالة، اختار الباحثون مفردة (Trou) لأنها تشير إلى الفراغ ومفردة (Noir) لأنها تشير إلى العدم وبالتالي، أصبح مصطلح (Trou noir) يشير إلى صورة فكرية أو مفهوم يعبر عن ظاهرة تتمثل في انكماش نجم على نفسه ناتج عن تركيز فائق للمادة بداخله، الشيء الذي يؤدي إلى تقليص هائل في حجمه وارتفاع قوي لكثافته يصبح من جرائهما قادرا على جذب وامتصاص كل شيء من حوله بما في ذلك الأشعة الضوئية المنبعثة منه وبالتالي يحل محله ظلام حالك أطلق عليه الفلكيون اسم «الثقب الأسود».

وفي نفس السياق، يمكن أن نورد مثالا آخر لتأكيد لجوء الباحثين للمفردات المتداولة للتعبير عن نتائج أبحاثهم ويتعلق الأمر هذه المرة بمصطلح

(Génération Spontanée) الذي اختاره لويس باستور في خضم أبحاثه في مجال علم الجراثيم. كما هو الشأن بالنسبة لمصطلح (Trou noir)، فمفردة (Génération) تعنى في اللغة المتداولة جيل، نشوء، نسل، ذرية بينما مفردة (Spontané) تعني عفوي، تلقائي، ذاتي. وقد اختار لويس باستور هاتين المفردتين للتعبير عن الأفكار التي كان يروجها معاصروه والمتمثلة في اعتقادهم أن بعض الكائنات الحية كالفئران وخصوصا الجراثيم تنشأ ليس عن طريق التناسل ولكن من الأوساخ والعفن. ومن هنا جاءت فكرة «التولد التلقائي» التي عبر عنها باستور بمصطلح (Génération Spontanée).

– ثانيا، اللجوء إلى جذور المفردات أو المصطلحات العلمية الأخرى التي لها علاقة بالظواهر المراد تسميتها وتوظيفها لصياغة مصطلحات جديدة. في هذه الحالة، يكون المصطلح المصاغ إما بسيطا وإما مركبا ويشير للظاهرة بأكملها أو لبعض جوانبها. فمثلا عندما استطاع الباحثون أن يفسروا الخاصية التي تتميز بها النباتات الخضراء والمتمثلة في تركيب المادة العضوية انطلاقا من ثاني أكسيد الكاربون الموجود في الهواء، والماء الموجود في التربة والطاقة الضوئية، أشاروا إليها بواسطة مصطلح (Photosynthèse) الذي تدخل في بنائه لفظة (Photo) التي اشتقت من (Phot) للتعبير عن الضوء وكلمة (Synthèse) المشتقة من (Syn) التي تعني معا و(Thet) التي تعني موضوع.

وهكذا، فكلمة (Synthèse) تعني وضع الأشياء أو جمعها معا. وهذا هو الشيء الذي يحدث عندما تركب النباتات الخضراء المواد العضوية حيث يكون التركيب ناتجا عن التقاء عناصر مستخرجة إما من الهواء وإما من التربة. وبما أن حدوث هذا التركيب رهين بوجود الضوء أضيفت لفظة (Photo) لكلمة (Synthèse) للتعبير عن ظاهرة تنفرد بها هذه النباتات. وما قيل عن مصطلح (Photosynthèse)، يمكن أن يقال عن العديد من المصطلحات الأخرى. وكمثال آخر نضيفه للذي سبق، نورد مصطلح (Hémolyse) الذي يتشكل من لفظتي (Hemo) التي تعني الدم و(Lyse) التي تشير إلى الذوبان أو تذويب أو انحلال أو شيء ذائب أو تحرير أو إطلاق إلخ... وقد اختار الباحثون هذا المصطلح

بعدما لاحظوا أن الكُريات الحمر إذا وضعت في وسط ضعيف التركيز، فإنها تفقد لونها الأحمر نتيجة فقدانها لليَحْمور الذي ينفصل عن الكُريات وينحل في هذا الوسط. وهكذا، فإن الصورة الفكرية التي أراد أن يعبر عنها الباحثون باختيارهم لمصطلح (Hémolyse) هي إطلاق سراح شيء بفصله عن شيء آخر. ويتعلق الأمر هنا بانفصال اليحمور عن الكريات الحمر.

- ثالثا، اللجوء إلى أسماء الباحثين وتوظيفها لصياغة مصطلحات جديدة التي يمكن أن تكون بسيطة أو مركبة. في الحالة الأولى، يشتق المصطلح بأكمله من اسم الباحث وفي الحالة الثانية، يصاغ إما بإضافة اسمه إلى كلمة متداولة وإما باستخراج نعت من هذا الإسم وإضافته إلى كلمة متداولة. وفي هذا الصدد، يمكن أن نستدل بالمصطلحات التالية: (Pasteurisation, Cycle de Krebs, Mouvement Brownien)

بالنسبة للمصطلح الأول، أي (Pasteurisation)، تمت صياغته انطلاقا من اسم الباحث الفرنسي لويس باستور الذي كان له الفضل لإيجاد طريقة تمكن من خلالها من القضاء على المتعضيات المجهرية المتواجدة في بعض الأغذية وخصوصا منها الحليب وعصير الفواكه. وتتمثل هذه الطريقة في خضوع هذه الأغذية لعملية تسخين تحت درجة حرارة معينة وخلال مدة محدودة حيث تصبح الصورة التي يرمز لها المصطلح هي القضاء على الجراثيم الموجودة في الأغذية وخصوصا المؤذية منها عن طريق التعقيم المترتب عن تسخين هذه الأغذية.

أما بالنسبة للمصطلح الثاني، أي (Cycle de Krebs)، فهو مصطلح مركب من (Cycle) بمعنى دورة و(Krebs) الذي هو الباحث الذي اقترن اسمه بالظاهرة التي يشير إليها هذا المصطلح. ويتعلق الأمر بسياق كيميائي معقد تتحول بواسطته المواد السكرية التي يحصل عليها الجسم عن طريق التغذية إلى أحماض مختلفة، الشيء الذي يؤدي إلى تحرير كمية كبيرة من الطاقة يستفيد منها هذا الجسم. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصورة المراد بلورتها من خلال هذا المصطلح هي التفاعلات الكيميائية المتسلسلة المعينة التي تحدث داخل الخلايا وتؤدي إلى إنتاج أحماض وطاقة.

أما المصطلح الثالث، فهو كذلك مركب من كلمة متداولة (Mouvement) التي تعني الحركة وكلمة (Brownien) التي هي نعت مشتق من اسم الباحث في علم النبات (Brown) الذي هو أول من شاهد الظاهرة التي يشير إليها هذا المصطلح. فعندما نتحدث عن الحركة البرونية، فالصورة التي يجب أن تخالج أذهاننا تتمثل في الاهتزاز أو الارتجاج المستمر، غير المنتظم والصدفوي الذي تبديه الجزيئات السابحة في السوائل.

وهكذا، يبدو جليا أن ما يمكن استنتاجه من التوضيحات السابقة هو أن كل المصطلحات التي سردناها كأمثلة ليست مجرد تسمية لأشياء سكونية، بل إنها في الحقيقة تترجم بعض الجوانب من الفكر العلمي التي استطاع الباحثون أن يسلطوا عليها الأضواء. لهذا، فالمصطلحات من هذا النوع، لا يمكن أن تدرك ككلمات جافة لأنها أولاً وقبل كل شيء ناتجة عن سياق فكري وبالتالي فهي عبارة عن صور فكرية أو مفاهيم لها علاقة بالظواهر التي تم تفسيرها من طرف الباحثين.

2.2- المصطلحات العلمية كألفاظ تقنية

يتعلق هذا النوع الثاني من المصطلحات بالمكونات الحية وغير الحية والأشياء التي يتعامل معها الباحث أثناء مزاولة نشاطه الفكري العلمي. وهنا يجب أن لا يغيب عن الأذهان أن هذه المصطلحات هي الأساس الذي يرتكز عليه الباحثون للخوض في غمار التفكير والتعبير العلميين وكما هو الشأن في النوع الأول من المصطلحات، فإن الباحثين اعتمدوا عدة طرق لصياغتها. من بين هذه الطرق، نذكر على سبيل المثال:

- أولاً، ربط التسمية بشكل وحجم ولون المسميات، والأمثلة هنا كثيرة نكتفي بذكر البعض منها. لو أخذنا مثلا مصطلح (Globule)، فسنجد أن واضعه اعتمد في صياغته على الشكل وعلى الحجم حيث تم تركيب هذا المصطلح من لفظتين هما (Glob) الذي يشير إلى الشكل الكروي و(Ul) الذي يشير إلى الحجم الصغير. وهذه الصفات تنطبق على خلايا الدم وبعض الخلايا التناسلية. أما واضع مصطلح (Chlorophylle)، فقد اعتمد على اللون حيث تم

تركيبه من لفظتين الأولى (Chlor) بمعنى أخضر والثانية (Phyll) بمعنى ورقة. والمقصود هنا هي المادة الكيميائية ذات اللون الأخضر الموجودة في أوراق النباتات الخضراء. وما قيل عن (Chlorophylle)، يقال عن (Chloroplaste)، أي بالمعنى الحرفي الجسيم الأخضر وبالمعنى العلمي الجسيم الذي يحمل مادة اليخضور. وفي نفس السياق، يمكن إدراج مصطلح (Xanthophylle) الذي تشير فيه لفظة (Xanth) إلى اللون الأصفر علما أن هذا المصطلح يطلق على المادة الصفراء أو اليصفور الذي يوجد كذلك في أوراق النباتات الخضراء. واستنادا كذلك إلى اللون، يمكن ذكر مصطلحات (Cyanophycées, Phéoph-cyées, Rhodophycées) التي تشير فيها لفظة (Phyc) إلى طِحْلب بينما يشير (Cyan) إلى اللون الأزرق و(Pheo) إلى اللون البنّي و(Rhod) إلى اللون الأحمر أو الوردي ورجوعا إلى الشكل، يمكن كذلك الاستدلال بمصطلحات (An-nélides, Nématodes, Echinodermes). فبالنسبة لمصطلح (Annélides)، فهو مؤلف من (Anell) بمعنى حلقة صغيرة و(Id) بمعنى «على شكل»، أي الديدان الحلقية أو الحلقيات. أما (Nématodes) فهو مركب من لفظتين، الأولى (Nemat) بمعنى سلك أو خيط والثانية (Odes) مشتقة من (Odeus) أو(Odeum) اللتان تشيران إلى عبارة «له مظهر»، وتم إطلاق اسم (Nématodes) على نوع من الديدان لها مظهر خيطي أو سلكي أي الخيطيات أو السلكيات. أما (Echi-nodermes)، فهو المصطلح الذي يطلق على الحيوانات البحرية المسماة بشوكيات الجلد أو قنفديات الجلد. وهذا المصطلح مركب من لفظتين، الأولى (Echin) وتعني شوكة والثانية (Dermat) بمعنى الجلد، أي الكائنات ذات الجلد الشوكي.

- ثانيا، ربط التسمية بحالة أو فعل أو حركة كما هو الشأن بالنسبة لمصطلح (Phagocyte, Carnivore, Plancton). فبالنسبة لمصطلح (Phagocyte)، فهو مركب من (Phag) بمعنى أكل و(Cyt) بمعنى خلية أي ما معناه حرفيا الخلية التي تأكل والتي تسمى الهضامة أما (Plancton)، فهو مشتق من (Planct) بمعنى تائه وهو الإسم الذي يطلق على الكائنات الحية البحرية المجهرية الكثيرة العدد التي تسبح في الماء، أي العلق البحري. أما (Car-

(Carnivore، فيتركب من (Carni) وهي مشتقة من (Carnat) بمعنى لحم ومن (Vore) المشتقة من (Vora) التي تعني «الذي يتغذى على»، أي أكل اللحم.

- ثالثا، ربط التسمية بالمسكن أو بمكان العيش. ويمكن هنا إدراج مصطلحات (Arboricole, Arénicole, Limicole) التي تنتهي كلها بلفظة (Cole) المشتقة من (Col) أو (Cola) التي تعني سكن. أما (Aréni)، فهي مشتقة من (Aren) بمعنى رمل. ويطلق المصطلح على الكائنات الحية التي تسكن أو تعيش في الرمل. أما لفظة (Limi)، فهي مشتقة من (Limn) بمعنى ماء راكد أو مستنقع والمصطلح يطلق على الكائنات الحية التي تعيش في المستنقعات. أما (Arbori)، فهي مشتقة من (Arbor) بمعنى شجرة والمصطلح يطلق على الكائنات الحية التي تعيش في الأشجار.

- رابعا، ربط التسمية بالعدد، بالكثرة أو بالكثافة. في هذا الصدد، يمكن إدراج مصطلحات كثيرة تبتدئ إما بلفظة (Pluri) أو (Poly). من بين هذه المصطلحات، يمكن ذكر (Polychète) حيث (Chet) تعني شعر أي بالمعنى الحرفي كثير الشعر. والمصطلح يطلق على ديدان حلقية تمتاز بشعر كثيف على جانبيها. كما يمكن إدراج (Pluricellulaire) أي متعدد الخلايا.

- خامسا، ربط التسمية بالموقع أو التموضع باستعمال (Epi) بمعنى فوق و(Apo) بمعنى بعيدا عن و(Hypo) بمعنى تحت. ويمكن هنا إدراج مصطلحات (Epicarde) وهو غشاء خارجي للقلب و(Hypoderme) وهي الطبقة السفلى للجلد و(Aponévrose) وهو غشاء يحيط بالعضلات.

- سادسا، ربط التسمية باسم الباحث وفي هذه الحالة، يمكن أن يشتق المصطلح من هذا الإسم أو أن يستعمل هذا الأخير كما هو أو أن تضاف له كلمة أخرى. ويمكن في هذا الاتجاه إدراج مصطلح (Nicotine) وهي المادة السامة التي يحتوي عليها التبغ. وسميت هذه المادة نيكوتين نسبة إلى (Jean Nicot) سفير فرنسا بلشبونة خلال القرن السادس عشر الذي اشتهر كأول مهرب لما كان يسمى (Herbe à Nicot) أي التبغ. يمكن كذلك إدراج مصطلحات (Einsténium, Mendélévium) وهما اسمان يطلقان على عنصرين كيميائيين

تمت صياغتهما انطلاقا من اسمي الباحثين (Einstein) و(Mendéléïev) وبإضافة لفظة (ium) التي تعنى «متعلق بـ». غير أنه في بعض الحالات، يتم الاحتفاظ باسم الباحث بدون تغيير لتصبح له دلالة مّا كما هو الشأن في مجال الفيزياء بالنسبة للأسماء (Ampère, Joule, Watt, Coulomb, Newton) التي تطلق على الوحدات التي تقاس بها الكهرباء أو القوة. ويمكن كذلك أن تصاغ المصطلحات انطلاقا من أسماء الباحثين كما هي بعد أن تضاف لها كلمات أخرى. ويمكن هنا أن نستشهد بمصطلحات (Cellule de Sertoli, Follicule de De Graaf, Ilots de Langherans) وكيفما كان الحال، سواء تعلق الأمر بالمصطلحات كصور فكرية أو كألفاظ تقنية، فإن صياغتها لم تأت من عدم بل تعتمد على عدة طرق تتطلب أولاً من الباحث أن تكون له فكرة واضحة عن الشيء المراد تسميته وثانيا أن يكون ذا معرفة بالرصيد الذي توفره له اللغة للتعبير عن هذا الشيء.

انطلاقا من هذه الاعتبارات، استطاع الباحثون عبر العصور أن يعبروا عن نتائج أبحاثهم عن طريق صياغة العديد من النصوص العلمية التي أصبحت في الوقت الراهن تنمو بسرعة مدهلة.

3- من المصطلحات العلمية إلى النص العلمي.

عندما تتوفر للباحثين كل المصطلحات لتكوين نظرة عن نتائج أبحاثهم، فإنهم ينتقلون من مرحلة التفكير إلى مرحلة التعبير، الشيء الذي يؤدي بهم إلى صياغة نصوص استطاعوا من خلالها تأليف العديد من الكتب ذات الطابع التخصصي التي أصبحت جزأ لا يتجزأ من التراث العلمي البشري. غير أن المصطلحات العلمية استعملت كذلك ولا تزال لصياغة نصوص لأغراض مختلفة ثقافية، تعميمية، تعليمية، تربوية، إلخ. فالنصوص العلمية إذن أنواع تختلف أهميتها باختلاف أهمية المصطلحات المستعملة لصياغتها. وفيما يلي بعض النماذج من النصوص العلمية حسب الأغراض المسخرة لأجلها.

3.1- النص العلمي التخصصي

Chez l'homme adulte, la moelle rouge est localisée surtout dans la **substance spongieuse** des **épiphyses** des os longs, dans les côtes, le **sternum** et les corps **vertébraux:**

Elle est constituée par une charpente de **fibrilles conjonctives** avec quelques **cellules conjonctives anastomosées**. Dans les mailles de ce réseau, on trouve des **cellules différenciées** à partir des éléments **mésenchymateux**, qui subissent d'actives **mitoses** suivies d'une **différenciation** qui aboutit à la constitution des éléments du sang, **Hématies** et **leucocytes granuleux**. Autrement dit, on trouve des **érythroblastes** et des myéloblastes à divers stades de leur évolution. La moelle est, en effet, essentiellement un **tissu hématopoïétique**.

Quand au **tissu osseux**, il n'apparaît qu'à un certain stade du développement de l'individu. Chez **l'embryon**, les pièces squelettiques, modèles réduits des os définitifs, sont d'abord des **membranes conjonctives fibreuses** ou des pièces **cartilagineuses**, ou des pièces à la fois **membraneuses** et cartilagineuses. **L'ostéogénèse**, ou **ossification**, est la transformation du tissu membranaire ou du tissu cartilagineux en tissu osseux. Dans le premier cas, il s'agit d'une ossification **endoconjonctive** qui donne naissance à du tissu osseux **fibreux**. Dans le deuxième cas, c'est une **ossification endochondrale** qui donne surtout du **tissu spongieux.**

يتضح من النص السابق أن كاتبه أراد أن يصف النُّخاع الأحمر للعظام وكيف تتكون انطلاقا منه خلايا الدم. كما أراد نفس الكاتب أن يبين كيف يتكون النسيج العظمي انطلاقا من الأنسجة الأخرى. وفي كلتي الحالتين، لجأ الكاتب إلى لغة علمية تتميز بمصطلحات لا يستطيع أن يدرك معناها إلا القارئ أو الدارس المتخصص.

3.2- النص العلمي غير التخصصي

Vers la fin du deuxième mois, des **cellules osseuses** remplacent les **cellules cartilagineuses**. C'est ce qu'on appelle **l'ossification**. Les os ne proviennent cependant pas tous d'une ébauche cartilagineuse. Les os plats du **crâne** et le **sternum** par exemple, proviennent de l'ossification

de membranes. Si on coupe un os long dans son grand axe, on y distingue plusieurs parties. Parmi ces parties, on trouve le **tissu osseux, compact** et dur dans la région médiane et **spongieux** et **poreux** dans les extrémités de l'os. Plusieurs os présentent, à leur centre, une cavité remplie d'un tissu mou, **la moelle**, qui contient de nombreux nerfs et **vaisseaux sanguins.** Les os plats, les côtes et le sternum par exemple, les extrémités des os longs et les vertèbres contiennent de la **moelle rouge**. Elle fabrique les **globules rouges** et une grande partie des **globules blancs** du sang.

من خلال هذا النص، يتضح جليا أن كاتبه أراد أن يصف نفس الظاهرتين المشار إليهما في النص الأول، أي تكوين العظام إضافة إلى تكوين خلايا الدم انطلاقا من النخاع الأحمر. لكن في هذه الحالة، لجأ الكاتب إلى أسلوب مبسط كما يحدث عادة عندما يقصد من هذا التبسيط تعميم المعرفة العلمية أو وضعها في قالب يخدم أهداف التربية والتعليم.

فإذا كان هناك تقارب بين هذين النصين بحكم تناولهما لظاهرتي تكوين العظام وخلايا الدم، فإنه، رغم هذا التقارب، يوجد بينهما فرق أساسي يكمن في نوعية ومستوى المصطلحات المستعملة لصياغتهما. ففي النص الثاني، لجأ الكاتب إلى مصطلحات علمية لكنها مصطلحات متداولة ومفسرة في جميع القواميس والمعاجم. بينما في النص الثاني، استعمل الكاتب مصطلحات علمية متخصصة دقيقة المعنى نادرا ما تشير لها المعاجم. ولهذا فإن هذا النص، إذا كان لا يطرح أية مشكلة للباحث أو الدارس أو القارئ المتخصص من حيث استيعابه في لغته الأصلية، فإنه يطرح له بعض الصعوبات إذا أراد أن يحوله أو أن يترجمه إلى اللغة العربية.

4- المصطلحات العلمية والترجمة

إن الصعوبة الأساسية التي يعاني منها المترجم عندما يريد نقل ما أنتجه الفكر العلمي من معرفة من اللغة الأجنبية – ويتعلق الأمر هنا باللغة الفرنسية – إلى اللغة العربية تكمن في إيجاد المصطلح المناسب لوضعه في المكان

المناسب. وتجدر الإشارة هنا أنه إذا كان بإمكان الباحثين الناطقين باللغة الفرنسية أن يصيغوا وأن يبتكروا مصطلحات جديدة باتباع عدة طرق كما سبق الذكر، فإن الأمر يختلف تماما بالنسبة للغة العربية. وسيتضح لنا هذا من خلال الرجوع إلى النصين الفرنسيين السابقين المتعلقين بتكوين العظام والخلايا الدموية. وكما سبق الذكر، فإن المصطلحات المكتوبة بحروف غليظة في النص الثاني كلها لها مقابلاتها باللغة العربية وبالتالي فترجمة هذا النص لا تطرح أية مشكلة. غير أنه عندما نتطرق للنص الثاني، فإن بعض المصطلحات ليس لها مقابلات باللغة العربية ويتعلق الأمر هنا بالضبط بـ Mésenchymateux, Erythroblastes, Myéloblastes, Hématopoïétique, Endo-conjonctive, Endochondrale. وإذا تفحصنا هذه المصطلحات فسنجد أن واضعها اتبع من أجل صياغتها البعض من الطرق التي سبق أن تمت الإشارة إليها. فمصطلح (Mésenchymateux) مركب من (Mes) بمعنى وسيط ومن (En-chym) بمعنى نسيج نبات أو حيوان. والمصطلح يشير هنا إلى نسيج وسيط سيتحول ليكون نسيجا آخر. أما مصطلح (Erythroblastes)، فهو مركب من (Erythro) التي تم اشتقاقها من (Eryth) أو من (Erythr) بمعنى أحمر ومن (Blaste) المشتقة من (blast) بمعنى بُرْعُم. والمقصود من المصطلح هنا هو الخلايا البُرْعُمية التي تتولد عنها الكريات الدموية الحمراء. أما مصطلح (Myé-loblaste)، فهو الآخر مركب من لفظة (Myélo) المشتقة من (Myel) بمعنى نخاع وكالمصطلح السابق من (Blaste)، أي البراعم النخاعية التي تتولد عنها الكريات الدموية البيض. وفيما يخص مصطلح (Hématopoïétique)، فإنه مركب من (Hémato) المشتقة من (Hemat) بمعنى الدم ومن (Poies) أو(Poït) بمعنى كون أو صنع والمقصود هنا من المصطلح هو صنع الدم. وبالنسبة لمصطلح (Endoconjonctive)، فهو مركب من (Endo) بمعنى «بالداخل» و-(con-jonctive) المشتقة من (Conjunct) بمعنى ضم، والمقصود هنا من هذا المصطلح هو التكوين العظمي الذي يتم داخل نسيج ضامٍّ. أما مصطلح (Endo-chondrale)، فإنه يتركب من (Endo) ومن (chondrale) المشتقة من (Chondr) بمعنى غُضْروف.

وهكذا، فإن جميع المصطلحات السابقة مركبة من لفظتين تشير كل واحدة منهما إما إلى شيء وإما إلى لون وإما إلى فعل. والصعوبة تكمن هنا في كون كل هذه الألفاظ (Etythr, Blast, Myel, Hemat, Poies,...) ليس لها مقابلات باللغة العربية يمكن اللجوء إليها لدمجها مع بعضها أو مع ألفاظ أخرى لصياغة وابتكار مصطلحات علمية جديدة كما هو الشأن بالنسبة للغة الفرنسية. في هذه الحالة، لم يبق أمام المترجم إلا الاجتهاد لإيجاد حل لمشكلة صياغة أو ابتكار مصطلحات ملائمة تؤدي المعنى المطلوب. فما هي إذن المنهجية المطلوبة اتباعها لتجاوز هذه المشكلة؟

يمكن تلخيص هذه المنهجية في العمليات التالية:

1- قراءة النص المراد ترجمته قراءة مستفيضة لاستيعاب ما يريد الكاتب تبليغه من أفكار.

2- جرد المصطلحات العلمية التي يحتوي عليها النص.

3- وضع لائحة لتلك التي لا مقابل لها باللغة العربية.

4- التفريق بين المصطلحات التي تشير إلى صور فكرية وتلك التي هي تسميات لأشياء أو لمكونات.

5- تحليل كل مصطلح على حدة تمهيدا لمرحلة الاجتهاد.

وفيما يلي، سنكتفي بالتطرق للعمليات الثلاث الأخيرة من هذه المنهجية، الشيء الذي سيؤدي بنا في أول مرحلة إلى وضع اللائحة الآتية للمصطلحات التي ليست لها مقابلات باللغة العربية:

- Mésenchymateux (Mésenchyme)
- Erythroblaste
- Myéloblaste
- Tissu hématopoïétique (Hématopoïèse)
- Ossification endoconjonctive
- Ossification endochondrale

في مرحلة ثانية، تأتي عملية التفريق بين المصطلحات المعبرة عن صور فكرية والمصطلحات التي سميت بها الأشياء والمكونات، الشيء الذي يؤدي إلى التصنيف التالي:

المصطلحات المعبرة عن صور فكرية	المصطلحات كألفاظ تقنية
Hématopoïèse	Mésenchyme
Ossification endoconjonctive	Erythroblaste
Ossification endochondrale	Myélabloaste

في مرحلة ثالثة، تأتي عملية تحليل المصطلحات أولاً لمعرفة كيف تمت صياغتها في اللغة الأصلية، ثانيا لمعرفة ماهي الصور أو الأفكار التي ترمز لها هذه المصطلحات.

وهكذا وكما سبق الذكر، فإن مصطلح (Mésenchyme) مركب من (Mes) بمعنى وسيط و(Enchym) بمعنى نسيج حيواني أو نباتي. وقد لجأ الكاتب إلى هذا المصطلح ليبين أن الخلايا الأصلية المتواجدة في النخاع الأحمر قبل أن تتحول إلى خلايا نهائية شكلا ووظيفة تطرأ عليها تغييرات. وبعبارة أخرى، فإن ما سماه الكاتب (Mésenchyme) عبارة عن خلايا عابرة تخضع لعدة تغييرات في شكلها وتركيبها لتصبح قادرة على تأدية عمل مّا داخل الجسم. وفي هذه الحالة، يمكن إيجاد مقابل عربي لمصطلح (Mésenchyme) وهو ما يمكن الإشارة إليه بـ «نسيج عابر» أو «نسيج مرحلي» أو «نسيج وسيط» غير أنه بالنسبة للنص الحالي، من الأفضل أن يستعمل مصطلح «نسيج وسيط» لأنه يؤدي المعنى أكثر من الاقتراحين الأول والثاني.

أما بالنسبة لمصطلحي (Erythroblaste) و(Myéloblaste)، فهما كما سبق الذكر يحتويان معا على لفظة (Blast) بمعنى بُرْعُم ولفظتي (Erythr) بمعنى أحمر و(Myel) بمعنى نخاع. والمصطلحان يطلقان معا على الخلايا المنحدرة من النسيج الوسيط المشار إليه أعلاه غير أنها تتميز عن خلايا هذا النسيج بكونها توجد في مرحلة متقدمة من النمو، أي أنها على وشك أن تحول إلى خلايا دموية بصفة نهائية. وقد لجأ الكاتب إلى لفظة (Blast) أي برعم لكون هذا النوع من الخلايا ستتولد عنه الخلايا الدموية. في هذه الحالة، فإن الخلايا المعنية هي الأخرى خلايا مرحلية لكنها تختلف عن خلايا النسيج الوسيط بأنها متقدمة في النمو. وانطلاقا من هذه التوضيحات، يمكن إيجاد مقابلين عربيين

لكل من (Erythroblaste) و(Myéloblaste). بالنسبة للأول، يمكن أن نقول «مولدة حمراء» أو «مولدة الكريات الحمر» وبالنسبة للثاني، يمكن أن نقول «مولدة نخاعية» أو «مولدة الكريات البيض». ويستحسن استعمال الاقتراح الثاني بالنسبة لكل من الحالتين.

أما بالنسبة لمصطلح (Hématopoïèse)، فإنه كما سبق الذكر مركب من (Hemat) بمعنى الدم و(Poies) بمعنى صنع. والمصطلح يطلق على كل المراحل التي تمر منها خلايا النسيج الوسيط بما في ذلك مولدات الكريات الحمر ومولدات الكريات البيض لتتحول في نهاية المطاف إلى خلايا دموية. في هذه الحالة، يمكن إيجاد مقابل عربي لمصطلح (Hématopoïèse) ونقول «تكوين خلايا الدم» أو تكوين الخلايا الدموية. أما مصطلحا (Ossification endochondrale و(Ossification endoconjonctive) فهما يشيران معا إلى الطريقة التي يتم بها التعظم أو تكوين النسيج العظمي. فمصطلح (Endoconjonctive)، كما سبق الذكر، مركب من (Endo) بمعنى بالداخل و(Conjonctive) المشتقة من (Con-junct) بمعنى ضم. وقد لجأ الكاتب لاستعمال هذا المصطلح ليبين أن التعظم يتم انطلاقا من النسيج المحيط بجسم العظم في اتجاه داخل هذا الأخير. في هذه الحالة، يمكن إيجاد مقابل عربي لمصطلح (Endoconjonctive) لنقول «ضامّ داخلي». نفس الشيء يمكن أن يتم بالنسبة لمصطلح (Endochondrale) فنقول «غضروفي داخلي».

وفيما يلي، اقتراح لترجمة النص الأول:

عند الإنسان الراشد، يوجد النخاع **الأحمر** على الخصوص داخل **المادة الاسفنجية** التي يتألف منها **كردوس** العظام الطويلة وكذلك بداخل الأضلاع والقص والأجسام الفقرية.

يتكون النخاع الأحمر من هيكل من **الليفات الضامّة** تتخللها بعض **الخلايا الضامة المتشابكة** التي تشكل شبكة توجد بداخل زرداتها **خلايا تخلقت** انطلاقا من عناصر **نسيجية وسيطة**. وقد خضعت هذه الأخيرة **لانقسام خلوي** نشيط تلاه تخلق أدى إلى تكوين عناصر الدم من **كريات حمر وكريات بيض**

حبيبية. ويمكن القول إن هناك **مولدات الكريات الحمر ومولدات الكريات البيض** التي تظهر وهي في مختلف مراحل نموها. إن النخاع يشكل فعلا أهم **نسيج مكون لخلايا الدم**.

أما **النسيج العظمي**، فإن تكوينه لا يبدأ إلا بعد أن يصل الشخص إلى مرحلة معينة من النمو. فعند الجنين تظهر القطع العظمية الهيكلية التي هي عبارة عن نماذج مصغرة للعظام النهائية على شكل **أغشية ضامّة ليفية** أو على شكل أجزاء **غُضروفية** أو في نفس الوقت على شكل أجزاء غشائية وغضروفية. وهكذا، فإن ما يسمى بتكوين العظام أو التعظم يتمثل في تحول النسيج الغشائي أو النسيج الغضروفي إلى نسيج عظمي. في الحالة الأولى، يتعلق الأمر **بتعظم ضامّ داخلي** الذي يؤدي إلى ظهور **نسيج عظمي ليفي** بينما في الحالة الثانية، يتعلق الأمر **بتعظم غُضروفي داخلي** الذي يؤدي على الخصوص إلى تكوين **نسيج إسفنجي**.

5- معوقات إنتاج المصطلح العلمي العربي

إن ترجمة النصوص العلمية من اللغة الأجنبية (الفرنسية) إلى اللغة العربية ليست بالأمر الهين لكنها في نفس الوقت ليست بالأمر المستحيل. إن الشرط الأساسي الذي بدونه لا يمكن تحقيق هذه الترجمة يتمثل في توفير مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية. وإذا كان العديد من هذه المصطلحات العلمية لها مقابلات باللغة العربية، فإن أعدادا مضاعفة تنتظر أن توجد لها هذه المقابلات. والأسباب التي أدت إلى هذه الوضعية متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

- التقدم السريع والمهول الذي عرفته العلوم والتكنولوجيا وخصوصا ابتداء من القرن التاسع عشر.

- تشعب وتفرع هذه العلوم إلى اختصاصات متناهية الدقة، الشيء الذي أدى إلى إنتاج المئات من المصطلحات الجديدة قد يصعب على العديد من

اللغات استيعابها. والدليل على ذلك أن فرنسا، البلد الذي يعدّ واحدا من أقطاب العلم والتكنولوجيا تجد صعوبة في مسايرة ما تنتجه الدول الانجلوساكسونية من مصطلحات علمية سنويا.

- عدم وجود سياسات وطنية وجهوية وقومية موحدة لمسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي

- عدم وجود خطة عربية موحدة للتصدي لمشكل إنتاج المصطلحات العلمية العربية

- اللجوء إلى تعليم العلوم إما باللغة الفرنسية أو باللغة الإنجليزية في غالبية الجامعات العربية.

- عدم التعريف بالتراث العلمي العربي واستغلاله استغلالا يفيد لإغناء المعاجم العربية المعمول بها حاليا.

وهكذا، فإذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه، فسيعرف الركب العلمي العربي مزيدا من التأخر عن الركب العلمي العالمي وخصوصا أن العلوم الطبيعية بمختلف فروعها عرفت قفزات جبارة أدت إلى تراكم هائل في المعلومات قد يتطلب التكيف معها واستيعابها وامتلاكها وقتا طويلا يعد بعشرات السنين. لابد إذن من بدل أكثر ما يمكن من الجهود للتصدي لهذه المشكلة بكيفية فعالة.

فعلا، لقد بدلت جهود ولا تزال تبدل في مجال إنتاج المصطلح العربي لكنها تضل غير كافية بالمقارنة مع السرعة التي يتم بها هذا الإنتاج على الصعيد العالمي. ويكفي أن نتصفح المجلات والدوريات العلمية المتخصصة لنلاحظ العدد الكبير من المصطلحات الجديدة التي يبتكرها الباحثون للتعبير عمّا جدّ في مجال التفكير العلمي والتكنولوجي.

6- الآفاق

إن لغة كاللغة العربية التي كان لها الفضل في تقدم العلم ونشره في

أرجاء أوروبا لا يمكن أن تصبح غريبة وعاجزة عن مسايرة هذا التقدم. إن اللغة العربية قادرة على رفع التحدي الذي يواجهها لتصبح كما كانت في الماضي لغة تواصل وتفكير علميين، ومن أجل رفع هذا التحدي، لابد من توفير الشروط الآتية:

- الرجوع إلى التراث العلمي العربي لتسخيره كأداة لإنتاج المصطلحات
- تظافر الجهود بين الاخصائيين في العلوم والاخصائيين في اللغة العربية لإيجاد منهجية موحدة لإنتاج المصطلح العلمي.
- تأليف معاجم وكتب علمية عربية
- تشجيع البحث في مجال إنتاج المصطلحات
- بدل جهود من أجل توحيد المصطلحات الموضوعة رهن إشارة مختلف المستعملين.

مصطلحات الرياضيات
من التعريب إلى الترجمة

محمد خرباش

سأحاول في هذه المداخلة المتواضعة أن أسجل بعض الانطباعات حول معجم الرياضيات الذي أعدته وزارة التربية الوطنية، علما بأنني عُينتُ وزميلي الأستاذ عبد الإله المصدق لإعداده والسهر على وضع مصطلحاته وتتبع طبعه، وإخراج رجعته، محاولا التعرض لمختلف المراحل التي قطعها هذا العمل المعجمي الذي رعته وزارة التربية الوطنية بالإشراف والتتبع والتطبيق والذي استغرق إنجازه حوالي ست سنوات من العمل المتواصل وتظافر الجهود، كما أنني سألامس بعض قضايا المصطلح الرياضي كما تمت معالجتها علميا ولغويا في هذا العمل المعجمي. وسأنتهز هذه الفرصة لأتعرض لبعض خصوصيات تدريس الترجمة في المرحلة الثانوية بعد قرار تعريب المواد العلمية بشعبتي العلوم التجريبية والرياضية.

في نهاية السبعينات تقرر تعريب تدريس المواد العلمية: الرياضيات، الفيزياء، الطبيعيات، في جميع مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي واتخذت الاستعدادات لكي يجتاز أول فوج من التلاميذ الباكالوريا المعرّبة في يونيو 1991.

لهذه الغاية تكونت على صعيد وزارة التربية الوطنية لجنة وطنية للبحث في موضوع المصطلحات انبثقت عنها عدة لجان فرعية متخصصة عهد لها

بإعداد معاجم مواد تخصصها، كما عهد إلى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالتنسيق بين مختلف هذه اللجان حرصا على توحيد المصطلح الذي سيتداول، توحيدا أفقيا بين مختلف المواد وعموديا بين مختلف مراحل التعليم، مع الالتزام بتوظيف المصطلح المعتمد في مضامين الكتب المدرسية وفي التبليغ من طرف الأساتذة إبان تلقين موادهم العلمية باللغة العربية.

لابد من الإشارة ولو بعجالة إلى مبررات إعداد هذا المعجم، كغيره من المعاجم الأخرى.

يعلم المتتبعون أن العالم العربي قد اهتم اهتماما بالغا بوضع مقابلات المصطلحات التي وجدت على الساحات العلمية خصوصا بعد أن تفرغت العلوم وتشعبت وتدققت المفاهيم وتعقدت، فتوالت الكلمات بمعدل 50 مصطلحا جديدا في اليوم وبرزت مسألة المصطلحات على جميع مستويات الترجمة وظهرت صعوبات عظيمة في اللغة العربية المعاصرة إزاء اللغة الأجنبية، فزيادة على الثغرات الفاحشة كانت المفردات غير ثابتة فاختلفت الترجمات من عالِم إلى آخر ومن قطر إلى آخر على امتداد الوطن العربي. هكذا أدركت البلاد العربية في الستينات أن لغتها كانت مختلفة في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، وأدركت الحاجة إلى تنسيق جهودها في هذا الميدان، فكان المؤتمر الأول للتعريب الذي عقد في الرباط عام 1961 نقطة انطلاق لنشاط معجمي لم يسبق له مثيل، إلا أن الدفعة الأولى التي أعطاها ذلك المؤتمر تلاشت بالتدريج ولم يعقد المؤتمر الثاني إلا في عام 1973 في الجزائر والمؤتمر الثالث في طرابلس ليبيا 1977.

وقد صدر عن مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي عدة معاجم في إطار تحقيق أهداف، منها:

1- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده:

2- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية في الوطن العربي بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها والتعريف بها.

3- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة.

لقد عقدت آمال كبيرة على هذا المكتب في سبيل إقرار المصطلح العلمي العربي وتوحيده، ومما يؤسف له حقا أن نرى أنّ ما أقره مؤتمر من مؤتمرات التعريب في باب المصطلحات يمحوه أو يغيره المؤتمر الذي يليه، ونلاحظ عدم الالتزام بما أقرته هذه المؤتمرات من طرف الدول العربية عامة ومن طرف خبراء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فيما ألفوه من كتب لتطوير مادة الرياضيات في الوطن العربي.

لقد لاحظنا أن كثيرا من المصطلحات الموجودة في القواميس الأجنبية أو المتداولة في البرامج المغربية لم يَرِد لها مقابل في الموحّد أو في معاجم عربية أخرى، مما جعلنا مقتنعين بأن المعجم الموحد لم يأخذ بعين الاعتبار البرامج والكتب المقررة في مختلف البلاد العربية.

فبرامج الرياضيات في المغرب كانت مختلفة عن نظيراتها المطبقة في المشرق العربي اختلافا يرجع إلى اختيارات تربوية وعلمية ويعود إلى مرجعيات أجنبية وإلى تباين البنى التربوية للأنظمة التعليمية.

وبدافع الغيرة على لغة الضاد، وحتى لا يزداد التفاوت، قررنا أن يكون المعجم الموحد الذي أعدته المنظمة هو المنطلق والأرضية لإنجاز المعجم المغربي الذي تكفلنا بإعداده.

قمنا بدراسة معمقة للموحّد الثلاثي اللغة: العربية - الإنجليزية - الفرنسية، واستنتجنا بغير عناء أن هناك فعلا تشويشا في بعض حقول هذا المعجم وأن المصطلح العربي غير قارّ في ميدان الرياضيات، بينما نجد المصطلح الأجنبي ثابتا ومحددا، والاستقرار كما نعلم أساسي للتواصل والتفاهم عامة، وفي المجال المدرسي خاصة، ووقفنا على عدة أخطاء في الترجمات مردها لعدة أسباب منها:

أولاً: اختلاف المصدر الأجنبي، فهو غالبا ما يكون انجليزيا ونادرا ما يكون فرنسيا.

ثانيا: عدم تحديد المفاهيم الرياضية وتعريفها بدقة.

ثالثا: عدم تفحص.المرادفات العربية المستعملة.

لقد وقفنا على هذه الملاحظات ممارسة، من خلال اطلاعنا على تقارير مؤتمرات التعريب ودراستنا لبعض الكتب المدرسية والمعاجم التي أصدرتها المنظمة ومن خلال مراقبتنا للهيأة المدرّسة المعارة من دول المشرق العربي والوقوف على المصطلحات المستعملة من طرفهم في التدريس بالمعاهد المعربة بمختلف أنحاء المملكة. وقد تأكدنا من ذلك بعد المشاركة في اللقاءات التكوينية التي نظمها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب والتي أطلعنا فيها على منهجيته المتبعة في وضع المصطلحات.

اقتنعنا منذ البداية أننا بصدد عمل يتطلب خبرة وتجربة في علم المصطلحات وأن إعداد المعاجم العلمية يستلزم الإلمام بمنهجيات العلم المعجمي واستعمال تقنيات خاصة وتكنولوجيات متطورة، والتمكن من اللغة العربية والتوفر على معرفة دقيقة وعميقة بقواعدها ومميزاتها وبنيتها العميقة والدراية بأساليب وإمكانيات الخلق والتوليد والإبداع فيها بالإضافة إلى التوفر على المعرفة العلمية المتينة بالمفاهيم الرياضية دون إغفال وسائل العمل كالمعاجم والمجلات العلمية واللغوية اللازمة وفي وقت لم تكن فيه التجهيزات والبرامج المعلوماتية واسعة الانتشار للتفكير في توظيفها.

إن المهمة جسيمة لأنها وطنية تمس تكوين الأجيال وترهنها في لغة علمية وتقنية عربية مشتقة من اللغة العربية الأساسية لتحفظ لها أصالتها وتقتحم بها فروع ومجالات المعرفة المعاصرة.

انطلق إذن إعداد معجم الرياضيات في إطار مخطط تعريب تدريس المواد العلمية باللغة العربية في النظام التربوي المغربي وفق رزمانة مرتبطة بانطلاق تنفيذ المخطط في السنة الدراسية 1978-1979 باعتماد المنهجية التي أقرتها وزارة التربية المبنية أساسا على الازدواجية واستخدام الرموز اللاتينية وكتابة الصيغ العلمية والرياضية من اليسار إلى اليمين.

كان من الضروري أن يكون معجم الرياضيات هو أول عمل معجمي تباشره وزارة التربية الوطنية في سلسلة المعاجم العلمية التي أعدتها، فتعريب مادة الحساب انطلق ابتداء من الأولى ابتدائي ليشمل تعريبها السنة الثالثة ابتدائي التي كانت تدرس بها المادة باللغة الفرنسية، فكان من اللازم أن يكون معجم الرياضيات جاهزا للتداول في ندوات تكوين المفتشين قبل السنة الدراسية 1980-1981 وبين أيدي مؤلفي الكتب المدرسية.

أمام هذا الضغط الزمني كان من اللازم الاقتصار على وضع معجم من الفرنسية إلى العربية نظرا للحاجة الملحة لتحويل المدرسين من الأولى إلى الثانية وإرجاء إعداد معجم الرجعة من العربية إلى الفرنسية، الذي لا تقل أهميته عن الأول، إلى وقت لاحق، هذا بالإضافة إلى إرجاء وضع مجاميع الأسماء ومثنياتها.

كانت أولى الخطوات في المنهجية التي أسسنا عليها هذا العمل المعجمي هي جرد المصطلحات الخاصة بالمادة أفقيا بالنسبة لكل مستوى، وعموديا بالنسبة لمختلف المستويات ولجميع المراحل التعليمية ما قبل العالي.

لم تخلُ عملية الجرد من صعوبات، فهي تتطلب معايير خاصة وتنظيما محكما وتقنيات مضبوطة. إن مفهوم المصطلح في حد ذاته غير محدد تحديدا دقيقا، وهناك مصطلحات مشتركة بين ضروب المعرفة المختلفة، إذ نجد مصطلحات رياضية ذات طبيعة فلسفية أو منطقية أو فيزيائية أو جغرافية... إلخ. ثم إن لكل مجال معرفي لغة خاصة ومفردات ذات دلالة مميزة. فدلالة الكلمة في الرياضيات قد تختلف عن دلالتها في الميادين الأخرى.

كان لابد من استعمال مجدات لتسهيل عملية التصنيف والترتيب المعجمي واختيار طريقة عملية للقيام بمسح لجميع المفردات النوعية المتداولة في تدريس الرياضيات من خلال نصوص الدروس والتمارين الواردة في الكتب المدرسية والكتب الموازية وربما في المجلات والدوريات العلمية المتخصصة.

حاولنا المزج بين البحث في المصطلحات المتداولة والاهتمام بفروع

الرياضيات مثل: المنطق الرياضي والجبر والهندسة والتحليل والاحتمال والإحصاء.

كما اعتمدنا على بعض المعاجم الأجنبية المتخصصة. وهكذا توفر لدينا رصيد مهم من المصطلحات بلغ عددها بين الأصول والتفريعات ما يناهز 4200 مصطلحا، قمنا بترتيبها ترتيبا معجميا وفق ترتيب الحروف اللاتينية المتعارف عليه.

قبل الوصول إلى مرحلة التنسيق مع خبراء معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وعلى رأسهم الأستاذ الأخضر غزال كان علينا اقتراح مقابلات المصطلحات الرياضية التي تم جردها. بالاعتماد على المعجم الموحد للمنظمة الذي أشرنا إليه من قبل وبالعودة إلى الدلالات العلمية للمفردات تمكننا من تصنيف المصطلحات إلى ثلاثة أصناف كبرى:

الصنف الأول: وهو صنف المصطلحات القارة المتعارف عليها والمتداولة بكيفية واسعة دون اختلاف في التأويل، نذكر منها ما يلي:

- absolu - absorbant - addition - algèbre - analyse - angle - anneau - appartenir...
- bipoint - bissectrice...
- carré - centre - cercle - classe - commutatif - complémentaire - condition - cylindre...
- définition - degré - dérivé - diagonal - diamètre - différence - discussion - distance - diviseur - droite...
- égal - ensemble - équation - équilatéral - équivalence - espace - exemple...
- géométrie - groupe
- hauteur - homothètre
- identité - inéquation - intégrale - intérêt - intérieur - isocèle
- libre - logarithme - logique - losange...
- matrice - milieu - mouvement - multiple - multiplication
- négatif - nombre...
- oblique - ordonner - origine...
- paire - parallèle - partie - perpendiculaire - plan - polygône - polygôme - positif - probabilité - pyramide
- question...
- racine - rayon - rectangle - réel - régle - relation - rotation...

- segment - semblable - sinus - solution - somme - suite...
- tangente - théorème - transitivité - triangle - trigonométrie
- union - utiliser
- valeur - variable - vecteur - vitesse - voisinage - volume
- zéro...

الصنف الثاني: وهو يشكل مجموعة من المصطلحات ذات المقابلات «المرتبكة»، بمعنى أن لها أكثر من مرادف واحد في اللغة العربية. ولعل هذا راجع إلى ما اعتمدته المجاميع اللغوية والاتحادات العلمية في الوطن العربي، أو أنها اختلفت باختلاف المؤتمر اللغوي الأجنبي في البلاد العربية الذي نتج عنه اختلاف في المفاهيم والترجمة والتعبير، وهو محصور فيما يترجم عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية لوقوع أكثر البلاد العربية تحت تأثير هاتين اللغتين أو أنه راجع إلى اختلاف المنهجيات في التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات، فبعضها يترجم المصطلح ترجمة يرجع في اختيارها إلى المجامع اللغوية العربية، أو إلى الوضع والتوليد، وبعضها يُعرّب المصطلح الأجنبي تعريبا، أي يبقيه على ما نطق به في أصل لغته مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرفي مقبول في حدود الإمكان وقد تكون مقابلات هاته المصطلحات لا تؤدي المعنى الرياضي المطلوب أو قد اختيرت بكيفية استعجالية لتوفير عناء الاجتهاد الذي يتطلب البحث وكثيرا من الوقت. أو مقابلات وظفت عدة مرات للدلالة على مفهومين رياضيين مختلفين. وكأمثلة على مصطلحات هذه المجموعة نورد ما يلي:

- abscisse - accolades - accumulation - adhérence - adjacent - application (تطبيق – تابع – دالة)

- arbitraire - assemblage - automorphisme - axiome

(بديهية – فرضية – مسلمة – مصادرة – عبارة أولية – عبارة أساسية)

- bicarré - bille - bijection - bimodal - borné...
- cardinal - carte - corollaire - certain - cocyclique - colinéaire combinaison - conique - conjecture - continuité...
- déclinaison - décomposable - décroissant - dénombrement - en déve-

loppement - dualité...

- écart - endomorphisme - énoncé - événement - extremum - extraportation - extension...

- Faute - famille - fonction - fréquence...

- graphe - gravité

- histogramme - hyperbole - hypothèse

- indéfini - indexé - indice - inflexion - invariant - intrinsèque - lemme - limite

- majorant - maximum - minimum - minorant

-orbite - ordonnée - ordinaire - ordinal

- parabole - parallélipède - paramètre - postulat - principal...

- quadrant - quantificateur - quotient...

- raisonnement - rang...

- semi - ouvert - singulier - superposition - succession - symétrie - système...

- uniforme

- variance - vide - vrai

الصنف الثالث: وهي المصطلحات التي لم نجد لها مقابلات عربية فيما هو متوفر ومتداول، أو أنها غير شائعة فيما قبل مرحلة التعليم العالي.

- abus - aléa - alignement - analogie - argument - assertion - axiomatique

- bifocal - bipoint - birapport

- cadran - calque - clan - cocyclique - code - coder - colinéaire - cote - critère

- décoder - dyadique

- effectif

- empirique - épimorphisme - exhaustif

- filtre

-homéomorphisme - hodographe

- idéal - indice - induit - intrinsèque

- juxtaposé

- maximal - mécanisme - mini-géométrie - minimal - muni

- nilpotent - n-uplet

- permis - pondéré - prédécesseur - prédicat - préordre - primitif - propre...

- quadruplet - quarrable - quintuplet
- rectifiable - réferentiel - repérage - repérer - ruban
- schéma - semestre - séparé - signature - simplexe - simultané - singleton
- sondage - spécifique - strict - strictement - successeur - supérieur
- tautologie - triplet
- unitaire - uplet

لقد تطلب منا معالجة الصنفين الثاني والثالث تضافر جهود متواصلة مع خبراء معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. كان علينا دراسة المفردات المقترحة من حيث مصدرها اللغوي ودواعي انتقائها، ومدى تعبيرها عن المعنى المراد في لغتها وصحة اشتقاقها وعلاقتها بألفاظ أخرى تؤدي نفس المعنى، إلى غير ذلك من القضايا المعروفة من طرف المشتغلين بالمعاجم على مختلف أنواعها ومواضيعها.

كانت أكبر الصعوبات التي واجهتنا ونحن نعدّ هذا المعجم هي مشكلة معالجة الفراغات بالدرجة الأولى يليها بعد ذلك في الصعوبة معالجة المفردات التي لها أكثر من مقابل في المعاجم العربية. كانت كلمة abscisse أول كلمة اعترضتنا من النوع الأول إذ لم يكن يرضينا ما وجدناه في الموحد:

الإحداثي الأول abscisse = coordonnée x

إن المرادف «الإحداثي الأول» يطرح عدة قضايا لغوية وعلمية وتربوية، فهو لغويا كلمة مركبة من «الإحداثي» و«الأول» وهو بهذا المعنى يشير بكيفية غير مباشرة إلى الإحداثي الثاني والإحداثي الثالث وربما الإحداثي الرابع والخامس... إلخ. ولو أننا حاولنا ترجمة هذا المصطلح العربي «الإحداثي الأول» إلى الفرنسية لقلنا "première coordonnée" ولما فكرنا في كلمة abscisse في الرجعة من العربية إلى الفرنسية. وهذا يؤكد أهمية الرجعة في العمل المعجمي ودورها في ضبط المصطلح وتفادي الارتباكات وتعدد المصطلحات والتشويش على دقة اللغة. كان من الضروري العودة إلى أصل كلمة "abscisse" فهي حتما ليست في الأصل كلمة فرنسية وهذا ما نجده في معجم "Le Nouveau Petit Robert" ص 8 طبعة 1994.

- abscisse (apsis) n.f. - 1732; lat. abscissa (linéa) “(ligne) coupée” * MATH. Coordonnée * horizentale qui permet de déterminer, avec la coordonnée verticale (ordonnée), la position d’un point dans un plan. Porter une grandeur, en abscisse. Abscisse d’un point sur un axe, d’un espace affine. Abscisse curviligne.

مازلت أذكر رد فعل الأستاذ أحمد الأخضر غزال وهو يسألنا عن المعنى الرياضي للكلمة. ولا أعتقد أن الشرح الرياضي قد استوعبه اللغوي في صيغته العلمية ودقته الرياضية، إلا أن تقريب المفهوم بالمستقيم والعلاقة التقابلية بينه وبين مجموعة الأعداد الحقيقية وأن أي نقطة من المستقيم مرتبطة بعدد حقيقي وحيد وأن نقطتين مختلفتين مرتبطتين بعددين حقيقيين مختلفين. إن هذه المقاربة بالإضافة إلى ماهو وارد في الأصل اللاتيني، لكلمة abscisse أوحت للجنة المكونة من العلميين واللغويين اقتراح كلمة «أُفصول» على وزن «أفعول» اشتقاقا من «فصل»، «يفصل»، «فصلا» التي فيها من الدلالة ما يقربها من كلمة "coupée".

وفي اعتقادي، وهذا ما يتطلب بحثا علميا له علاقة بتاريخ الرياضيات، أن كلمة abscisse لها علاقة بكلمة "coupure" لما لها من ارتباط بإنشاء "Dedekind (1872)" ودراسته حول "Coupures dans l’ensemble Q" التي تؤدي إلى إنشاء الأعداد الحقيقية.

لقد اعتبرنا صيغة «أفعول» التي استعملت في كلمة «أفصول» اجتهادا محمودا تم على منواله نسج مجموعة من الكلمات كما سنلاحظ فيما بعد.

عاشت كلمة أفصول وشاع استعمالها في جميع مراحل التعليم وفي مختلف المواد التعليمية.

انطلاقا من المفهوم الرياضي ومعناه العلمي وظف الاشتقاق بالدرجة الأولى لحل مشكل المفردات الرياضية التي لم تكن مستقرة أو المفردات التي لم تكن لها مرادفات عربية، كما استعملت الصفات بمعنى الأسماء وألصقت ياء التأنيث ببعض المصادر لتصبح أسماء، ووظفت المصادر الصناعية وأسماء الآلة وأسماء المكان، وصيغ المبالغة، والنسبة، والتصغير، وكلها صيغ استعملت

للدلالة على مفاهيم علمية بالإضافة إلى دلالتها اللغوية المشهورة، وكانت النية، كلما أمكن ذلك، على إحياء الرصيد اللغوي القديم في اللغة الرياضية العربية. وفي حالة نادرة جدا استحدثت كلمات جديدة للدلالة على أفعال وأسماء ليس لها مقابل في اللغة العربية ابتكارا أو نحتا.

وفيما يلي نماذج لما ذكرناه آنفا.

1- أمثلة عن توظيف المصدر الصريح مع تأنيث هذه المصادر:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
16	ترتيبة	arrangement
30	تأليفة	combinaison
90	تمهيدة	lemme
131	تبديلة	permutation

مما تجدر الإشارة إليه أن المصطلحات الثلاث: ترتيبة، وتأليفة، وتبديلة هي مفردات من علم الاحتمال وتحمل في صيغها العربية ما يقربها للمعنى الرياضي كالترتيب والتأليف والتبديل.

2- أمثلة عن المصدر الصناعي:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
17	تجميعية	associativité
29	مستقيمية	colinéaire
31	تتامية	complémentarité

وقد استعملت كلمة مستقيمية لاختزال الإصطلاح، على «استقامة واحدة» وقد وردت في المعجم عدة اختزالات من هذا النوع نذكر منها «تآنيا» عوض «في آن واحد».

3- أمثلة عن استعمال اسم الفاعل:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
6	لامّة	accolade
28	مفصلة	charnière
95	كابر	majorant
99	صاغر	minorant
141	قاطع	sécante

4- أمثلة عن استعمال اسم المفعول:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
7	ملحق	adjoint
55	منطوقة	énoncé
95	مكبور	majoré
96	مصفوفة	matrice
99	مصغور	minoré
129	مخموس	quintuplet
130	مجذور	radicande

5- أمثلة عن الستعمال اسم المكان:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
19	مرجح	barycentre
22	محد	borne
24	مربع	cadran
144	مجاب	parcours
154	مخط	tracé

6- أمثلة عن استعمال اسم الآلة:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
5	محساب	abaque
24	محسبة	calculatrice
88	مساعة	jauge
128	مرباع	quadrant
158	مرشحة	filtre

وظفت هذه الاشتقاقات للدلالة على مفاهيم رياضية مختلفة، وهي تشهد على أن الاشتقاق في اللغة العربية من أهم وسائل إغناء هذه اللغة وتطويرها.

7- أمثلة من استعمال الاشتقاق المبتكر «أفعول»:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
5	أفصول	abscisse
24	أنسوخ	calque
37	أسنوب	côte
110	أرتوب	ordonnée
142	أسدوس	semestre
157	أثلوث	trimestre

وهي كلمات أصبحت اليوم متداولة بشكل عاد ومألوف لدى التلاميذ والأساتذة في مختلف مستويات التعليم.

8- استُعْملت اشتقاقات أخرى مبتكرة مثل:

زوى، يزوي، تزوية، وهي مشتقة من الزاوية ص 12

أقطر، يقطر، إقطارا وهي مشتقة من القطر ص 45

مَنظم، يُمَنظم، ممنظم وهي مشتقة من نظام ص 106

أربع، يربع، إرباعا، مربع، مربوع، استرباع، روبعي وهي مشتقة من كلمة الأربعة ص 128 و129

مَعْلم، يُمَعلم، معلمة وهي مشتقة من العلم والعلامة ص 136

9- استعمال الإضافة إلى المثنى:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
21	نِسْبتانية	birapport
21	حدانية	binôme
21	نُقطتانية	bipoint

10- استعمال الإضافة إلى الجمع:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
120	وجوهية	polyèdre
121	حدودية	polynôme

11- أمثلة عن الكلمات العربية القديمة التي أعيد استعمالها:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
21	كلة	bille
38	كربال	crible
54	اهليلج	ellipse
70	تخم	frontière
78	هذلول	hyperbole
88	جدة	jalon
111	شلجم	parabole
130	حطيطة	rabais
139	سفيفة	ruban
140	رشم	schéma
156	دقرانة	treillis
158	احتتان	uniformément

12- أمثلة عن كلمات استحدثت استحداثا

المصطلح الفرنسي	المقابل العربي	الصفحة
codage	اقنان	29
coder	أقن	29
décoder	حَلقن	41
dyadique	إثنادية	51
mécanisme	إوالية	97
code	قنّ	29

تمت معالجة مجموعة من الحقول الدلالية المرتبكة، نذكر من بينها حقلين اثنين، يتكون الحقل الأول من الكلمات التالية:

المصطلح الفرنسي	المقابل العربي	الصفحة
cardinal	رئيسي	25
dénombrable	قابل للتعداد	42
dénombrement	تعداد	42
dénombrer	عدّد	42
nombre	عَدَد	105
numérique	عددي	107
numéro	رقم	107
numérotage	ترقيم	107
numéroté	مرقّم	107
numéroter	رقّم	107
uplet (n-uplet)	وأي	159

ويتكون حقل آخر من الكلمات التالية:

الصفحة	المقابل العربي	المصطلح الفرنسي
128	رباعي الزوايا	quadrangle
128	مرباع	quadrant
128	أربوعي	quadratique
128	استرباع	quadrature
128	رباعي	quadrilatère
128	تربيع	quadrillage
128	ربع	quadriller
128	مربع	quadruple
128	أربع	quadrupler
128	مربوع	quadruplet

كان لابد في معالجة كلمات كل حقل من مراعاتها جملة وتفصيلا مع تحديد الفوارق الخفية بينها واختيار الاشتقاقات المناسبة للمقابلات العربية لسد الفراغات.

كان صدور معجم الرياضيات فرنسي / عربي بمثابة قرار يلزم جميع الفاعلين باستعمال المقابلات العربية الواردة فيه في جميع مستويات التعليم المعربة وفي مختلف مراكز التكوين كمدارس المعلمين والمدارس العليا للأساتذة.

وساعدت الكتب المدرسية لمادة الرياضيات على توحيد لغة التدريس وعلى المساهمة في إرساء لغة الخطاب الرياضي والاتفاق على التعابير والجمل الخاصة التي لم يكن بالإمكان معالجتها بواسطة المعجم فقط. غير أنه سرعان ما تبين أن المرجعية الأساسية للأساتذة في ذلك الوقت هي اللغة الرياضية الفرنسية، واتضح أن النص الرياضي العربي الجديد كان غريبا على أستاذ المادة من حيث مصطلحاته وتعابيره وتصريفاته.

لهذا بدا من الضروري إصدار المعجم العربي / فرنسي لمادة الرياضيات بمجموع الأسماء وعيون مضارعات الأفعال التي لم تكن مدونة في المعجم الأول.

بالإضافة إلى حركة تأليف الكتب المدرسية المعتمدة من طرف وزارة التربية الوطنية، نشطت حركة تأليف الكتب الموازية في جميع المواد العلمية بمختلف مراحل التعليم الابتدائية والإعدادية والثانوية، وظلت كلها حبيسة حل التمارين الداعمة، أو معالجة للامتحانات الدورية أو السنوية ولم نلاحظ شيئا يذكر بالنسبة لترجمة الكتب العلمية ذات الطابع الأكاديمي أو التثقيفي في المجال العلمي يخرج عن الإطار الذي سبق ذكره.

لا يمكن لأي أحد أن ينكر المجهودات الجبارة التي بذلت خلال العقدين الأخيرين في مجال إغناء المصطلح العلمي في التعليم المغربي واستفادة جهات أخرى وطنية وقومية من هذا المجهود، كما لا يمكن لأي أحد أن ينكر بأن اللغة العربية قد استفادت كثيرا من حركة التعريب التي دققت الكثير من المفردات وسدت الكثير من الثغرات.

كان الأمل كبيرا في أن ينضم التعليم العالي بمختلف تخصصاته وتقنياته إلى هذا المجهود لإعطاء الفرصة للفعاليات العلمية المغربية لتقول كلمتها في تطويع اللغة العربية لتصبح أداة من أدوات البحث العلمي.

في منتصف الثمانينات، لوحظت الأفواج الأولى من التلاميذ المعربين تزحف زحفا حثيثا نحو التعليم العالي بخطى ثابتة وهي تتعلم المواد العلمية باللغة العربية. وبدت صعوبات السنة الجامعية 1990-1991 تلوح في الأفق، ووضعت تساؤلات كثيرة حول لغة التدريس وحول مستوى التلاميذ وقدراتهم على التعامل لتيسير اندماج هؤلاء التلاميذ مع الخطاب العلمي بالفرنسية فهما وتعبيرا. إثر ذلك اتخذت عدة إجراءات كان من بينها إدراج تدريس مادة الترجمة في المرحلة الثانوية بشعبتي العلوم التجريبية والعلوم الرياضية.

وتنفيذا لتوصيات الأيام الدراسية حول رفع مستوى تعليم اللغة العربية

واللغات الأجنبية المنعقدة بالرباط أيام 4-5-6 يناير 1989، تقرر إحداث دروس للترجمة في التعليم الثانوي بشعبتي العلوم التجريبية والعلوم الرياضية. سبق للوزارة أن اتخذت إجراء تمهيديا تحسبا لمواجهة هذه الوضعية عندما أقرت إضافة حصة أسبوعية خاصة لكل من أستاذ الرياضيات والفيزياء والطبيعيات تسمى حصة الأنشطة التربوية والتي تم إحداثها بمقتضى المذكرة رقم 126 بتاريخ 3 أكتوبر 1988. اتخذ هذا الإجراء في انتظار تكوين أساتذة مختصين للقيام بتدريس مادة الترجمة.

على إثر تخرج أول فوج من أساتذة الترجمة أصدرت مديرية التعليم الثانوي أول مذكرة حول موضوع تدريس مادة الترجمة تحت رقم 153 بتاريخ 7 غشت 1991 حول تدريس الترجمة مشيرة إلى أهدافها العامة على النحو التالي:

«تسعى مادة الترجمة إلى تعزيز الملكة اللغوية للتلاميذ في اللغة العربية والفرنسية كتابيا وشفويا، وإلى ترسيخ البنيات اللغوية الأساسية، والبنيات اللغوية العلمية في أذهان التلاميذ، وتدعيم قدرتهم على التعامل مع الخطاب العلمي باللغة الفرنسية ليتمكنوا من متابعة دراستهم العليا العلمية والتقنية في ظروف مناسبة».

في إطار الهيكلة الجديدة للتعليم الثانوي التي انطلق تطبيقها في الموسم الدراسي 1994-1995 أدرجت مادة الترجمة من بين المواد المميزة للشعب العلمية الرياضية لتدرس وتقوم في امتحانات الباكالوريا كباقي المواد الأخرى. وفي هذا الصدد وفي أفق تأسيس وتنظيم المادة، أصدرت مديرية التعليم الثانوي في آخر مذكرة لها حول تدريس وتقويم مادة الترجمة تحت رقم 142 بتاريخ 24 يوليوز 1995 تشير في ملحقها إلى الأهداف العامة للترجمة على النحو التالي.

تسعى مادة الترجمة العلمية بالتعليم الثانوي إلى المساهمة في تحقيق الأهداف العامة التالية:

* ترسيخ وتعميق معرفة تلاميذ المرحلة الثانوية بأنساق اللغة العربية وبنياتها بشكل عام،

* تدعيم قدرتهم على التفاعل مع الخطاب العلمي باللغة الفرنسية،

* تعزيز مكتسباتهم في اللغتين العربية والفرنسية كتابيا وشفهيا،

* تمكينهم من أدوات التواصل لإقدارهم على متابعة دراستهم العليا في التخصصات العلمية والتقنية في ظروف مناسبة.

كما يشير نفس الملحق إلى الأهداف النوعية لتدريس مادة الترجمة كما يلي:

يهدف تدريس مادة الترجمة إلى تمكين التلاميذ من:

* اكتساب المبادئ الأولية للترجمة والاستئناس بمنهجيتها تعجيما وتعريبا،

* فهم الخطاب العلمي المكتوب والمسموع باللغة الفرنسية،

* تدعيم كل من مهارتي تلخيص النصوص وتدوين النقط باللغة الفرنسية وإنتاج خطاب علمي بهذه اللغة.

وتحدد هذه التوجيهات مكونات مادة الترجمة على النحو التالي:

أولاً: مكون البحث والتوثيق: ويعتمد على الأنشطة التالية:

- استعمال المعاجم والقواميس

- انتقاء المعلومات من خلال البحث في المجلات والمراجع العلمية

- تدوين النقط وتلخيص النصوص باللغة الفرنسية

ويرمي هذا المكون إلى تحقيق الأهداف الخاصة التالية:

* تدريب التلاميذ على البحث والتوثيق وتدوين النقط وتحليلها وتركيبها،

* دعم كفايات التلاميذ التواصلية كتابيا وشفهيا، وذلك بتمكينهم من إدارة الحوار والمناقشة داخل الفصل،

* خلق مواقف إيجابية وفاعلة لدى التلاميذ عند مواجهتهم لنص علمي دعما لمبدإ التعلم الذاتي،

* جعلهم يستأنسون بأدوات العمل (وثائق علمية، مراجع، مجلات...)،

* اكتسابهم مهارات استثمار المعاجم والقواميس والمراجع.

ثانيا: مكّن معالجة النصوص: ويسعى إلى تحقيق الأهداف الخاصة التالية:

*استئناس التلاميذ بمختلف الخطابات العلمية (الكتابية الشفهية)

* إغناء رصيدهم من المصطلحات العلمية واللغوية،

* تدريبهم على تحليل النصوص والوثائق العلمية في وضعيات تعليمية / تعلمية مختلفة،

* اكسابهم تقنيات اكتشاف المعلومات التي تتضمنها النصوص والوثائق والتعبير عنها كتابة.

ثالثا: مكوّن الترجمة: ويرمي إلى تحقيق الأهداف الخاصة التالية:

* جعل التلميذ قادرا على المرور بسهولة من لغة إلى لغة أخرى،

* إغناء رصيده من المصطلحات العلمية واللغوية،

* جعله يستأنس بمختلف الخطابات العلمية،

* جعله قادرا على التعبير كتابيا وشفهيا باللغتين العربية والفرنسية،

* إطلاعه على الفروق بين الأسلوبين العربي والفرنسي من حيث التركيب،

* إقداره على تحديد مجال النص ونوعه وفهم دلالته،

* جعله يستوعب المصطلحات العلمية الواردة في النص ومقابلاتها في اللغة الأخرى.

وهكذا تصبح مادة الترجمة بهذه الأهداف العامة والنوعية وبأنشطتها وإجراءاتها التربوية أداة ووسيلة تساعد تلاميذ المرحلة الثانوية على التمكن من أنساق اللغتين العربية والفرنسية وتعزيز مكتسباتهم فيها كتابيا وشفهيا ولا تقتصر فقط على التمكن من أدوات وتقنيات التعجيم والتعريب.

جاءت هذه الأهداف والنتيجة رصد وتتبع ومراقبة التجربة التي باشرتها وزارة التربية الوطنية لتيسير إدماج حاملي الباكالوريا المعربة في التعليم العالي لمتابعة دراستهم باللغة الفرنسية في ظروف عادية.

لقد انقلب الوضع رأسا على عقب وبدأت إشكالية تحويل التلاميذ من العربية إلى الفرنسية في وقت لم يُطْو فيه بعد ملف تحويل الأساتذة من الفرنسية إلى العربية.

مارس أساتذة الرياضيات والفيزياء والطبيعيات بالمرحلة الثانوية تدريس «الأنشطة التربوية» في حصة خاصة إضافية أسبوعية لتدريب التلاميذ على توظيف المصطلح العلمي الفرنسي والتعامل معه في نصوص علمية عربية وفرنسية واستعماله في حل التمارين كتابيا وشفهيا.

كونت خلايا جهوية على مستوى الأكاديميات لتتبع هذا النشاط التربوي ومراقبته من مفتشين للغتين الفرنسية والعربية وللمواد العلمية الثلاث بالإضافة إلى خلية مركزية تستثمر التقارير لرصد القضايا التربوية واللغوية والعلمية المرتبطة بهذا النشاط.

عملت الوزارة على تكوين مدرسي مادة الترجمة في المدارس العليا للأساتذة استعدادا لوضع منهاج لتدريسها وتعميما تدريجيا على الصعيد الوطني، لقد بلغ عدد المتخرجين لحد الآن 463 وحسب التوقعات والأرقام المتوفرة حاليا وحسب إسقاطات الخريطة المدرسية وخريطة التكوين فإن تعميم الترجمة على شعبتي العلوم التجريبية والرياضيات سيتحقق بعد سنتين من الآن على أبعد تقرير.

أما التلاميذ فهم يدركون اليوم أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه الترجمة في تقوية قدراتهم وتعزيز تعاملهم مع المواد العلمية باللغتين العربية والفرنسية، وقد ازداد اهتمامهم بها بعد إدخالهم في اختبارات الباكالوريا واحتساب نقطها في المراقبة المستمرة وفي جميع الدورات وفي المعدل العام.

وقبل ختام هذا العرض، لابد من التأكيد على بعض الصعوبات التي لازالت تواجه التربويين في إعداد بعض عناصر منهاج مادة الترجمة.

يبدو أن الصعوبة الأساسية هي صياغة مقرر مدرسي لمادة الترجمة يناسب مستوى التلاميذ المدرسي ويلائم مكتسباتهم اللغوية والعلمية في المرحلة الأساسية. إن تدريس مادة الترجمة ليس غاية في حد ذاته، ومستوى مردودية التلاميذ وعطائهم فيها مرتبط بمدى تمكنهم من اللغتين العربية والفرنسية على السواء، وهناك رصيد مهم من المصطلحات في مجالات علمية متنوعة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والطبيعيات. إن البحث لازال متواصلا لإيجاد صيغة لبرنامج دراسي متوازن وتوزيع أفقي وعمودي لمحتواه يساهم في تحقيق الأهداف العامة والخاصة من تدريسه.

أما الصعوبة الثانية فتكمن في توفير الأدوات والوسائل التي تتطلبها الترجمة كالمعاجم اللغوية والدوريات المتخصصة والوثائق التي يمكن استعمالها في مادة الترجمة. لقد تمكنت لجان متخصصة في إطار الأنشطة التربوية من توفير رصيد مهم من النصوص التي تتناول مجالات علمية وثقافية في مواد الرياضيات والفيزياء والطبيعيات غير أن هذه النصوص لازالت في حاجة إلى دراسة علمية ولغوية وتربوية من طرف مختصين لتبويبها وتصنيفها وتحليلها وتنقيحها والتعليق عليها ودعمها بمختلف العناصر التربوية اللازمة لتحقيق التناسق والتكامل ولصياغتها في كتاب مدرسي يوفر مضمونا يوافق برنامجا تربويا يستوفي متطلبات التدرج والتسلسل المنطقي لمنهجية وتقنية وأسلوب الترجمة العلمية وينسجم مع مقررات المواد العلمية المعنية ويناسب المستوى اللغوي والعلمي للتلاميذ.

ملاحظات حول أهمية إنشاء هيئة وطنية للترجمة العلمية والتقنية

عبد العزيز الوديّي

تقديم:

تتوخّى هذه الملاحظات الأولية، حول الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية أولاً، وحول أهمية وضرورة إنشاء هيئة وطنية عليا للترجمة العلمية والتقنية ثانياً، التأكيد على الأهمية البالغة التي تكتسيها الترجمة العلمية والتقنية سواء بالنسبة إلى مستقبل وتطور اللغة العربية لتكون في مستوى مواجهة التحديات العلمية والتقنية للقرن الواحد والعشرين باعتبارها إحدى المكونات الأساسية لكياننا وهويتنا وثقافتنا العربية الإسلامية من جهة أو بالنسبة إلى مصير وطننا وأجيالنا الصاعدة باعتبارها الضامن لاستمرار وجودنا وثقافتنا كعنصر فاعل في الثقافة الإنسانية من جهة ثانية.

وبديهي أن هذه الملاحظات تنطلق من تجربة ممارسة الترجمة العلمية والتقنية عامة وفي مجال الاتصالات بصفة خاصة، كما تستند إلى رصد وتتبع التطور الهائل الذي شهده ميدان الترجمة العلمية والتقنية خلال العقدين

الأخيرين على الصعيد العالمي، والذي يقابله واقع التخلف وعدم القدرة على مواكبة التحولات العلمية والتقنية الذي يميز الوطن العربي بصفة عامة نتيجة إهمال دور الترجمة العلمية والتقنية كعامل أساسي في التنمية المستدامة... إذن، فهذه الملاحظات لا تدّعي لنفسها الإلمام بكل جوانب هذا الموضوع الشاسع والخطير في نفس الوقت فأحرى أن تشكل تصورا شاملا لمسألة إنشاء هيئة وطنية للترجمة العلمية والتقنية. إنها مجرد معالم على الطريق، تطبعها الذاتية المرتبطة بتجربة الممارسة الترجمية ويطغى عليها طرح الإشكالات التي يثيرها موضوع هذه الندوة العلمية...

لكن المسألة المحورية التي تستهدف هذه الملاحظات إثارة الانتباه إليها هي ضرورة واستعجال الارتقاء بالترجمة العلمية والتقنية ببلادنا من مستوى العمل الفردي والاجتهادات الشخصية، المحمودة على أية حال، إلى مستوى العمل الجماعي المنظم والمؤطر في إطار مؤسسة وطنية تسهر على توجيه نشاط الترجمة العلمية والتقنية بما يخدم تدارك الركب العلمي والتقني. إن الغاية هي الانتقال من الترجمة العلمية والتقنية الفردية غير المنظمة إلى الترجمة العلمية المؤسساتية والمنظمة.

I- حول أهمية الترجمة وضرورتها:

لقد شكلت الترجمة دوما رافدا أساسيا من روافد الثقافة العربية الإسلامية في عصور الازدهار، وتزامن انحصار حركة الترجمة وتراجعها مع مراحل الانحطاط الثقافي والحضاري التي عاشها العالم العربي. ومع البدايات الأولى لعصر النهضة عرفت حركة الترجمة انتعاشا جديدا وإن كان محتشما ومحصورا في بعض بلدان المشرق العربي فضلا عن كونه تركز بشكل أساسي على ترجمة المؤلفات الأدبية.

وفي أوروبا واكب مرحلة النهضة نشاط مكثف لحركة ترجمة المؤلفات والمصنفات العربية إلى اللاتينية وإلى اللغات الأوروبية الأخرى، واستند النهوض الحضاري الأوروبي، جزئيا، إلى ترجمة العلوم العربية والنهل من منابعها.

وهكذا، يمكن القول بأن ازدهار حركات الترجمة العلمية يمهد للنهوض الحضاري ويواكبه في حين يعتبر تراجع هذه الحركات من مؤشرات وعلامات التقهقر والانحطاط الحضاري والثقافي، ولنا في التجربتين العربية والأوروبية خير شاهد على ذلك.

ولئن كانت الترجمة العلمية والتقنية من المقومات الأساسية لكل تقدم حضاري – ثقافي، بل ولكل تنمية مستدامة، فإنها تشكل بالنسبة إلينا ضرورة حضارية ومدخلا لابد منه لتجاوز واقع تخلفنا وتبعيتنا التي أصبحت تكتسي، أكثر فأكثر، طابع التبعية الثقافية والعلمية والتكنولوجية. ذلك أن الدول الصناعية المتقدمة لم تعد تحتاج، إلا في الحالات القصوى، اللجوء إلى تجنيد قواتها العسكرية للسيطرة على البلدان النامية والتحكم في خيراتها ومقدراتها الطبيعية والبشرية، بل يكفيها لضمان بلوغ هذا الهدف الإبقاء على الهوة السحيقة التي تفصل واقع العلوم والتكنولوجيا المتقدمة في بلدانها واحتكارها باعتبارها مصدر الرفاه والقوة والتفوق عن واقع العلوم والتكنولوجيا في البلدان النامية الخاضعة.

وفي عصر الحوسبة والانفجار الإعلامي وتواصل الحضارات، لا يحق لنا أن نبقى في معزل عن هذه التحولات الهائلة التي يشهدها عالمنا. ومن هذا المنطلق ينبغي أن تشكل الترجمة عموما والترجمة العلمية والتقنية خاصة أحد الأسلحة الأساسية التي من شأنها أن تساعدنا على الانخراط في العصر ومن تم الإسهام في إغناء الحضارة العالمية.

قبل التطرق إلى واقع الترجمة عموما والترجمة العلمية والتقنية خاصة في بلدنا، نود طرح بعض الملاحظات المستقاة من ممارسة الترجمة خلال أزيد من عقدين. لقد بدأت تجربتي مع الترجمة كهواية تركزت على نقل عدة نصوص من اللغتين الفرنسية والإسبانية إلى اللغة العربية. وهكذا نقلتُ إلى العربية مجموعة من النصوص في مجال العلوم الإنسانية استنادا إلى معايير اختيار شخصية وانطلاقا من قناعاتي الفكرية، كما تصديتُ لترجمة مؤلفات من الإسبانية والفرنسية إلى اللغة العربية... وخلال هذه التجربة الترجمية كانت

تعترضني مشاكل «عادية» تعزى إلى مسألة عدم توفر المصطلحات وضرورة صياغة النصوص المترجمة صياغة عربية... غير أن العمل في مجال الترجمة العلمية والتقنية من خلال ترجمة الوثائق العلمية والتوصيات الصادرة عن الاتحاد الدولي للاتصالات هي التي شكلت المدخل إلى الوعي بأهمية وخطورة هذا العمل فضلا عن أنها كانت مناسبة للوقوف على المشاكل التي لابد من العمل على تجاوزها حتّى نصبح قادرين على إعمال اللغة العربية في كل المجالات العلمية والتقنية. لقد ولجت ميدان الترجمة العلمية بتوجيه من أستاذي أحمد الأخضر غزال وتحت إشرافه، وإليه يعود الفضل في إدراكي لحقيقة المشاكل والصعوبات التي تنتصب أمام ممارسة الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية. وهي مشاكل تتلخص أساسا في انعدام أو عدم دقة بل وحتى خطأ المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي أحيانا، وفي تعدد هذه المصطلحات وتضاربها أحيانا أخرى. وهو ما يضطر المترجم أحيانا إلى التطاول على مهنة المصطلحي ووضع المصطلح الذي يعتبره صحيحا لسد الثغرة وحل مشكل آني. والحقيقة أن مسألة المصطلحات قد عرفت تقدما كبيرا من خلال الجهود التي بذلت في عدة بلدان عربية ومن المغرب في إطار معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الذي قام بإنتاج عدة معاجم علمية في شتى ميادين المعرفة العلمية والتقنية، لكن عدم تداول المصطلحات أولاً وتعددها في كثير من الحالات ثانيا وعدم مواكبة التطور العلمي والتقني الذي يبرز إلى الوجود، يوميا، عددا لا يحصى من الإنتاجات العلمية والتقنية التي ينبغي إطلاق أسماء ومصطلحات عربية عليها ثالثا... هي العوامل التي تجعل من مهمة ممارسة الترجمة العلمية والتقنية مهمة مضنية وصعبة بل وحتى مستعصية في بعض المجالات... ومع ذلك تبقى مسألة نقل العلوم والتقنيات إلى اللغة العربية ضرورة حضارية ولا مندوحة لنا من الاضطلاع بها اعتبارا لمصيريتها بالنسبة إلى التقدم والتنمية المنشودة إذ تشكل التنمية اللغوية وضمان التواصل المجتمعي باللغة الأم والتواصل مع العالم الخارجي مدخلا لكل تنمية فعلية.

II- واقع الترجمة العلمية والتقنية بالمغرب:

عرف ميدان الترجمة العلمية والتقنية تطورا هائلا خلال العقود الأخيرة، وصاحب التقدم العلمي والتقني انتقال الترجمة من ممارسة سكافية وفردية محدودة نسبيا إلى ممارسة «صناعية» تستعمل أحدث الوسائل التقنية والمعلوماتية. ذلك أن ظهور الترجمة المساعدة بالحاسوب (TAO) الذي استلزمته في بداياته الأولى ضرورات العمل الحربي (الولايات المتحدة في حروبها ببلدان الهند الصينية وخاصة فيتنام) قد أصبح في ظل التكتلات الاقتصادية والسياسية الكبرى التي يشهدها العالم، أحد الأسلحة الاقتصادية والاستراتيجية الأساسية لولوج الأسواق والسيطرة عليها. وهكذا غدت الترجمة العلمية والتقنية، ليس فقط إلى اللغة الأم وإنما أيضا إلى اللغات الأخرى - لغات الأسواق المستهدفة ومن بينها اللغة العربية باعتبار العالم العربي سوقا مهمة تستهلك كميات هائلة من الأسلحة المتطورة! - من مستلزمات ضمان التقدم والازدهار الاقتصادي. ولم تعد الترجمة مسألة / قضية أفراد أو جماعات بل تحولت إلى قضية تهم المجتمع برمته ويوكل أمر القيام بها إلى مؤسسات ومعاهد وطنية ترصد لها ميزانيات مهمة للقيام بالأبحاث النظرية والتطبيقية الضرورية لمسايرة التطورات المتسارعة للعلوم والتقنيات. وغير بعيد عنا، تبذل إسبانيا مجهودات هامة لترجمة كل ماجدّ في عالم العلوم والتقنيات إلى اللغة الإسبانية ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ترجمة أعمال الحاصلين على جوائز نوبل في العلوم إلى اللغة الإسبانية... وإعادة فتح أبواب مدرسة طليطلة للترجمة الذائعة الصيت بعد سقوط الأندلس.!

وبصفة عامة يمكن القول إن قضية الترجمة العلمية والتقنية في البلدان الصناعية المتقدمة تكتسي طابعا مؤسساتيا وأنها أصبحت تعد بحق من المواد الاستراتيجية التي تشكل أحد أسس تقدم وتفوق هذه البلدان وتدعم قوتها التنافسية في السوق العالمية. ولا أدل على الاهتمام التي تحظى به الترجمة العلمية والتقنية (بل والتجارية أيضا) أكثر من توفر كل البلدان الصناعية على مؤسسات ومراكز وطنية تسهر على تخطيط وتوجيه الترجمة العلمية والتقنية.

لكن أين نحن من هذا التطور؟

تعتبر الترجمة في المغرب «مهنة من لا مهنة له» على حد تعبير أحد المترجمين العاملين باليونسكو... وبالفعل، تتميز مهنة الترجمة ببلادنا بالفوضى والتسيب وانعدام أي معايير تنظم ممارستها إلا في مجال محدود ألا وهو مجال الترجمة المحلّفة حيث يعتبر المحلّفون من أعوان القضاء يسري عليهم القانون المنظم للأعوان القضائيين.. وماعدا هذا الميدان الضيق يمكن لأي كان أن يتحول إلى مترجم بين عشية وضحاها!!

وفضلا عن ذلك، كانت مهنة الترجمة كممارسة ثقافية وإبداع فكري مهنة محتقرة ولا يعترف لها بأي دور عدا ترجمة الوثائق العدلية.. غير أن هذا الوضع بدأ يتغير بعد إحداث مدرسة وطنية لتكوين المترجمين وبعد الأهمية التي أصبحت تكتسيها الإنتاجات المترجمة في سوق الكتاب بالمغرب لأسباب لا علاقة لها بقيمة هذه المنتوجات..

ليست الترجمة حديثة العهد بالظهور في المغرب، غير أن تطورها قد صاحب السيطرة الاستعمارية التي كانت في حاجة إلى الترجمة لإحكام قبضتها على البلاد. ومنذ حصول المغرب على الاستقلال عرفت حركة الترجمة بعض الانتعاش النسبي الذي تميز بهيمنة الترجمة الأدبية والفنية من اللغة الفرنسية أساسا ومن اللغة الإسبانية بشكل ثانوي، مع غلبة الترجمات الصحفية. وكانت الترجمة من إنتاج الهواة الذين لا يمتهنون الترجمة حرفة، وأغلبهم من المعلمين والأساتذة المدرسين الذين تكونوا في الغالب، باللغتين العربية والفرنسية أو العربية والإسبانية. ومنذ مطلع السبعينات، وخاصة خلال العقدين الأخيرين، شهدت حركة الترجمة ببلادنا «انتعاشا مهماً يعكسه العدد الهام من الأعمال الترجمية المعروضة في الأسواق. لكن ماهي السمات المميزة لهذه الأعمال؟

* هيمنة الترجمات الأدبية (قصة، رواية، شعر...)، وترجمة العلوم الإنسانية..،

* غلبة الترجمات الصحفية بتصرف (مقالات، استطلاعات...)،
* هيمنة اللغة الفرنسية كلغة مترجم عنها،
* عدم جودة جل الترجمات، وغلبة الترجمة التجارية،
* انعدام أي نقد ترجمي، وهيمنة الجانب النظري المنقول،
* غياب الترجمة العلمية والتقنية.

تلك هي بعض المميزات الأساسية للترجمات المعروضة في السوق الوطنية. وفضلا عن ذلك تتميز ممارسة الترجمة ببلادنا، مع الأسف، بغياب استراتيجية وطنية تحدد الأهداف وتوجه الأعمال في اتجاه يخدم مسايرة بلادنا للتطور العلمي والتقني الذي يعيشه عالمنا. وإذا كان الوعي بأهمية الترجمة قد أصبح يتطور مما أدى إلى إحداث مدرسة وطنية للتكوين في الترجمة هي مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة سنة 1986 وإلى إحداث شُعَب للترجمة في المدارس العليا للأساتذة بتطوان ومكناس... إلخ... فإن هذه المجهودات المهمة لا ترقى إلى ما يتطلبه وضع الترجمة من إنجازات وطنية تعد العدة ليصبح مجال الترجمة العلمية والتقنية من المجالات العلمية التي تضطلع بدور ريادي في التنمية الشاملة المنشودة.

ومما يزيد الطين بلة أن الترجمة بقيت في بلادنا، في غياب سياسة مبرمجة، موكولة للأفراد وخاضعة للمجهودات والاجتهادات الشخصية التي غالبا ما تحكمها القناعات الشخصية و«ضروريات العيش» دون أن تتمكن – وكيف يمكن أن يكون لها ذلك.. وهي مجرد اجتهادات فردية ومعزولة؟ – من الارتقاء إلى النظرة الشمولية التي لا تضمنها إلا البرمجة والتخطيط العلميين ورصد الحاجيات المجتمعية في مجال الترجمة قصد تلبيتها. وطبعا، تبقى كل هذه الجهود بعيدة عن سيل التطور العلمي الذي يعرفه مجال الترجمة، إذ نمارس ترجمة سكافية لا تستغل الإمكانيات التقنية والعلمية التي يوفرها استعمال الحاسوب في مجال الترجمة؛ بل لا نعلم إلا الشيء القليل عن ما يجري في ميدان الترجمة المساعدة بالحاسوب من وإلى اللغة العربية في الوقت الذي تقوم فيه مؤسسات ومعاهد أجنبية بأبحاث وتجارب في هذا الميدان...

ومن جهة أخرى، يشكل تفتح الترجمة بالمغرب، بشكل أحادي الجانب، على الثقافة الفرنسية، - في الوقت الذي تعيش فيه اللغة والثقافة الفرنسية أزمة بشهادة أبنائها، - إحدى السمات السلبية التي تربط حركة الترجمة بثقافة مأزومة ويحرمها من النهل والاستفادة من رصيد ثقافات وحضارات أصبحت تسهم بشكل فعال في إثراء الحضارة الإنسانية. ولذلك ينبغي الاستمرار في الاستفادة من الثقافة والحضارة الفرنسيتين مع الانفتاح أكثر فأكثر على ثقافات وحضارات وتجارب أخرى من شأنها أن ترفد ثقافتنا، خصوصا منها العلمية والتقنية، برصيد حضاري مهم. وعلى الترجمة أن تفتح الأبواب على مصراعيها لتعريب ماجدٌ في كل من البلدان الانجلوسكسونية وإسبانيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى...

إذا كان هذا هو واقع الترجمة بصفة عامة، فما هو وضع الترجمة العلمية والتقنية ببلادنا اليوم؟ في البداية لابد من تسجيل أن الترجمة العلمية والتقنية، وخلافا لما يعتقد، قد شهدت تطورا هائلا في المغرب خلال العقود الأخيرة. كيف ذلك؟ في إطار نشاطها تقوم عدة وزارات ومؤسسات عمومية وشبه عمومية وخاصة بإنجاز دراسات وأبحاث علمية وتقنية واقتصادية في مجالات الماء والبيئة والتعمير والتصحر والاتصالات والطرق... إلخ. وغالبا ما تنجز هذه الدراسات أصلا باللغة الفرنسية، وأحيانا الإنجليزية أو الإسبانية، من طرف خبراء ومستشارين مغاربة أو أجانب، ويتم نقل كل هذه الأبحاث والدراسات، أو جلها، إلى اللغة العربية من طرف مكاتب الترجمة أو المترجمين المستقلين. غير أن هذه الترجمات تبقى حبيسة المكاتب والرفوف ولا يطّلع عليها الجمهور لأنها ليست معدة وموجهة إليه بل هي مخصصة في الغالب للهيئات والمنظمات الدولية عامة ولمؤسسات التمويل العربية والأجنبية بصفة خاصة. ويبقى من المفيد الإطلاع على هذه الترجمات قصد الاستفادة من الجهود المبذولة في نقلها إلى اللغة العربية لا سيما في مجال الإبداع والاجتهاد المصطلحي.

أما الترجمة العلمية والتقنية باعتبارها نقلا للعلوم والتقنيات من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية فتكاد تكون منعدمة ببلادنا، ماعدا بعض المحاولات

اليتيمة التي قام بها بعض الأساتذة في كليات العلوم والطب، والتي تتلخص في ترجمة مجموعة من الدروس والكتب المدرسية إلى اللغة العربية تسهيلا لعملية تلقين المواد العلمية التي يدرسونها ليس إلا. وحسب ما نعلم، فكل الكتب العلمية والتقنية المترجمة إلى العربية والمعروضة في السوق المغربية من إنتاج الأقطار العربية الأخرى ولا نصيب للمترجمين المغاربة فيها. وبهذا الصدد لابد من الاستفادة من الجهود التي بذلتها بعض الأقطار العربية في هذا المجال والتي تشكل رصيدا يمكن أن يسند تجربتنا في ميدان الترجمة العلمية والتقنية.

لكن كل هذه السلبيات لا ينبغي أن تحجب أن بلادنا تتوفر على الإمكانيات والموارد والكفاءات العلمية القادرة على النهوض بمهام الترجمة العلمية في ظل سياسة وطنية للنهوض بهذا المجال. ولقد استطاع المغرب أن يوفر خلال السنوات الأخيرة الدعامتين الأساسيتين لكل ترجمة علمية وتقنية وهما:

* معهد الدراسات والأبحاث للتعريب التابع لجامعة محمد الخامس بالرباط،

* مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة التابعة لجامعة عبد المالك السعدي.

ذلك أن معهد الدراسات والأبحاث للتعريب قد استطاع أن يبلور ويراكم كميات هائلة من المصطلحات العلمية والتقنية وأن يكوّن مجموعة من المصطلحيين والمعجميين الذين ينبغي الاستفادة من خبراتهم وكفاءاتهم وتوظيفها في مجال الترجمة العلمية والتقنية. وهكذا يشكل معهد الدراسات رصيدا مصطلحيا يمكن الانطلاق منه وتطويره اعتمادا على أحدث الوسائل والأدوات العلمية والمعلومياتية...

أما مدرسة الملك فهد العليا للترجمة فقد تمكنت من تخريج عدة أفواج من المترجمين المتخصصين في الترجمة التحريرية من المستوى الممتاز، ولا أدل على

ذلك أكثر من نجاحهم في امتحان الأمم المتحدة للترجمة وتوظيفهم في عدة مناصب في داخل المغرب وخارجه. ورغم عدم تخصص هؤلاء الخريجين في الترجمة العلمية والتقنية فهم يشكلون الموارد البشرية الأساسية التي يمكنها أن تضطلع بمهام الترجمة العلمية والتقنية ببلادنا. وحتى ولو تطلب ذلك استكمال تكوينهم في المجالات العلمية والتقنية يبقى هؤلاء الخريجون الفئة المؤهلة أكثر للقيام بهذه المهمة النبيلة والمضنية في نفس الوقت.

وهكذا تتوفر بلادنا على العنصر البشري الحاسم في نجاح كل نشاط ترجمي من جهة (خريجو مدرسة الملك فهد العليا للترجمة + المصطلحيين والمعجميين العاملين بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب) وعلى رصيد من المواد المصطلحية والمعجمية العربية التي بلورها هذا المعهد الأخير والتي تشكل عدة أولية للمترجمين في مجال العلوم والتقنيات من جهة أخرى.

III- في ضرورة إنشاء هيئة وطنية للترجمة العلمية والتقنية:

في ظل التطورات والتحولات اليومية التي يشهدها العالم في مختلف مجالات العلوم والتقنيات، واعتبارا لضرورة مسايرة اللغة العربية لهذه التطورات والتحولات وحيث أن الترجمة العلمية والتقنية هي سبيلنا الوحيد لتدارك الركب واستيعاب العلوم والتقنيات وتوطينها؛ لكل هذه الاعتبارات بات من الضروري والملح، بل ومن المصيري، بالنسبة إلينا كأمة تطمع إلى الانخراط في العصر ومواكبة وتيرة تطوره المتسارع إحداث هيئة وطنية عليا للترجمة العلمية والتقنية.

ويعهد إليها القيام بمهام تخطيط وتوجيه الترجمات العلمية والتقنية والإشراف على إنجازها ومراقبة جودتها وعلميتها. لكن كيف ذلك؟ ثم ماذا نترجم ولمن نترجم ومن يترجم؟...

أولا، ليست الترجمة ترفا فكريا بل ضرورة حضارية كما يشهد التاريخ على ذلك، غير أن أوضاعنا من جهة ومستلزمات وأولويات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبشرية من جهة ثانية تقتضي تكريس كل الجهود للقيام، في هذا

المجال، بالترجمات العلمية والتقنية باعتبارها ضرورة حياتية. إن الترجمة في هذه المرحلة لا يسوغ أن تكون إلا علمية وتقنية وظيفية وتلك هي المهمة التي يجب أن تكرس لها الهيئة الوطنية للترجمة العلمية والتقنية جهودها. أما الترجمة الأدبية وفي مجال العلوم الإنسانية عموما فتبقى في المرحلة الراهنة متروكة لجهود ومجهودات الأغراض والمؤسسات الخاصة...

ماذا نترجم في المجال العلمي والتقني؟ إن الإجابة عن هذا السؤال من أصعب المهام المطروحة على الهيئة الوطنية العليا للترجمة العلمية والتقنية، ولا يمكنها، بل يستحيل عليها، الانفراد بالجواب عليه. ذلك أن اقتراح الأعمال للترجمة يقتضي رصد ومعرفة كل ما أنجز في هذا المجال على صعيد كل الأقطار العربية وعلى مستوى الهيئات والمؤسسات الدولية والعربية والجهوية بل وحتى من طرف بعض البلدان الغربية أولاً، ثم القيام ببحث وطني يكون الهدف منه هو معرفة الحاجيات على مستوى مختلف التخصصات والقطاعات مع إعطاء أهمية خاصة للتعليم باعتبار الترجمة العلمية والتقنية مسألة تربوية وتعليمية بالدرجة الأولى ثانيا، الإطلاع على الإنتاجات العلمية والتقنية العالمية حسب العلوم والتقنيات ثالثا. وانطلاقا من هذه العناصر الثلاثة يمكن عندئذ الشروع في الترجمات العلمية والتقنية التي تستجيب للحاجيات الآنية والمستقبلية لمجتمعنا.

ولمن نترجم؟ إن اعتبار مسألة الترجمة العلمية والتقنية مسألة تربوية وتعليمية بالدرجة الأولى يفرض بالضرورة العمل أولاً على تلبية الحاجيات الملحة لقطاع التعليم، بمختلف أسلاكه، في مجال ترجمة أمهات الكتب والمراجع التي من شأنها أن تساعد على تحسين مردودية التعليم والرفع من مستواه والمساهمة في إخراجه من الوضع المتردي الذي آل إليه. غير أن ذلك لا يعني عدم الاهتمام بالقطاعات الأخرى وعدم الإسهام في تعميم الثقافة العلمية والتقنية.

أما مسألة من يترجم؟ فقد تمت الإجابة عنها في الفقرات السابقة حيث أوضحنا أن أطر معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في مجال المصطلحات

والمعجميات من جهة وخريجي مدرسة الملك فهد العليا للترجمة من جهة ثانية يمكنهم تشكيل النواة الأولى التي يعهد إليها القيام بمهمة الترجمة العلمية والتقنية. لكن مع اعتبار ثنائية المتخصص والمترجم ضرورية كمبدأ مؤسس لكل فعل ترجمي في مجال العلوم والتقنيات.

واعتبارا لاهتمامات واختصاصات أكاديمية المملكة المغربية ولتجربة العديد من البلدان العربية وغير العربية التي تقوم فيها الأكاديميات الوطنية بمهام الترجمة العلمية والتقنية، قد يكون من المفيد ومن الإيجابي إحداث هذه الهيئة الوطنية للترجمة العلمية والتقنية في إطار أكاديمية المملكة المغربية وتحديدا في إطار لجنة اللغة العربية التابعة للأكاديمية باعتبارها الإطار الأكاديمي الأكثر ارتباطا بقضايا ومشاكل اللغة العربية.

ويقتضي إنشاء هذه الهيئة اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير التنظيمية والمؤسساتية والبشرية والمادية قصد ضمان نجاح الهيئة الوطنية للترجمة العلمية والتقنية في القيام بمهامها. وللتحضير لذلك من الممكن تكوين فريق عمل يسهر على وضع خطة أولية لإحداث هذه الهيئة بتعاون مع كل المؤسسات والهيئات الوطنية المعنية ومع الاستفادة من التنسيق مع المنظمات والهيئات العربية والدولية التي تعمل في هذا المجال.

أطروحة الاستغناء عن الترجمة العلمية بلغة علمية عالمية

عبد المجيد مزيان

يقول عالم اللسنيات «رومان جاكوبسون» في محاولته التصنيفية لوظائف الكلام: «إن اللغات لا تختلف باختلاف طاقاتها التعبيرية، بقدر ما تختلف باختلاف ما يجب أن تعبر عنه». وذلك لأن كل لغة تستطيع، في نظره، أن تعبر عن كل شيء، رغم تفاوت الاقتصاد في التعبير؛ لكن الهدف من هذا التعبير هو المسألة الأساسية بالنسبة لكل لغة. من هنا يقول جاكوبسون بأنه «من الممكن ترجمة أي كتاب في الفيزياء النووية إلى لغة البَمْبارَة أو لغة الفُولاَن، شريطة القيام بالمجهود اللسْني المطلوب». لكن ماهو الهدف من هذه الترجمة العلمية، إذا كان المتكلمون بهاتين اللغتين الإفريقيتين لا يستعملون في دراستهم وفي نظامهم التعليمي العلمي إلا الفرنسية أو الإنجليزية؟

إن المهتمين بالترجمة العلمية إلى مختلف اللغات القومية، كما هو الشأن بالنسبة للعربية، تعترضهم في كل مرة مسألة الهدف، كما يشير إليها علماء اللسنيات. أو نقول بتعبير مبسط، إن الإرادة السياسية في التعليم والبحث والإنتاج العلمي باللغة القومية، مسألة أساسية لا يمكن تجاوزها، فمتى حصلت هذه الإرادة حصل الاجتهاد في الترجمة، وفي معالجة قضية المصطلحات، بكل ما تتطلبه من نقل، أو بحث في التراث، أو اختراع، أو تنسيق؛ وذلك لأن الهدف

الذي هو التعليم والدراسة باللغة القومية قد حصل ذهنيا وعلميا عند كافة العلماء.

لكن كثافة الإنتاج العلمي والتقني، وأهمية الاكتشافات، بما تتطلبه من وضع للمصطلحات، في البلاد السريعة النمو، وعدم القدرة على مسايرة هذا التقدم في البلاد المتخلفة علميا، قد أدى إلى التفاوت الكبير بين العالمين.

ولا يمكن التغلب على هذا التفاوت بمحض النقل بالوسائل التقليدية التي وقع العمل بها حتى الآن.

وإنه لمن السهل، في هذه الوضعية، أن يقع الاستسلام إلى أطروحة الاكتفاء بلغة علمية واحدة، وهي اللغة الإنجليزية، التي صارت اللغة العالمية في الميدان العلمي، وذلك للأسباب الآتية:

1- لأنها لغة العلم والبحث والإنتاج بالنسبة لأغلب النخب من العلماء في الدول العظمى.

2- لأن الدول الغربية الصغرى اعتمدت هذه اللغة لغة للتعليم العلمي، والبحث، وتبادل المعارف.

3- لأنها تعتبر منذ نصف قرن اللغة العالمية التي لا يمكن منافستها في العلوم والتقنيات.

4- لأن العلماء المنتجين الذين يصدرون أعمالهم باللغة الإنجليزية، سواء كانوا من المتكلمين بها أصلا، أو من المنتمين إلى لغات أوروبية أخرى، يكونون الأغلبية من علماء العالم.

5- لأن ما يمكن نقله من التراث العلمي عن الإنجليزية يفوق الحصر، بينما يعتبر التراث العلمي في اللغات الأخرى محدودا نسبيا.

ويقول المؤيدون لأطروحة اعتماد اللغة الإنجليزية لغة علمية عالمية، بأن تعلم هذه اللغة عند كل فرد من العلماء والباحثين والطلبة الناطقين باللغات الأخرى قد أصبح فرضا وحاصلا، في أغلب الأحوال. فهي إذا، بحكم الواقع، لغة العلم العالمية في هذا العصر، كما أن اللغة اللاتينية كانت لغة العلم في

أوروبا، واللغة العربية لغة العلوم، بالنسبة لجميع المسلمين، في العصر الوسيط.

فما هي الفائدة من الترجمة العلمية، إذا وقع التسليم بمبدإ اعتماد لغة عالمية، إما أن تكون هي اللغة التي فرضها الواقع، وإما أن تكون هي اللغة المتفق عليها؟

يجرنا هذا السؤال إلى التطرق لعدة قضايا، كلها متعلقة بوجوب الترجمة العلمية أو الاستغناء عنها، بالنظر إلى الفوائد المنتظرة من أحد الموقفين. إن اللغة العلمية العالمية المثالية لا يمكن إلا أن تكون لغة مصطنعة تصطلح عليها نخب العالم المتخصصة في مختلف العلوم. ومثال الصيغ الرياضية المعبرة عن الفكر دون الاحتياج إلى أساس لغوي قومي لما يقارب هذا التعبير العلمي العالمي.

لكن العلوم الوضعية الأخرى، بما فيها الفيزياء والكيمياء، وإن كانت كثيرة الاعتماد على الصيغ، لازالت محتاجة في جل تعبيراتها إلى المقال اللغوي. وسيبقى هذا المقال اللغوي أساس تبليغ المعارف في كل الأنظمة التعليمية. وليس من السهل أن يستبدل النظام التعليمي القومي بنظام مبني على لغة علمية لها مميزاتها القومية هي الأخرى. وإذا نظرنا في هذه المرحلة التاريخية إلى أوضاع اللغات التي لها نشاط علمي مكثف مثل الألمانية والفرنسية، فإنها كلفات قومية قوية التمسك باستقلاليتها عن أي عالمية تنافس عالميتها الخاصة بها.

من هنا تعترضنا مسألة نسبية العالمية، لأنها تطرح على جميع الأنظمة التعليمية في عالمنا الحاضر.

يجب في البداية أن يقع التفريق بين العالمية والهيمنة التاريخية والسياسية. نقول مثلا عن أوضاع تعليمنا العلمي بالمغرب العربي بأنه لا يزال متمسكا، إلى أجل ما، باللغة الفرنسية، بصفتها لغة مهيمنة، كما أن المشرق العربي يخضع لنفس الوضعية بالنسبة للإنجليزية.

فواقع الهيمنة في هذه الظروف التاريخية والسياسية، والمرحلية فيما

نظن، هو واقع وراثة الاستعمار. وكثيرا ما يقدم أنصار استمرارية هذه الأوضاع حججا عقلانية عن فعالية الأخذ بأداة المعرفة الجاهزة، وسهولة التبادل. لكن واقع التعايش اللغوي، في مثل هذه الظروف، يتعدى العقلانية الظاهرة، إلى المشاعر القومية والفعالة، وأهمها المشاعر الوطنية، والانتساب الحضاري الذي تحتل فيه اللغة مكانة محورية لا يمكن تجاوزها.

هذا ولا يمكن التغافل عن ظاهرة تفتق ضمير القوميات في أواخر هذا القرن. وإن أهم ما تنعت به هذه القوميات نفسها وتحدد به هويتها وتميزها، يرجع أصلا إلى اللغة بمحتوياتها الثقافية. ولا توجد في عالم اليوم قومية تقنع بانحصار نشاطها في الثقافات الشعبية. بل إن النزوع إلى احتواء الثقافة العلمية، مهما كلف ذلك من جهود أكاديمية ووقت، أصبح هدفا تشترك فيه جميع القوميات، وإذا كانت بعض القوميات الصغرى مقتنعة مرحليا باعتماد لغة علمية عالمية، يفرضها الواقع، فإن القوميات الكبرى، وفي العالم النامي على الخصوص، لم تتخل عن المنافسة لاكتساب مكانة تؤهلها للاستغناء بعالميتها الخاصة عن العالمية الإنجليزية.

فالفرنكوفونية تناضل بكل وسائلها السياسية للمحافظة على مكانتها في الرحاب الجغرافية التي ترسخت فيها منذ القرن الماضي، وربما كانت تطمح إلى كسب مجالات جديدة من خلال مؤهلاتها الثقافية والحضارية.

ولازالت الجرمانوفونية تقوي مكاسبها، خارج ألمانيا، خصوصا أن مجالها الحضاري والعلمي قادر على منافسة الإنجليزية. ولا يرى النمساويون، ولا السويسريون الناطقون بالألمانية بديلا عن هذه اللغة كلغة علم راقية.

ويمكن أن يذكر طموح القوميات الإسبانية والروسية إلى البقاء في المكانة العالمية التي فرضها الواقع السياسي - الجغرافي منذ قرون.

من أجل كل هذا، ورغم اقتناع الكثير من العلماء المنتسبين إلى القوميات القليلة الآثار العلمية بعالمية اللغة الإنجليزية، فإن هذه العالمية تبقى، كما أشرنا إليه، نسبية ومرحلية، بسبب قدرات لغات علمية أخرى على التأثير المتزايد، ما دامت متمسكة بعالميتها الخاصة بها.

نتطرق بعد هذا التقديم المتعلق بمفهوم اللغة العلمية العالمية إلى أوضاع اللغة العربية في هذا المجال.

ننبه في البداية إلى أن النقاش الذي يدور في الموضوع، منذ أواسط القرن الماضي، قد تشعب إلى العديد من الآراء المتضاربة. وقد أصبح الكثير منها قليل الفائدة بالنسبة لمقتضيات العصر الذي يتطلب التزام الأمم الصغرى بقواعد النمو السريع المتضمن الاكتساب السريع للعلوم والتقنيات. وإذا كان لهذا الواقع عقلانيته، كما أشير إليه سابقا، فإن المشاعر القومية لها تأثيرها على الواقع.

وإذا ما انطلقنا من القاعدة التي تقول بأن اللغة العربية لها عالميتها الخاصة بها، رغم التأخر المسجل في ميدان العلوم، إنتاجا، ونقلا، وتكوينا للرصيد الاصطلاحي، فإن حقيقة هذه العالمية تنبني على أساسين:

فالأساس الأول مرده إلى اتساع آثار اللغة العربية خارج المجال الجغرافي العربي.

أما الأساس الثاني فيرجع إلى تاريخ الثقافة الإسلامية بمعناه الأوسع، مع مكانة اللغة العربية في هذه الثقافة، بكل ما حملته من فكر وعلوم.

إذا قلنا، من الوجهة التاريخية، بأن اللغة العربية لغة علمية، فمعنى هذا أن اللغة العربية تطورت، في مراحل مختلفة من التاريخ، من لغة آداب ومعارف دينية إلى لغة زاخرة بالإنتاج العلمي المتعدد التخصصات. وكما أنها نقلت عن اللغات الأخرى، فإن لغات مختلفة، مثل اللاتينية والعبرية، قد نقلت عنها إنتاجها العلمي. فهي مؤهلة بسبب هذه المكتسبات، إلى احتواء كل علم ممكن حاضرا ومستقبلا. ولا يتصور اعتبار العوائق الحاضرة حاجزا في طريق التطور العلمي السريع للغة العربية.

ثم إننا إذا نظرنا إلى اللغات الإسلامية التي وصلت إلى مستوى التعبير العلمي، مثل الفارسية والتركية القديمة، أي تركية السلجوقيين والعثمانيين، والأردو، فإن مصطلحات هذه اللغات في ميدان العلوم هي في أغلبها

مصطلحات عربية؛ هذا بالإضافة إلى أن علماء الأمم الإسلامية كثيرا ما كانوا يختارون اللغة العربية لمؤلفاتهم العلمية.

لكن هذه المؤهلات الموروثة، وهذا التأثير العالمي، لا يمنع بعض المحللين من تصنيف اللغة العربية ضمن اللغات التي تتقلص عالميتها تدريجيا، كما أن عالمية اللاتينية، في نظرهم، تقلصت منذ القرن السادس عشر لفائدة اللغات القومية، حتى أصبحت مجرد لغة تراثية ثقافيا، ولغة ميتة بالنسبة للاستعمال. وكثيرا ما يستدلون على تقلص عالمية اللغة العربية، بإرادة الشعوب الإسلامية في تلقيح لغاتها بالمصطلحات والتراكيب الأوروبية.

هذا ويمكن لمؤرخي اللغة العربية أن يدركوا مدى أهمية العمليتين الخاصتين بالانسلاخ عن العربية في السياستين الشهيرتين اللتين هما عمليتا «التتريك» و«الترويس».

يقال باختصار عن عملية «التتريك» بأنها إرادة سياسية وثقافية صاحبت بروز الوطنية التركية ابتداء من عشرينيات هذا القرن، وكان اجتهادها في التخلص من آثار اللغة العربية متواصلا إلى درجة ابتعادها عن العثمانية ابتعادا قد يعتبر تغييرا في طبيعتها وانتقالا مكثفا إلى «التغريب».

ولقد انكبت الأكاديميات التركية، منذ العشرينات، وبأمر من السلطة الكمالية، على نقل هذه اللغة من مميزاتها الإسلامية بالرجوع إلى أصلين: أصل آسيوي أو يغورو - تركستاني، وأصل أوروبي يوناني - لاتيني. ووقع بالطبع تغليب الأصل الأوروبي في آخر الأمر، لما فيه من فوائد علمية وفوائد سرعة النقل على الخصوص.

وكثيرا ما كانت تكتسي هذه العملية اللغوية التحويلية صفات إيديولوجية، كان لها بعض التأثير حتى داخل البلاد العربية؛ فسميت بالشعوبيات الجديدة التي تدعو إلى التمسك بالعاميات المتقاطعة، وتناسي العربية الجامعة، واعتماد الحرف اللاتيني، والجهار أحيانا بأنه لا مفر من تصنيف اللغة العربية لغة ميتة، كما هو الشأن بالنسبة للاتينية. والكتابات في هذه المواضيع كثيرة منذ بداية

الثلاثينات، ولا زالت حتى الآن تصاحب بناء القوميات الجديدة في مختلف الجهات.

أما «الترويس»، الذي وقع تطبيقه بالقوة والإرادة السياسية للسلطات السوفياتية، فإنه قد حقق القطيعة مع العربية، باستبدال عالميتها الإسلامية بالعالمية الروسية. وربما كانت أكثر عنفا من «التتريك» في أحوال نقل الشعوب وتذويب هويتها والنزول بها إلى مستوى الأقليات المستضعفة التي لا مفر لها من الإندماج في البيئة السوفياتية. وهكذا تحولت أغلبية اللغات الإسلامية في هذه المناطق عن أصولها وفقدت صلاتها مع منابعها الثقافية.

لكن الأوضاع الآن في تحول، وقد بدأنا نشاهد، بعد الاستقلال أو المطالبة بالاستقلال في هذه المناطق، بعض الرجوع إلى الأصول الإسلامية المفقودة. ولازالت هذه النزوعات، في طورها الأول، متراجحة بين القوميات والعالمية الإسلامية، مما يطرح قضية التخلص من الآثار الروسية القوية التوغل، وإعادة المكانة للغات ذات الأصول التركية أو الفارسية بعلاقاتها العربية.

وإذا كانت السياسة التركية بمضامينها الكمالية كثيرة الأنشطة من أجل تكتل الشعوب التركوفونية في جبهة ثقافية لها عالميتها، فإن عالمية اللغة العربية لا تجد لها حتى اليوم أي منهج سياسي ثقافي باستثناء تلك الدعوة التلقائية إلى إسلام شعبي متقلص الآفاق الثقافية، وذلك انطلاقا من الجهات المجاورة لأفغانستان وإيران وباكستان.

لكن استرجاع اللغة العربية عالميتها المفقودة في هذه المناطق قد يستغني عن أي تخطيط سياسي، ثقافي عربي، في حالة ظهور نهضة فكرية إسلامية، كما تنبئ به بعض الأحداث المعاصرة.

ولا ننسى مع كل هذا أن المجالات الثقافية الإسلامية الكبرى في آسيا، وهي المجال الماليزي الواسع، ومجال الأوردو، ومجال الفارسية، لازالت متمسكة بعالمية اللغة العربية، ولم تسلط عليها، رغم تأكيد القوميات، سياسات القطيعة

مع العربية، أو الانسلاخ منها بقوة كما وقع ذلك بالنسبة لسياسة التتريك.

وتبقى المجالات الثقافية الإفريقية شرقا وغربا، من السواحيلي إلى الْوُلوفْ، قابلة للانفتاح المتزايد على العربية، بسبب انتشار الثقافة الإسلامية. يستخلص من هذه النظرة الإجمالية عن عالمية اللغة العربية وارتباطها بالإسلام، بأنها عالمية قد تقلصت في بدايات هذا القرن، لكنها في طور التأكد والاتساع. وإذا كانت عالمية نسبية فإنها شبيهة بنسبية المجال الفرنكوفوني أو الإسبانوفوني.

ولا يمكن بهذا المنظار أن يقال باستغناء الأمة العربية عن الترجمة العلمية، ولا باعتماد اللغة الإنجليزية أو أي لغة أخرى لغة علمية عالمية، وذلك لأن المؤهلات والنقائص التي تتصف بها العربية هي تقريبا نفس المؤهلات والنقائص التي تتميز بها اللغات الأوروبية التي تنازع الإنجليزية عالميتها. وإذا مارفعت عقد الهيمنة السياسية عن مفهوم العالمية، فإنه يمكن مناقشة مسألة الترجمة العلمية والتعليم العلمي بموضوعية.

ثم إذا حاولنا إحصاء المشاكل التي تعاني منها الترجمة العلمية إلى العربية، فإننا نجدها متعلقة إجمالا بقضايا التنمية، مهما كانت تفرعاتها التقنية. ولابد من التعرض في كل جزئيات هذه المشاكل إلى المقارنة مع اللغات الأوروبية الحاملة للعلوم، وذلك لإدراك العجز، والوعي بمجهود النهوض بالعربية إلى قدرات علمية جديدة.

لقد تعودنا أن نجعل مسألة المصطلحات مسألة محورية، وكلما وقع الإلحاح على سياسة التعليم بالعربية، كانت قضية المصطلحات أول ما يطرح على هيئاتنا المكلفة بتعريب العلوم.

يقال، من ناحية الكم، إن المصطلحات الجديدة في مختلف العلوم تعد بمئات الآلاف، ولا يمكن لمجهودات التعريب أن تحقق أكثر من عُشُر حاجيات الباحثين، مما يجعلهم يقتنعون بالمحافظة على اللغة الإنجليزية في معاملتهم.

فالباحثون العرب كثيرا ما يجعلون أنفسهم مسبقا خارج المجال اللغوي

العربي، ويمارسون شيئا فشيئا قطيعة نهائية مع الهيئات المكلفة بالتعريب. ولا يمكن استدراك هذا الانحراف إلا باعتماد سياسة قومية شاملة لا يمكن للأفراد أو النخب أن تتجنب ملزماتها، وذلك انطلاقا من التعليم العلمي باللغة العربية، الذي يتولد عنه حتما التأليف والبحث والترجمة باللغة القومية.

وأما قضية نحت المصطلحات فإنها ليست من الصعوبات الكبرى التي يتصورها بعض الباحثين. ذلك لأن هذا المجال صار مشتركا بين جميع اللغات الأوروبية، وهو، منذ النهضة العلمية الغربية، يرجع إلى الأصلين اليوناني اللاتيني.

ومهما يُقال عن تباين البنيات اللغوية بين ما يسمى باللغات السامية واللغات الأوروبية، فإن التقاء هذه اللغات في مجال الحكمة والعلوم، قد وقع في العديد من المناسبات. وقع بين الفينيقية واليونانية زمن كانت الفينيقية لغة الهيمنة والتأثير العالمي في الكتابة والحساب والمعاملات التجارية.

ثم نقلت علوم اليونان إلى السريانية في أزمنة تأثير الفكر اليوناني على أمم الشرق بالشام والعراق، مباشرة بعد فتوحات الإسكندر، التي أحدثت بقوة عالمية الفكرين الفلسفي والعلمي، ثم بعد انتشار المسيحية النسطورية في العراق، بكل ما حققته من انفتاح على الحكمة اليونانية التي انتقلت تدريجيا إلى الحضارة العربية الإسلامية.

فالانصهارات التي وقعت في العالم الفارسي، ثم العالم العربي المتحضر بالعراق والشام قبل الإسلام، قد مهد الأرضية الاجتماعية التي وقع فيها الالتقاء والتداخل السريع بين الحضارتين والثقافتين العربية واليونانية بمحتوياتهما اللغوية.

ولا يمكن، بسبب كل هذه الوراثات الحضارية، أن تعتبر العربية نائية تركيبيا عن اليونانية. بل يمكن للمتخصص العربي، في عالم اليوم، إذا وقع التخلص من عقد التنائي المبدئي بين العربية وأصول اللغات الأوروبية، أن يلجأ إلى النحت والتركيب بين الأصلين العربي واليوناني، كما فعله المترجمون الأولون في عصر المأمون.

فهل يشعر أي واحد منا بالغرابة اللغوية حينما يستعمل الكلمات اليونانية مثل الجنس، والصراط، والأسطورة، والناموس، والفردوس؟

ويمكن سرد مئات الكلمات التي دخلت العربية قبل عصر العلم، مثل الدرهم، والدينار، والفلس، والمرمر، والكلس، والبريد، مع التحقق من تعريبها التام الذي لا عجمة فيه.

ومما أكثر الكلمات اليونانية التي انصهرت في العربية، مع أن المقابل العربي يمكن إيجاده بسهولة؛ لكن سرعة الاستعمال تغلبت على اجتهاد الناقلين الساهرين على النحت الصحيح والأصالة. فقد تغلبت «فلسفة» على «حكمة»، و«سفسطة» على «مغالطة»، و«موسيقى» على «سماع» و«طقس» و«إقليم» على «مناخ»، و«قناة» على «ساقية»، و«إسطقس» على «عنصر».

وأي عالم يستغرب اليوم كلمات جغرافيا، وكيمياء، وفيزياء، وقانون وديمقراطية، وديكتاتورية، مع إمكانية نحت كلمات عربية تقابلها بكل سهولة.

نرى من هذه الأمثلة أن مكانة اللغة اليونانية بصفتها لغة علمية، في عصور ما قبل العلم العربي والأدبي، بقيت قوية التأثير، لا على اللغات الأوروبية فقط، بل إن العربية تعايشت مع هذه اللغة وأخذت عنها المصطلحات والتراكيب والأساليب الفلسفية والعلمية. كما أنه من المؤكد أنه وقع التعريف بالعلوم اليونانية بواسطة العربية ثم اللاتينية ابتداء من القرن الثاني عشر إلى أواسط القرن السادس عشر.

فعلمية اللغة العربية وعالميتها يُعدّان، من هذا الوجه، امتدادا لعالمية وعلمية اللغة اليونانية.

وإذا ما حصل الاقتناع بهذه الأبعاد وهذه القدرات الثقافية للغة العربية، فإن مسألة الترجمة العلمية يمكن، إذا روعي فيها مقتضيات التطور السريع، والتفاعل مع الواقع الحي، أن تعالج بالمعطيات الآتية:

أولا: إن عالمية اللغة العربية مربوطة بالحضارة الإسلامية، وبحيوية الفكر الإسلامي. وإذا كانت المعارف الإسلامية قابلة للتبليغ بواسطة اللغات الإسلامية

الأخرى مثل الفارسية، والأوردو، والماليزية، واللغات التركية التي لم تنسلخ عن العربية، فإن مصطلحاتها وتراكيبها ومراجعها العلمية لا زالت، في أغلبها، قوية التأثر باللغة العربية.

ولا يمكن لقوميات العالم الإسلامي، مهما بلغت درجات تأصيلها، أن تنسلخ نهائيا عن القيم الإسلامية، بما تحتوي عليه من مضامين حضارية ولغوية عربية، وعلى رأسها اعتبار العربية لغة القرآن والحديث والشريعة. ونشاهد في زماننا هذا حيوية الثقافة الإسلامية في تركيا وفي الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفياتي وفي البقية من شعوب أوروبا المسلمة مثل البوسنة وألبانيا، وذلك رغم عمق التحولات الثقافية المفروضة على الشعوب، في عهدي الكمالية بتركيا والشيوعية بالبلاد الأخرى.

وإذا كان هذا الجانب الحضاري يؤكد عالمية اللغة العربية، فإنها، رغم ضعف الإنتاج والنقل في ميدان العلوم المعاصرة، لغة قابلة لاستدراك التأخر، والوصول بسرعة إلى مستوى اللغات الأوروبية المتمسكة باستقلاليتها عن العالمية الإنجليزية، مثل الفرنسية والألمانية والإسبانية.

ثانيا: إن سرعة التطور المفروضة على شعوب الجنوب لا تعني، كما هو الشأن في بعض التصورات المتعلقة بالاقتصاد العالمي، الخضوع لعالمية حضارية تذوب فيها القوميات؛ وذلك لأن العالمية العلمية، وهي أثبت مظاهر الحضارة العالمية منذ عهود العلم اليوناني، ليست مربوطة حتما بهيمنة لغوية ما.

لكن معالجة وسائل التطور، بما تقتضيه من منهجيات ومرحليات، قد تفرض التعدد اللغوي، أو الازدواجية على الأقل، مع بذل المجهودات في رفع اللغة القومية إلى مستوى لغة علمية كاملة اصطلاحا، ونقلا، وتأليفا، وتعليما.

ثالثا: لا يمكن عزل عملية الترجمة العلمية عن النشاط العلمي المتعدد التخصصات، مع ما يتطلبه من عناية بالبحث والتعليم وإرادة واضحة في تطوير اللغة القومية وفرضها كمادة أساسية في جميع المراحل والأنشطة. وقد حققت كثير من القوميات نجاحا في هذا الميدان التعليمي.

ولنا في النموذجين الألماني والياباني، مع اختلاف مناهجهما، أمثلة لما يمكن أن يصل إليه الجمع المتوازن بين العالمية والقومية.

وإذا لم يكن الهدف من الترجمة هو التعليم، ونشر المعارف باللغة القومية بين الفئات الواسعة من طلاب العلم، فإن هذه الترجمة ستبقى نصوصا مكتنزة ومخصصة لنخبة قليلة من الباحثين والطلبة. وستكون المردودية، من هذا الجانب، غير متوازية مع متطلبات التطور السريع والإجمالي للأمة.

رابعا: لا يعد التأخر في نحت المصطلحات بالطرق الأكاديمية من العوائق الكبرى، إذا تحقق التعليم العلمي باللغة القومية؛ ذلك لأن المترجم الميداني الذي يستعمل النصوص من أجل التعليم، وكذلك الأستاذ والباحث الذي هو حتما مزدوج أو متعدد اللغات، في عالم اليوم، مضطر للاجتهاد في إعداد المصطلحات، إما نحتا بالرجوع إلى الأصول العربية، وإما استعارة من اللغة المنقول عنها.

هذا وقد أشرنا إلى أن اللغة العربية ليست نائية عن الأصول الاصطلاحية العلمية التي تسير عليها لغة العلم في أوروبا، لأنها من أصل يوناني - لاتيني، إما أن ينقل في صيغ عربية، وإما أن يحافظ فيه على المصطلح اليوناني اللاتيني، إذا اقتضت السرعة ذلك، فليس هناك فرق جوهري مثلا بين أن يقال مثنى الصدا أو أن يقال بيوكسيد.

وإذا راجعنا تاريخ الترجمة من اليونانية إلى العربية، وجدنا المترجمين الأولين يجمعون بين نحت المصطلحات العربية والمحافظة على الكلمة اليونانية. ولم يقع تعريب العلوم حسب مقتضيات الفصاحة العربية إلا على يد كبار المؤلفين مثل الكندي، وابن سينا، والرازي، والخوارزمي، وغيرهم من أساطين العلم العالمي.

يستخلص من هذه النظرة المختصرة أن أطروحة الاستغناء عن الترجمة العلمية، باعتماد لغة علمية واحدة، هي اللغة المهيمنة في الحاضر، ليست إلا مجرد رأي، فرضته الأوضاع الموقتة للتعليم والبحث بالبلاد الضعيفة الإنتاج العلمي.

وهي أطروحة تظهر بمظهر الواقعية التي يتطلبها النمو، ولكنها تتناسى واقعية القوميات وطموحاتها، كما تتناسى نسبية العالمية اللغوية، التي قد تتكافأ فيها عدة لغات علمية، بما فيها اللغة العربية.

المناقشات

1 - محمد بنشريفة

ليس لي ما أعقّب به على الأفكار التي اقترحها السيد محمد هيثم الخياط فيما يخص الترجمة، ولكني أريد أن أعقب على رأي ورد في مقدمة عرضه وهو المتعلق بالحد الفاصل بين ما سمّاه بأمة غبرت وهي التي نعتها القرآن الكريم بالأمة الوسط وتنتهي في القرن السابع الهجري، وبين أمة استمرت بعد ذلك تبدأ من القرن السابع الهجري إلى مطالع هذا القرن أو أواخره. أظن أن هذا الحد الفاصل هو على إطلاقه وليس على عمومه، فقد ظل في العالم الإسلامي فكر ينبض وعقل يشع خلال هذه القرون السبعة الأخيرة التي جاءت بعد القرن السابع الهجري، والاستثناءات كثيرة، وقد ذكر الأستاذ هيثم بعضها وسمى فيما سمى كمظهر لحيوية وحركة البحث اللغوي أو النشاط اللغوي في ميدان اللغة العربية كتاب «تاج العروس». والذي أريد أن أضيفه هنا هو أن الشيخ مُرتضَى الزَّبِيدي صاحب «تاج العروس» مَدين في كثير من معجمه الضخم الذي نوه به الأخ هيثم إلى ابن الطيب الشركي، وهو شيخه الذي يذكره كثيراً، وهو صاحب تآليف في اللغة، شرعت وزارة الأوقاف في نشره، ونرجو أن يتم هذا النشر ليكون موازياً أو دليلاً على النشاط اللغوي في المغرب.

يمكن أن أضيف بعض الاستثناءات من خلال بعض الأعلام الذين عُرفوا في القرون الأخيرة بعد القرن السابع، وتبدأ من القرن السابع الهجري ولا سيما فيما يخص الأندلس والمغرب، ولعل هناك فرقاً في هذا المجال بين المشرق والمغرب، ففي الأندلس وكذلك في المغرب كان هناك نشاط علمي على مختلف المستويات. أذكر في مجال الرياضيات مثلاً وفي مجال الحساب العالم البسطي الغرناطي القَلَصادي الذي عُني الأستاذ محمد سويسي بإبراز قيمته من خلال نشر تآليفه، وهو من أهل القرن التاسع الهجري. وأذكر ابن الأزرق الذي جاء مجدّداً لابن خلدون، ومضيفاً إليه وهو كذلك من أهل القرن التاسع الهجري. والأسماء كثيرة فيما يخص العلوم الأخرى وهي تبرز أنه في العالم الإسلامي، في شرقه وفي غربه، خلال القرون السبعة الأخيرة، ظل هناك عرق ينبض بالعلم

وبالفقه. وهنا أريد أن أشير إلى أن بَلَدِيَّ الأستاذ هيثم وهو المرحوم شكري فيصل كتب بحثاً ينتقد فيه النعت الذي يطلق على هذه القرون، وهو نعت عصور الانحطاط. وهو بحث مطول فنّد فيه هذه النظرية.

بالنسبة إلى الترجمة فإنها لم تنقطع في العصور المتأخرة، ففي المغرب خلال القرن الحادي عشر، كانت هناك حركة ترجمة قوية جديدة لمتابعة التطور الذي يجري في العالم، ولاسيما من خلال ما يؤلف بالإسبانية في عصر المنصور السعدي. هذا الموضوع درس وعرف الآن أنه كانت هناك حركة للترجمة في عصر المنصور السعدي ومن ثمراتها كتاب «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع»، وهو كتاب في العسكرية وفي المدفعية بصفة خاصة. فغاية ما يمكن أن يقال إنه لا بد من مراجعة هذا الحكم ولاسيما من خلال الوصف الذي وصف به الأستاذ هيثم سبعة قرون من التاريخ الإسلامي أن الأمر يمكن أن يحدّ ببعض القرون المتأخرة، وأما إطلاق هذا الحكم على عواهنه أو على عمومه بالنسبة لجميع ما جاء بعد القرن السابع ففيه مجال نظر ومجال بحث.

2 – عبد الهادي التازي

من خلال ما سمعته من عرض السيد محمد هيثم الخياط، لفتت نظري قضية المصطلح التي يقول عنها إنها قضية بالغة الأهمية. الواقع أن هذا الموضوع هو الموضوع الذي ينبغي أن نتوسع فيه كثيراً، وينبغي أن نخرج منه بنظرية محددة ومدققة تهدف إلى الأخذ بالقرار المناسب دون أن نعوم في كثيرٍ من الأفكار التي يمكن أن تلعب العاطفة فيها بعض الشيء.

الأستاذ هيثم يعلم أكثر مني أن قضية المصطلح تظل الأساس. ونحن نسير ببطء السلحفاة في هذا الموضوع. في اعتقادي ينبغي ألاّ نتردّد في التمسك بالمصطلحات الدولية التي شاعت وذاعت حتى لا نكرر الخطوات، وحتى لا نتعب أكثر في البحث عن المصطلح. أقول لأستاذي الفاضل: إننا في الأمم المتحدة وطوال خمس وعشرين سنة نحاول (نحن العرب)، (أنا أتحدث عن المجموعة

العربية بالأمم المتحدة في المؤتمر العالمي لتنميط الأعلام الجغرافية)، نحاول أن نصل إلى طريقةٍ موحدة لأداء الحرف العربي بالحرف اللاّتيني. ولحد الآن لم تتفق لنا كلمة. هل سنؤدّي حرف ظ بـ (DH) تحتها شرطة، ونتجنّب إطلاقاً وضع حرف (Z) معها ونؤدّي حرف (ذ) بحرف (D) تحته نقطة، وهل سنؤدّي حرف الجيم بـ (J) ونتجنّب إطلاقاً وضع حرف (D) معها. كثيرة هي الألفاظ التي تظهر كل سنة ونحن نحاول أن نوقف العِلم حتى نجد الترجمة العربية السليمة! سوف لا نتقدم خطوة واحدة، والأستاذ هيثم زميلي في مجمع اللغة العربية في القاهرة يعلم الفكرة التي تبناها المجمع وهي أن المصطلح ينبغي أن يؤخذ كما وضعه واضعه. ليس لي من الوقت ما يجعلني أوقف الأمور حتى أجد كلمة تؤدي المعنى وإلاّ ضاعت علي الأمور.

3 – إدريس خليل

أود أن أسأل الأستاذ المحاضر عن ما جاء في محاضرته في قوله إن تمثل العلوم لا يمكن أن يكون إلاّ في اللغة الأم، فهل هناك دراسة أكدت وبيّنت ذلك؟ أنا أعتقد أن هناك أمثلة كثيرة تعاكس ما جاء في كلامكم. ذلك أن العلماء العرب القدامى أو العرب المسلمين تعلموا العلم وابتكروا فيه بلغة لم تكن لغتهم، كعمر الخيام والبيروني وغيرهم. ثم في عصرنا الحالي نرى أن هناك علماء عرباًعلى الخصوص يعملون في أوروبا وأمريكا، وقد تعلموا هذه العلوم واستوعبوها بلغة غير اللغة العربية، ومنهم من حصل على جائزة نوبل مثلاً كالزميل محمد عبد السلام الذي هو عضو في هذه الأكاديمية، والذي تعلّم العلوم إما باللغة الإنجليزية أو باللغة المشاعة في الباكستان.
التساؤل الثاني هو مسألة الترجمة. إن الترجمة ضرورية، وكذلك تعريب العلوم. ولكن المشكل عندنا في العالم العربي هو أن اللغة العربية ليست حكراً على دولة معينة، فجميع الشعوب العربية مشتركة في هذه اللغة، وعندما نريد أن نخطو خطوة باللغة العربية في ميدان العلوم، نجد مشاكل، من جملتها أن كثيرا ما لا يتفق الإخوة العرب على المصطلحات ولا حتى على الرموز.

4 - إدريس الضحاك

استمعتُ بكثير من المتعة إلى المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ محمد هيثم الخياط، وإلى غزارة ما ورد فيها من أفكار ومعلومات.

لدي استفسار حول ما ورد في كلمته من أن محمد علي أنشأ سنة 1827 في «أبي زعبل» أول مدرسة للطب الحديث اندثر وجودها اليوم. وكنتُ أتمنى أن يتعرض المحاضر الكريم لتجربة لا زالت قائمة لحدّ الآن في الجمهورية العربية السورية، حيث تدرّس كل العلوم باللغة العربية وبصفة خاصة الطب الذي بدأت فيه الدراسة في تاريخ إنشاء مدرسة محمد علي. ومما يشفع لي في إثارة هذا الموضوع هي الفترة التي قضيتها في هذا البلد الشقيق، والتي علمتُ فيها ما علمت فيما يتعلق بالترجمة على الخصوص من الكتب العلمية إلى اللغة العربية. لكن ما يشفع لي أكثر هو أن المحاضر الكريم سوري الجنسية، وكنت متيقناً من أنه سيتناول هذه التجربة الفريدة من نوعها في العالم العربي، إذ لا توجد في أية دولة عربية كليات تدرس باللغة العربية، ومنذ سنين طويلة، مُختلفَ العلوم وبصفة خاصة الطب كما هو الشأن في سوريا. وكنت كما قلت متيقناً أن الأستاذ محمد هيثم الخياط سيقدم لنا عرضاً عن هذه التجربة التي لا زالت قائمة حتى الآن، ما لها من إيجابيات وما لها من سلبيات، وأنه سيغنينا بآراءه حول التجربة المذكورة.

النقطة الثانية وهي ذات طابع عام. كثيرة هي التوصيات الصادرة عن المؤتمرات والندوات والمناظرات، والتي تصب كلها في مواضيع تتعلق بالإقناع والاقتناع نحو أهداف معينة، في غالب الأحيان يكون الكل متفق عليه، لكن المشكلة الرئيسية تظل دائماً قائمة وهي كيفية تحويل هذه التوصيات إلى تنفيذ. هنا يلقى رجل القرار السياسي أو المنفّذ الصعوبات الجمّة. وكنت أتمنى أن تكون هذه المؤتمرات والندوات والمناظرات متجهة نحو إيجاد آليات لتنفيذ الأهداف أكثر ما هي متجهة نحو الإقناع والاقتناع . وكلنايعلم عدد الكتب التي تصدر سنوياً في العالم، والسؤال المطروح هو كيفية انتقاء الصالح منها

للترجمة، وما هي الآليات والوسائل للقيام بهذه الترجمة. وأذكر على سبيل المثال أن جارتنا إسبانيا أصدرت سنة 1994 خمسين ألف كتاب، أغلبها علمي، ولدى اليونسكو إحصاء شامل حول الكتب التي صدرت . هذا التضخم الكبير في النشر، كيف يجري انتقاؤه؟ وما هي الآليات المناسبة للقيام بالترجمة؟ أعتقد، حتى لا تضل التوصيات بل والأشغال المتعدّدة على الرفوف دون أن يجري تنفيذها على الساحة، كما قال الأستاذ السويسي أن نتجه في محاضراتنا وندواتنا إلى دراسة كيفية إيجاد الوسائل لتنفيذ هذه الأهداف التي تكون في غالب الأحيان متفق عليها من طرف رجل العلم ورجل الفكر ورجل القرار.

5 – أحمد الطريبق

لقد ورد أثناء عرض الأستاذ محمد هيثم الخياط، الإشارة إلى «صحوات» حصلت في المشرق العربي ، بقصد التأسيس لفن الترجمة وخاصة الترجمة العلمية، كمحاولة للاقتراب من عجلة الحضارة الحديثة ، وتلك «الصحوات» لم تكن وحدها على الخريطة العربية؛ ذلك أن محاولة جريّئة قام بها السلطان المولى الحسن الأول، وذلك بإنشاء مدرسة للألسن بمدينة طنجة: وهناك مرسوم سلطاني يؤرخ لهذه المبادرة. ومن جميل هذه المبادرة، أن السلطان كان يأمر بانتخاب أنْجبِ الطلبة وأنبغهم ليرسلوا إلى مدينة طنجة يتعلمون اللغات بمدرسة الألسن ثم يُبعثون –ضمن بعثات علمية– إلى أوروبا (إيطاليا– فرنسا...). ولكن هذه المحاولة جوبهت بإجهاض لعدم تجاوب «الذهنية »السائدة مع غايات السلطان المولى الحسن الأول .

هذه إضافة تاريخية، ولعل بعض الأساتذة المؤرخين ، وهم معنا (الأستاذ عبد الوهاب بنمصور والأستاذ عبد الهادي التازي) لهم علم بهذا المرسوم السلطاني.

القضية الثانية، التي جاءت في عرض الأستاذ محمد هيثم الخياط، ولو أنها

جاءت عَرَضاً، فلها ارتباط بهوية هذه الأمة الإسلامية القائمة على العلم وتعلّمه، وعلى الفكر وسلطانه، وعلى اليقين والاطمئنان به. فالقرآن الكريم، والمسلم يتلو آياته كل يوم، جعل أول آية له هي الأمر بالقراءة (إقرأ باسم ربك)، والله تعالى قد أقسم بالقلم رمز العلم ومفتاحه، إلى غير ذلك من هذه الإشارات القصدية بغاياتها (العلم مفتاح كل حضارة). ولكن المحيّر لنا نحن المسلمين، هو الصدام الذي يحصل لنا أمام المعادل الموضوعي المتمثل واقعياً في ارتفاع مذهل لنسبة الأمية في عالمنا العربي والإسلامي، (من 40٪ إلى 70٪) فهل كان القرآن يعنينا نحن المسلمين و العرب دون غيرنا الذين بنوا حضارتهم على العلم وعلى مفاتيحه؟ وهل نحن العرب والمسلمين لم نستوعب بعد المقصدَ القرآني المتجسد في القراءة بكل أنواعها (التحليل، الترجمة، الانتقاد، المثاقفة الخ...). فلماذا لم نفكر جدّياً، وقبل أي شيء، في التقليل من حجم هذه (الأمية) وبوسائل متعددة، وبآليات ملائمة؟

إن الحضارة تقتحم أبوابنا (المدرسة، البيت، الشارع، الجامعة). ولا مجال في الدنيا لمن يعيش بعد سنين مقبلة دون أن يكون متسلحاً بالعلم وبالوعي وبالإشباع الحضاري .

هذه هي الأسئلة المحيرة التي تجابه كل جيل من أجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية من عالمنا العربي والإسلامي.

6 – محمد هيثم الخياط

أودُّ قبل كل شيء أن أشكر أساتذتنا وزملاءنا الذين قطعوا عنقي بثناءهم، وأرجوالله سبحانه وتعالى أن أكون عند حسن الظن. في ما ذُكر أشياء كثيرة أفدت منها كثيراً، وكما قلت، لم يكن يُراد لهذه الكلمة البسيطة أن تكون موضوعاً مستوعباً، وإنما أريد لها فقط أن تثير بعض النقاط التي تغنيها المناقشة، وقد أغنتها المناقشة ولله الحمد، وأرجو أن تغنيها خلال الجلسات المقبلة. وفي ظني أن كثيراً مما ذُكر سوف يعاد إليه في أثناء بحث الموضوعات

الأخرى من قِبل الباحثين أنفسهم، أو من قبل المناقشين، ولذلك فلن آخذ كثيراً من الوقت في التعقيب على ما تفضّل به أساتذتنا الكرام.

أنا أستغفر الله إن كان قد فُهم من كلامي أن هذه الأمة قد انبتّت صلتها تماماً في نهايات القرون الوسطى المزدهرة، أنا أحببْتُ أن أستعمل القرون الوسطى المزدهرة لأنفي ما ذكره أستاذنا الدكتور شكري فيصل رحمه الله، عن قضية القرون الوسطى التي ترتبط دائماً في أذهان الناس بالتخلف والانحطاط. فقروننا الوسطى نحن ، كانت قروناً مزدهرة في حقيقة الأمر، كانت قرون الآخرين هي المتخلفة، ثم أصابنا بعد ذلك ما يصيب الأمم عادة من بذور التخلف وبذور الشقاق وماشابه ذلك من أمور لا تستطيع أن تعيش معها الثقافة وأن يعيش معها العِلم كما ينبغي أن يعاش. هذا هو ما رأيت الإلماح إليه وعبّرت فيه عن أسىً عميق أشعر به، هوالتخلف البالغ لهذه الأمة، هذا النوع من قطع الصلّة، أو يكاد، بالماضي كله.

التجارب التي حاولتُ أن أذكر بعضها تجارب ناجحة، وأنا أعتذر أنني على عادة المشارقة لم أحاول أن أتطرق إلى تجارب المغاربة بسبب أن الوقت الذي أعددتُ فيه هذه الكلمة كان ضيّقاً، وأنا لا أحب أن أذكر شيئاً إلاّ موثّقاً، وأرجو أن أرسل ثبتاً بمراجع هذه المحاضرة. من أجل ذلك قصّرتُ هذا التقصير، وإنما ما ذكرتُه ينطبق على الأمة بجناحيها الشرقي والغربي، سواء من حيث القطيعة التي حصلت جُزئياً أو كلياً مع هذا الماضي العريق، أو من حيث الانتفاضات والصحوات التي حدثت وتكرّرت وكان لها الفضل في الإبقاء على هذه الشّعلة حتى الآن. ولولا ذلك لانقرضت هذه الأمة منذ زمن بعيد أعني أن هذا الدين ربما كانت كبرى معجزاته أنه بقي حتى الآن، ونحن حَمَلَتُه، وهذه اللغة من كبرى معجزاتها أنها بقيت حتى الآن، وفي حَمَلتها هذا الضعف! أنا لا أحب أن أقف موقف المتشائم، ولا أحب أن أقف موقف جَلْدِ الذات، ولا أحب أن أقول إننا لا نسوى شيئاً ، ولكنني أحب أن أقول: إن علينا أن نبدأ كما بدأوا. إذا كان أجدادنا قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك، فلِم لا نستطيع نحن فِعل ذلك؟

القضية في ظني لخصّها الحارث بن حِلّزة اليشكري الشاعر الجاهلي منذ القديم، قال :

إنما العجز أن تهُمَّ ولا تفعل والهَمُّ ناشبٌ في الضمير

المسألة ببساطة هي أن هنالك مرحلتين، طورين نفسيّين للإنسان وللأمة. مرحلة الهمّ، ومرحلة الفعل. ونحن بحاجة إلى أن ننتقل من مرحلة الهمّ إلى مرحلة الفعل. وهذا لا يتأتّى إلاّ إذا عقدنا النيّة وعزمنا وتوكلنا على الله. ﴿فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه﴾، فالقضية إنما تحتاج في بداية الأمر إلى هذا العزم. وبذلك نستطيع أن ننتقل من هذا الطور النفسي الأول الذي هو طبيعة من طبائع الإنسان. النبي ﷺ يقول: «أصدق الأسماء حارث وهمّام »، فالهمّ شيء طبيعي في الإنسان. نحن نريد أن ننتقل من مرحلة الهمّ إلى مرحلة الفعل، وهذا ما نجتمع من أجله، وهذا ما نتفق عليه إن شاء الله. كما قلت فالأشياء التي سمِعتُها سجّلتُها - أكاد أقول حرفيّاً - لكي أفيد منها، وأرجو أن يكون في الأيام المقبلة، أو في الجلسات المقبلة ما يزيد أو يغني هذه الكلمة الموجزة التي قدمتها بين أيديكم .

أريد أن أعود إلى النقطة التي كنتُ أناقشها الآن، والتي تفضّل أستاذنا إدريس خليل بلفت النظر إليها، قضية الصلاحية أو المبدإ، هل نعلّم بلغتنا أو لا نُعلّم بها؟ هل ينبغي أن تكون اللغة هي وعاء هذا الفكر، وهذه الثقافة، وهذا العِلم، أم لا تكون؟. هذه النقطة أعتقد أننا يجب أن نفرغ منها قبل أن ننتقل إلى ما يليها، هذه التي سوف تُحدّد انتقالنا من الهمِّ إلى الفعل. هذه التي تحدّد في الحقيقة قضية الهمّ، هل نحن نهُمُّ بذلك أم لا نهُمّ؟ هل القضية قضية تعليم بلغة معيّنة، أو هي مجرّد استقاء هذا العِلم؟ إذا كانت القضية هي مجرّد استقاء هذا العِلم، كيف نستقي هذا العلم؟ هل يمكن أن نُوصّل هذه المعلومة لكل فرد؟ هنالك بالطبع استثناءات، وهذه الاستثناءات تُثبّتُ القاعدة كما يقولون. الاستثناءات واردة دائماً. هنالك أناس درسوا العِلم بلغة غير لغتهم، ولكنهم تشبّعوا بها حتى أصبحت هي اللغة الظئر، إن صحّ التعبير، بدل اللغة الأم. هؤلاء تسري عليهم القواعد التي تسري على اللغة الأم، هنالك عدد كبير

من العباقرة والنابهين الذين وصلوا أو بلغوا هذا المبلغ. لكننا لا نستطيع أن نعمّم هذا على الجميع، وكما ذكر عدد من الأساتذة مع وجود هذه الأمية المؤلمة التي نعيشها الآن، والتي تتنافى كل التنافي مع مبادىء هذا الدين، ومبادىء هذه اللغة. هذه الأمية ينبغي أن نخرج منها. لا أعني أمية فكِّ الحرف فقط. ولو أننا حتى في هذه نحن متخلّفون، متخلّفون! ولكنني أعني المرحلة التي تليها، الأمية العلمية، العلم بمعنى (Science). كيف نستطيع أن نرفع من المستوى العلمي للسامع العادي والقارىء العادي والمناقش العادي والمواطن العادي؟، هذا أمر مهم جدّاً لأنه هو ما سوف يكون له دوره الكبير في قضية الحضارة، وأعتقد أنه أمرٌ ينبغي أن نركّز عليه في مناقشاتنا هذه بعد أن نتّفق على أن من الأفضل أن يتلقى الناس جميعاً العِلْم بلغتهم من أجل أن نستطيع أن نُعمّم هذا العلْم ما استطعنا. ومن أجل أن ننتقل من طبقات الكهانة التي كانت قديماً، والهالات التي كانت تشوب العلماء والأطباء منهم على وجه الخصوص، وكيف نستطيع أن ننزل بهذا العلم إلى مستوى الناس جميعاً؟ كيف نحقق ديموقراطية العلم إن صحّ التعبير؟.

موضوع المصطلحات، موضوع مهم جدّاً، ومن أجل ذلك لم أتطرق إليه إلاّ قليلاً لأنه أهم من أن أستطيع أن أحيط به أو حتى ألمسه، لا سيما وقد عملتُ كثيراً بالمصطلحات، فأصبحتُ أخشى أن يقال إنني أتعصّبُ لهذا الموضوع، أتحدث عنه أكثر من سواه. وإنما أريد أن ننتقل أيضاً إلى مرحلة مفيدة لحصيلة هذا اللقاء الخيّر إن شاء الله ، أن نتفق على قضية التوحيد، وقضية التنسيق وهما قضيتان مهمّتان جدّاً، وقد أشار إليهما كثير من أساتذتنا الذين علّقو اعلى الموضوع.

قضية توحيد المصطلح أمرٌ أساسي. وقضية تنسيق المصطلح، وهي خطوة تسبق التوحيد، أمرٌ أساسي. وقد تفضل أستاذنا أحمد الأخضر غزال بذكر مكتب تنسيق التعريب، وقد أُريد لهذا المكتب أن ينسّق، وهي الخطوة الأولى التي لا بد منها.

كان المكتب غزير الإنتاج، والأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مشكور على ذلك،

ولكن المهم، هل بلغنا مرحلة التنسيق هذه أم لا؟، هذه المشكلة يجب أن نتطرق إليها، ولعل هذه الندوة أو ندوة قادمة إن شاء الله تناقش هذا الموضوع، موضوع التنسيق وموضوع التوحيد. لا يجوز أن نبقى بهذا الشكل الذي نحن عليه .فالشهر الثامن من أشهر السنة الميلادية له خمسة أسماء في العالم العربي، في العراق والشام يقولون آب، وفي مصر يقولون أغسطس، وفي ليبيا يقولون هانبال، وفي تونس يقولون أوت، وفي المغرب يقولون غشت. هذا الشيء غير معقول، هذا الشهر من السنة لم نتفق عليه؟ الخضر البسيطة التي يتناولها الناس جميعا، تسمّى في بعض البلدان، الطماطة، وفي بعضها البندورة، وفي بعضها الطماطم، وفي بعضها مطيشة، وفي بعضها الطماطيش؟ أشياء عجيبة! كيف تستطيع هذه الأمة أن تتفق على لغة واحدة؟ على مصطلح واحد؟ نحن في حاجة إلى مناقشة هذا الموضوع حتى نستطيع أن نتحاور بعضنا مع بعض، حتى نستطيع أن يفهم أحدنا الآخر، ما الذي نقول في إطار هذه الأمة الواحدة التي ينبغي أن تحكمها لغة واحدة؟ فقضية المصطلح قضية مهمة جدا.

الأمر الآخر الذي أثاره أستاذنا عبد الهادي التازي، قضية كيف نواكب هذا السيل المنهمر من المصطلحات؟ كيف نستطيع أن نسيرْ معه، أن نلبّيه، أن نضع المصطلح كل يوم لما يُستجدّ؟ كما قلتُ رجال الإعلام ساعدوا في الموضوع كثيرا، وهم مشكورون. حينما تأتي الولايات المتحدة بكلمة (Shuttle)، رجل الإعلام مضطر أن يقول كلمة مقابلة لـ (Shuttle)، فخطر لأحدهم أن يقول مكّوك الفضاء وقُبلت مكّوك الفضاء دون أن يُناقش أحد في كونها هي الكلمة الفُضلى؟، ولكن لم يحاول أحد أن يناقشها لأنها وُضعت وقُبلت من قبل رجال الإعلام. قضية استعراب الكلمات، يعني إدخال الكلمة إلى لغتنا وإلباسها العباءة العربية إن صحّ التعبير. الكلمة متى عُرِّبت، وهذه القاعدة قديمة جداً، وأبو هلال العسكري ينص عليها في «التلخيص» يقول: الكلمة الأعجمية إذا عُرّبت فهي عربية، لأن العربيَّ إذا تكلّم بها لم يقل إنه يتكلم بالعجمية. أقول: الكلمة متى عُرِّبت تصبح عربية، وتدخل عليها الألف واللام، وتصرّف ويشتق منها ويُنسب إليها. وأنا لستُ ضدّ هذا التعريب لأننا بحاجة إليه، وأجدادنا

فعلوا ذلك، ولكن أن نكثر من هذا إلى الدرجة التي تصبح فيها اللغة لغة عجيبة أيضا، هذا يحتاج إلى بعض الحرص، يجب أن نضع عدداً من الضوابط. مثلاً: أن تكون الكلمة التي نستعربها، (أنا أستعمل الكلمة تعربة كما قلنا «عَرَبٌ عارِبَة» و«عَرَبٌ مُسْتَعْرِبَة»، وهنالك كلمات «عاربة» أصيلة، وهنالك كلمات مستعربة). هذه الكلمات التي نستعربها، ينبغي أن تكون بحيث يمكن أن تُجمع ويُشتق منها إن لم تكن ستستعمل ككلمة جامدة فقط. لأننا إذا لم نفعل ذلك، فسنجد كثيرا من الصعوبات. وعلى سبيل المثال ربما كانت كلمة «كمبيوتر» من أكثر الكلمات شيوعا في البلدان غير اللاتينية لأن البلدان اللاتينية كلها تستعمل «الأوردیناتور»، لو شئنا أن نقول بالعربية «كمبيوتر» فكيف نفعل بـ (Computerization)؟، وكيف نفعل بـ (Computerized)؟ كمبيوترايزد هذه تفتح علينا أبوابا أخرى، فيجب حينما نختار هذه الكلمة التي نستعربها أن نبحث في قضية النسبة إليها وقضية جمعها وقضية الاشتقاق منها، إلى غير ذلك. هذه الأمور يجب أن تؤخذ في الاعتبار، أنا أضربها كمثال لأن الموضوع لا يمكن أن يستوعب في هذه العجالة.

كلمة أخيرة أحببْتُ قولها فيما يتعلق بالتجربة السورية، أنا حاولتُ أن أعرض بعض التجارب، ولم أتطرق للتجربة السورية، لئلاّ أُتّهم بالعصبية لها، وقد شرفتُ بأن كنت أحد تلامذة هذه التجربة، ثم أحد أساتذتها، والتجربة لها وعليها، وفي الحقيقة تحتاج إلى أن تُقيّم، (وأنا أفضل أن أقول: تُقَيَّم) تقْييما صحيحا، ثم تُقوَّم إن كان هنالك داع للتقويم. ينبغي أن لا نقول: إن التجربة السورية هي التي تعطي الفكرة عن نجاح تعليم اللغة العربية أو عدمه، لأن هنالك عوامل عدة تدخل في موضوع التعليم والتعلُّم، اللغة هي إحداها، وهي من أهمها، ولكنها ليست كل شيء. وهنالك أشياء أخرى قد تؤدّي إلى انحطاط المستوى أو إلى ارتفاع المستوى، لا علاقة لها باللغة.

من أجل ذلك، يجب أن تقيَّم هذه التجربة تقييما علميا، وهو أمر يتم حتى الآن، كما لم يتم أيضاً تقييم التجارب المعاكسة تقييما علميا. نحن نحكم على ما نجده أمامنا. أمثلة عادية، نلاحظ أن هنالك امتحانا يقال له (E.C.F.M.C) كان

يجتازه أي شخص يريد أن يختص في أمريكا، وهو امتحان مؤلف من جزئين: الجزء العلمي، والجزء اللغوي، والطالب ينبغي أن يجتاز كليهما. الطلبة المتخرجون من كلية الطب بجامعة دمشق، كانت نسبة اجتيازهم لهذا الامتحان أعلى من نسبة اجتياز طلبة الجامعة الأمريكية الذين يدرسون الطب كله بلغة إنكليزية، بل على العكس، كانت النتيجة أنهم حتى في امتحان اللغة البحتة، كانت درجاتهم أعلى من درجات نظرائهم من الدارسين في المدارس الأمريكية. لكن هذا يبقى مجرّد قرينة كما قلت. ليست هنالك دراسة علمية حول الموضوع، فالأمر يحتاج إلى هذه الدراسة.

تجارب أخرى على سبيل المثال، قد نقول: إن الدراسة في مصر مثلا، تتم باللغة الإنكليزية، الحقيقة أنها لا تتم باللغة الإنكليزية، بل تتم بلغة عامية مشوبة بالمصطلحات اللاتينية، لأن المصطلحات الإنگليزية جلُّها لاتيني. المصطلحات الأنكلوساكسونية البحتة نادرة، كل ماهو مستعمل: مصطلحات لاتينية «مؤگلزة» إن صح التعبير، فتستعمل هذه المصطلحات اللاتينية بلغة عامية، وإلا لن يفهم الطالب ولن يستطيع الأستاذ أن يدرسه، لأن الأستاذ مع الأسف الآن لا يتخصّص تخصّصه العالي في بلد أجنبي، وإنما يتخصص في بلده، يعني في نفس الموضع تتمّ عملية «الرَّسْكَلَة» (كما يسمّيها إخواننا في تونس). المهم أن هذه العملية مهما كان اسمها تتم في مصر في نفس الجامعة، ومن أجل ذلك فمستوى اللغة الأجنبية يتضاءل جيلا بعد جيل. أنا أُدعى أحيانا، لمناقشة بعض رسائل «الدكتوراه» أو ما شابه ذلك، وأتوقع أني سأناقش بحثا باللغة الإنكليزية، فإذا بالمناقش والمناقَش والجميع يتحدثون باللغة العامية الدارجة، ويستعملون المصطلح فقط. كما قلتُ بهذه اللغة «الملثّنة»! ولقد دُهشت أول الأمر، فقد جئت مستعدا للتحدث باللغة الإنكليزية، فوجدتني أتحدث باللغة العامية المصرية حتى أستطيع أن أفهم. والمشكل في الموضوع أنه إن لم يتم الأمر كذلك فلن يفهم أحد. من أجل ذلك يقوم الأستاذ بهذا العمل. الآن أصبح عدد كبير من المدرسين يعجز عن أن يتكلم باللغة الإنكليزية الأصيلة. فما بالك بالطلاّب؟ وأسئلة الامتحانات لو أتينا بممتحن خارجي وقرأ ورقة الامتحانات،

فلن يقول عنها: لا «ينجح» ولا«يسقط»، سوف يقول: إن هذا كلام غير متسق (Incohérent) لا معنى له إطلاقا! يُكْتب بالأحرف الإنكليزية، ما يقال إنه لغة إنكليزية، لكن لما نقرأ النص لا نفهم شيئا، فينجح الطالب «بحُسْنِ الظّن»! يقول الأستاذ: هذا الطالب يريد أن يقول كذا، أو أعتقد أنه يريد قول كَذا! أنا أرجو ألا أكون بذلك مُتجنّياً على إخواننا في مصر، فقد ناقشت الموضوع معهم كثيرا.

والنقطة الأساسية التي نُغفلها كثيرا، والتي سقطت حتى من البحث المكتوب هي قضية إتقان اللغة الأجنبية. طيب، نعلّم باللغة الأجنبية، فلنتعلّم اللغة الأجنبية! فلنضع دروسا إلزامية لتعليم هذه اللغة الأجنبية التي نريد أن نتحدث بها، لأن مستوى التعليم الثانوي كما نعلم جميعا، مستوى ضعيف جدا من حيث اللغة الأجنبية، نحن لا نفعل هذا، مع أنه أمر ضروري، حتى لو علّمنا باللغة الوطنية يجب حتما أن نعلّم ونُتقن لغة أجنبية، وإنما نأتي بأناس لم يتعلموا هذه اللغة الأجنبية، لم يفقهوا منها شيئا، ونريد أن ننقل إليهم المعلومة العلمية الدقيقة باللغة الأجنبية بواسطة أناس لا يُجيدون هذه اللغة الأجنبية. هذا في حقيقة الأمر نوع من التعجيز، بل نقول أحيانا: نوع من السادية التعليمية التي يمارسها أساتذة الكليات العلمية في كثير من الجامعات.

7 - عبد الهادي التازي

أريد أن أعلّق على ما جاء في بداية حديث الزميل الأستاذ محمد الكتاني من أن الموضوع يتطلب قضيتين اثنتين: أولاً: الاقتناع بقضية التعليم، ثانياً: الإرادة السياسية التي تبقى دائماً مهيمنة على المصير. وجواباً عن النقطتين معاً، أذكر بأن المملكة المغربية بعد استرجاعها للاستقلال، كان من أبرز اهتماماتها قضية التعريب، ليس فقط على الصعيد الحكومي أو على صعيد الدولة، ولكن كذلك على صعيد الشعب. وأظن أن الجميع يذكر، وخاصة الزميل الأستاذ أحمد الأخضر غزال، المؤتمر الأول الذي انعقد بالرباط عام 1961، أي قبل 34 سنة لمعالجة هذا الموضوع بالذات. لقد استمر المؤتمر تقريباً سبعة أيام، يتحدث

حول الموضوع. وأظن أن المغرب كان جاداً في إيجاد الأرضية الصالحة لتحقيق هذه الأمنية التي ظلت أمنية المغرب عندما كان يرزح تحت نيرالاستعمار. وما زلت أذكر في ذلك الوقت أن أحد المتدخلين - وهذه نقطة لن أنساها أبداً - لكي يزيد في تنبيهنا إلى خطورة الموضوع، فسّر قول الله تعالى في (سورة النساء، 102)، ﴿ودَّ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أسْلِحَتِكُمْ وَأمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُون عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَة﴾. فَسَّرَ السلاح باللغة، بحيث حتى يستثير ذلك المتدخّل الرأي العام ذكر أنّ اللغة العربية تعتبر بمثابة السلاح، وفي الوقت الذي نحيد فيه عن استعمال هذا السلاح ستكون الكارثة بالنسبة إلينا.

إنما الذي حصل، وأقولها هنا ونحن نتحدث في أسرة واحدة، أن المغرب لاحظ أن الخطوات اللاّحقة كانت خطوات متردّدة محتشمة. فالمجامع اليوم كما قال الأستاذ هيثم مختلفة في إيجاد مصطلح واحد. مدارسنا مختلفة، أحدنا يشرّق وأحدنا يغرّب. فالموضوع المعروض علينا الآن هو مناشدة هذه المنابرالأكاديمية لكي توحّد خِططها حتى تساعدنا على تحقيق هذه الأمنية.

8 - عز الدين العراقي

حديث الأستاذ الكتاني كان ممتعا جدا، وقد تعرض الزميل عبد الهادي التازي للجزء الأول منه، وأما الجزء الثاني فقد أعطانا مثالا على التقنيات الضرورية في القيام بعمليات التعريب. وهذا يضع علينا خصوصا في هذه الندوة، كما أشار لذلك السيد الضحّاك، أن نفكر في وضع أجهزة ضرورية لتنفيذ عمليات الترجمة تنفيذا صحيحا، ولابد هنا من أن نقارن بين الصعوبات في البداية، كما أشار إليها الأستاذ الكتاني، حينما تم اللجوء إلى الترجمة من اليونانية إلى العربية. أما اليوم، فهناك قدرات عظيمة جدا في جميع بلدان العالم العربي، تُتقن إلى جانب اللغة العربية العلومَ التي يراد ترجمة مصطلحاتها إتقاناً كبيراً. تم وجود وسائل الإعلام والطاقة الهائلة التي توفّرها لنشر هذه المصطلحات، لأن المصطلح لا قيمة له إلا إذا طبّق وأصبح استعماله في جميع المجالات.

وليست قضية الترجمة قضية محصورة فقط على الجهات المختصة من أكاديميات وجامعات ونوادي علمية، لأن المقصود هو أن ينتشر الوعي العلمي على جميع المجتمع ليتشرّب جميع أفراده بالمفاهيم العلمية في حياتهم اليومية، وهذا هو المقصد الأهم من نشر العلوم. لأن المجتمع لا يمكن أن يتم إلا إذا تمّ هذا الانتشار، ومثال ذلك أن هناك الآن دولا كالهند والباكستان (وأسميها بأسمائها) التي لديها من العلماء قدرات هائلة، ولكن مستواها العام لا يزال منحطاً لأنه لم يقع تشرّب المجتمع الهندي أو المجتمع الباكستاني بالمبادئ العلمية التي تُذكي وتُغني العقل وتُغني المسيرة اليومية للمواطنين.

وفي المغرب تجربتان مهمّتان: التجربة الأولى هي الرياضة، من كان منا يسمع كلمة واحدة عربية في المجال الرياضي أيام الحماية؟ إلى أن أصبحت الآن المفاهيم الرياضية منتشرة انتشارا عاما عند جميع المغاربة. حتى أصبح الكل يتكلم على «الجناح الأيمن» وعلى «الجناح الأيسر» ويلم بجميع المفاهيم الرياضية.

التجربة الثانية هي في ميدان القضاء وهو ميدان مهم جدا. الآن تصدر أحكام قضائية باللغة العربية. من الدقة ومن المتانة لدرجة تثير انتباه الفقهاء الكبار.

والتجربة الثالثة: يجب أن لا ننسى في ميدان الترجمة ضرورة الإبداع، لأن الاطلاع اللغوي عند العَالِم هو الذي يُثبتُ وجودَه، فعندما ينتج العالم العربي ويكتب ويبحث، ويكون في حاجة إلى التعبير باللغة العربية عن مفهوم جديد من المفاهيم التي اكتسبها، آنذاك تسير عملية التعريب بسهولة أكبر، والدليل على ما أقول هو أنه يجب ألاّ ننسى الجهد الذي بدله العرب في صُنع المصطلحات الخاصة بالنحو، كما نسمع المبتدأ ونسمع الخبر ونسمع الفاعل والمفعول به، ولكن هل نتصور الجهد الفكري الذي بذله المعنيون لاستخراج هذه الكلمات والتعبير عنها من تلقاء أنفسهم؟ وأقول إنه لو لم يتم هذا لكنا اليوم نبحث عن ترجمات le sujet et le complément. وكذلك الأمر بالنسبة للفقه، وكذلك الأمر بالنسبة للتوحيد، وكذلك الأمر بالنسبة للصرف والبلاغة والبديع والبيان. هل نتصور هذه الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية التي صدرت عن اجتهاد

دائب من طرف العلماء أنفسهم للتعبير عن بحوثهم التي قاموا بها بصفة مباشرة دون أن يلجأوا لا إلى نقل ولا إلى ترجمة ؟

والآن إن ما أرجوه، هو أن نتّجه فيما تبقّى لنا من الوقت إلى أن نحاول التخطيط لعمليات التنفيذ، ولإقامة وسائل التنفيذ، وكيف يمكن أن نعمل؟ طبعاً، هناك مشكل أشار إليه الأستاذ التازي يتعلق باختلاف الاجتهادات في البلدان العربية، أنا أعتقد أنه لا بد أن نأخذ ما هو موجود، لم يستطع العرب أن يوفقوا فيما بينهم في هذا المجال، رغم أنهم أحدثوا مكتباً خاصّاً بهذه القضية على صعيد الجامعة العربية وهو « مكتب تنسيق التعريب »، فأصبح المكتب ميداناً للخصومات فيما بينه وبين من يشتغل، بحيث لم تكن هناك نتيجة، فلذلك أعتقد شخصيا أن على كل عربي أن يقوم بمجهوده الخاص ، وأن لا يتّكل على الآخر، ثم تأتي فرصة ثانية ليتم جمع ما هو منسّق وموحّد على غرار ما فعله الأستاذ أحمد الأخضر غزال في معهد الدراسات.

9 - المهدي المنجرة

نتكلم كثيرا عن اليابان، وللإشارة ففي عام 1968، أقيمت من طرف اليونسكو ذكرى مرور مائة سنة على ثورة الميجي، وهي ثورة في حد ذاتها. وهناك إجماع حول التفسير الذي يعطى لهذه الثورة اليابانية. وقد قامت:

أولا: بمحو الأمية، وثانيا ببرنامج شامل للترجمة في نهاية القرن 19، وهذا جانب له أهميته، وهو ما يدفعني إلى وضع التساؤل التالي: إنه مع الثورة التي قامت في العالم، وهي الثورة المعرفية، أصبح مفهوم العلم هذا شيئا ينتمي إلى الماضي. لقد أصبح هذا المفهوم قديما، ولم يبق العمل جاريا به. وانتهى مفهوم العلم، ودخلنا فيما يسمى بمجتمع معرفي (Une société du savoir)، وعلى حسب تقدير «رايت» فإن 90٪ من المعرفة في ميدان الحضارة الإنسانية كلها ناتجة عن عمل 30 سنة الأخيرة! فكيف يُضيّع الإنسان وقته في إيجاد الفرق بين الفيزياء والكيمياء والأسترونوميا؟ فعادة إذا تقدمت بالفيزياء والرياضيات،

وكانت لك روح الإبداع، روح الفنانين والكتاب، فإن التقدم ليس منفصلا لهذه الدرجة التي أدخلتها إلينا فرنسا بهذا الفصام، وهذه الثنائية! هذا علم Les Sciences Exactes، أما الآخر، فهو العلوم الاجتماعية والإنسانية Les Sciences Sociales et Humaines.

إذن يجب علينا أن نهتم بالترجمة كترجمة، وهي تغني بعضها البعض، ولا يمكنك أن تتقدم في ترجمة الرياضيات فقط. هذا غير ممكن، إذا لم يكن عندك أحد يعرف كيف يترجم «أ» وأحد آخر يعرف كيف يترجم «ب» إذن يجب أن نتبين من هذه الثورة الحضارية أننا في عالم معرفي!

وأعطيكم رقما آخر، وهو أن الفلاحة اليوم - ونحن مازلنا مرتبطين بنزول المطر أو عدم نزوله، وباتفاقاتنا مع أوروبا على بيع السمك إلخ -، أقول إن قطاع الفلاحة لا يمثل إلا 5٪ من الوزن في الإنتاج العالمي. طبعا كلما كانت الدولة متخلفة، كان هذا العنصر الفلاحي قويا، لكن قطاع الصناعة هو الآخر هبط مستواه من 60٪ من الاقتصاد العالمي إلى 37٪. إذن أين ذهبت البقية كلها؟ إنها ذهبت فيما يسمى بقطاع الخدمات الذي يمثل اليوم 45-46٪ من الاقتصاد العالمي. فما هي الخدمات؟ الخدمات كلها مرتبطة بعقل الإنسان، بحيث ليست فيها مادة! إذن نحن لسنا داخلين لمجتمع معرفي فحسب، بل لمجتمع رأسُ المال فيه لا يصلح لشيء. فكل المواد الطبيعية من فسفاط وبترول وغير ذلك لا قيمة لها في هذا المجتمع في غياب العقل المدبّر الفاعل.

إني متفق مع الأخ هيثم الخياط على الأهمية التي يعطيها للعنصر الثقافي والحضاري، فأي معرفة نقصد؟ إن المعرفة لا تصير معرفة إلا إذا أصبحت جزءا من الحضارة.

روني ماهو (Maheu) حينما يصف التنمية يقول: إن التنمية تكون حينما يصبح العلم حضارة وثقافة le développement c'est la science devenue culture، أما la Science لوحدها، فهي موجودة في الموسوعات، وفي C.D Rom إلخ. فإذا لم يأخذ العلم قالباً، بحيث يتلاءم ويتفاعل ويتكيف ويتماثل ويتعامل، فلن ينتج شيئا، وهذا ما يدفعني إلى أن أطلب تغيير اسم هذه الندوة، بحيث تحذف كلمة «العلمية»، مع احترامي للبحث العلمي وللموجودين بهذه القاعة.

نقطة أخرى سأتكلم عنها، وهي أننا في حاجة إلى ذلك التقدم العظيم الذي صار في الترجمة الآلية. فقبل 20 سنة كان الغلط يقدر بـ 40٪، أما اليوم فهو بمستوى 10٪، في بعض اللغات كالإنجليزية. والواقع أن المشكلة الكبيرة في الترجمة الآلية، ترجمة الحاسوب، الترجمة المعلوماتية، هي مشكلة حضارية. لأنه حينما تطرح على الآلة سؤالاً عن كيف نترجم كلمة «خبز»؟ فإن ذلك يستوجب خوارزماً Algorithme كي تعطي لمفهوم «خبز» ترجمة حضارية، وليست ترجمة واقعية علمية مادية. لأن مفهوم «خبز» له مدلول خاص في النيبّال، ويفهم بكيفية خاصة في الكواتيمالا. وبكيفية أخرى في بلد آخر، رغم أنه خبز، أي «عيش». ولكن ليس على مستوى العبارة فقط، بل في المفاهيم. وأظن أنه بعد 15 أو 20 سنة من الآن، وليس أكثر، ستكون 90٪ من الترجمة آليةً، أي عن طريق الحاسوب. وأن 10٪ من الاختصاصيين في اللغة الباقين، سيبقون على المستوى الحضاري، أي على مستوى دراسة الإشكاليات العميقة إزاء الترجمة.

وأتمنى أن تخصص ندوات في القريب عن الترجمة الآلية. لقد رأيت كثيرا من البرامج المستعملة الآن، كيف ستكون في المستقبل، وكيف ستكون أبناك المعطيات؟ والعالم كله يسير بالشبكات، لم تبق المعرفة كلها مجموعة في محل واحد، المهم هو الشبكات.

إذن داخل العالم العربي اليوم لا يقولون: أين يوجد هذا المركز؟ ليكن أين ما كان حتى في القمر! اتصالٌ مباشر وآني. إذن إذا عملنا جميعا في بنك المعطيات، هناك شيء، وهو أنك تأخذ كلمة مّا، ويعطيك بنك المعلومات كم من مرة استُعْمِلَت؟ وأين؟ في مصر أم في سوريا أم في المغرب؟ أي أن تحليل حاجيات واستعمال بنك المعطيات، يصبح هو نفسه وسيلة من الوسائل للاتفاق على المعايير بطريقة علمية، بحيث لا يمكن فرض لا طوماطيش ولا مطيشة ولا غير ذلك.

10 – محمد الكتاني

أعتقد أن تدخلات الزملاء الأجلاّء كانت بمثابة إغناء لهذا العرض الذي قدمته، حيث أُعْطيت لموضوعي أبعادٌ استفدت منها كل الاستفادة. وأودُّ أن أستخلص من هذه المداخلات الاستنتاجات التالية :

أولاً: يجب الانكباب على آليات اللغة العربية، إذا أردنا أن ننطلق انطلاقة سليمة، لتقويتها وإقدارها على استيعاب المعرفة.

ثانياً : تشجيع الإبداع هو الركن الأساس لتنمية المعرفة في العالم العربي.

ثالثاً : تشجيع الترجمة بكل اختصاصاتها، والترجمة الآلية، واعتبار أن معيار التقدم الحضاري هو المعرفة الشمولية، بحيث يصبح العرب قادرين على استيعاب ما تنتجه كل المؤسسات بلغة طيّعة وبلغة لا أقول اللغة التي كانت في القرن الثالث، ولكن بلغة تستوعب كل العلوم بكل بساطة وبكل تلقائية.

11 – محمد بنشريفة

في البداية أقدم شكري الجزيل للأستاذ الزميل عبد الهادي التازي الذي عودنا دائماً ملاحقة موضوعات متنوعة ومفيدة، كهذا الموضوع الذي حدثنا عنه الآن.

موضوع الفلك في المغرب هو موضوع أصيل، وموضوع الرصد منه بالخصوص هو موضوع عريق. فالمراكشي صاحب كتاب «المبادىء والغايات» شهرته عالمية في هذا المجال. وقد ظل علم الفلك يدرّس إلى وقت قريب في جامعة القرويين، حيث كان العلاّمة المغفور له سيدي محمد العلمي، من خاتمة المحقّقين في هذا المجال، مجال الهيأة والفلك وما يتعلق بهما.

عندي ملحوظة جزئية تتعلق بالنص الذي استمعنا إليه ، وهو بين أيدينا ، ولستُ أدري ما السبب في هذا الذي سأشير إليه : الفقرة التي استمعنا إليها من مقدمة الروض، تقول: «إنني لما نظرت هذه العلوم الرياضية التي فيها الحساب والهيئة والهندسة، وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض فيها لا يكون بمجرد

التقليد فيها. ولما كان ذلك لا بد فيه من الرصد للأجرام العلوية، بحثنا عن أقرب الأرصاد إلى زملائنا» ولا معنى لزملائنا والصواب «إلى زمننا»، لأن كتب الأرصاد كثيرة ومتعدّدة منذ المراكشي ومن بعده.

فلذلك عبّر هنا بهذه العبارة «بحثنا عن أقرب الأرصاد إلى زمننا». وهذا هو ما أردت أن أنبّه إليه. وكذلك أردت أن أشير إلى فقرة وردت في مقدمة الكتاب السلطاني المذكور وهي: « وإذا كانت العلوم مِنَحاً إلاهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يُدّخَرَ لبعض المتأخرين ما عجز عنه كثير من المتقدمين».

هذه عبارة وردت في مقدمة كتاب «التسهيل» لابن مالك، وهي عبارة أصبحت متداولة ولذلك أدرجت في هذه المقدمة.

أردت أن أقف عند نقطة تحتاج إلى بعض التوضيح وذلك إذ يقول: و«المؤسسون له قديماً. نصّ على ذلك ابن البنّاء في التلخيص وفي الأصول والمقدمات في علم الجبر، ونظمه الإمام الفاسي، ثم الإمام ابن غازي». هل الإمام الفاسي هنا هو ابن الياسمين الفاسي؟ وكلمة الفاسي ربما لا تكفي لذكره، فلا بد من إضافة كلمة ابن الياسمين لأنه بها اشتهر.

أما المسائل المتعلقة بالترجمة والتي أشرت إليها فلم أجد في الفقرة ما يؤكدها، وإنما يقول بأنه حافظ على الأسماء، على أسماء المؤلفين وأسماء الأماكن وأسماء الكتب.

وعلى كل حال، فإني أكرّر شكري للزميل العزيز على هذا البحث القيم، وإنما أثرت هذه المسائل طلباً للاستفادة وحرصاً على الإفادة.

12 – عز الدين العراقي

سؤالي هو: ماذا كان مصير هذا المجهود الفردي الذي قام به الحاج أحمد السوسي؟ فالأستاذ التازي حينما يتحدث عنه يشير من حين لآخر إلى المخطوط. معنى هذا أن هذا المجهود العلمي ربما ظل حبراً على ورق. من استفاد منه؟، هل كانت هناك مدارس تستفيد من هذه العلوم؟ هل كانت هناك

مجالس علمية تستفيد من هذه المجهودات الفردية؟ أم أن الأمر اقتصر فقط على مجهود كبير محمود خطّط في مؤلف، وبقي هذا المؤلف في الخزانات محتفظا به إلى أن اكتشفناه مؤخراً، وأصبحنا نُعلّق عليه دون أن نكون متيقّنين بأنه وقعت الاستفادة منه ووقع تطبيق ما أوحى به من اكتشافات؟ إذاً، هل نحن نتحدث عن فترة زمنية كانت فيها نهضة علمية شاملة بعلمائها وكُتبها ومدارسها وانتشار علومها على مستوى كبير والاستفادة من هذه العلوم، والتطبيقات الفكرية الناتجة عنها؟ أم نتحدث عن شيء ثمين أو تُحفة وجدناها في الخزانات ونتخذها كدليل على نهضة علمية؟

أنا لا أعرف أن هناك نهضة علمية إذا كان الأمر يتعلق بمجهود فردي، يستحق عليه القائم به كل التنويه، ولكن لا يمكننا أن نستدل بهذا على أنه كانت هناك نهضة علمية.

13 – محمد الكتاني

بدوري أهنىء الزميل عبد الهادي التازي على عرضه القيم، وهو الذي بحث في المخطوطات وفي الوثائق وقدم لنا صورة عن اهتمام المغاربة الموصول بعلم الفلك والنجوميات.

وهناك ملاحظة بسيطة ووجيزة، تصبُّ في نفس الاتجاه الذي قدم فيه الزميل محمد بنشريفة ملاحظاته، وهو أنني لاحظتُ في عنوان : «نخبة الملوك» الذي ألفه الأمير محمد بن عبد الرحمن، قال: «نخبة الملوك لمن أراد إلى الأوقات أو القِبلة سلوك»، وهو عنوان من حيث الصياغة لا يستقيم نحواً ولا لغة. لأنه يلزم أن يكون لفظ (سلوك) مفعولاً به، ولكن يستقيم ويلزم أن نُدخل عليه أل التعريفية فيصبح هكذا «نخبة الملوك لمن أراد إلى الأوقات أو القِبلة السلوك»، ونخرج من هذه الورطة.

النقطة الثانية: هي في اعتقادي أن علماء المغرب كعلماء المشرق، اهتموا بالنجوميات وعلم الفلك لعلاقتهما بالدين، وهذا شيء كان موصول الحلقات،

ولكنه كان خاصاً بمن يقوم بهذه المهمّة الدينية، ولذلك، وهذا تعليق على ملاحظة الأستاذ عز الدين العراقي، فإن الاهتمام بالنجوميات وعلم الفلك لا يدل على وقفة علمية طارئة، وإنما يدل على تواصل حلقات علماء الفلك والتنجيم في الثقافة الإسلامية قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل.

14 – عبد الله شاكر الكرسيفي

تساءل الزميل عز الدين العراقي: هل لما قام به مؤلف كتاب «تاج الملوك» أحمد السوسي أو غيره، أثر في نشر العلوم، أم إن مجهوداتهم مجهودات فردية؟ أقول للدكتور عزالدين العراقي، وهو العارف الذي يعلم، ماذا وجد أمامه من علماء الفلك وعلماء في الطب الذي هو دكتور فيه؟

الطب من العلوم التي نشرها آباؤنا وأجدادنا وعلماؤنا إلى أن وصل إلينا نحن ومعنا الدكتور عز الدين العراقي، وقد عايش الطبيب العلاّمة رئيس المجلس العلمي للقرويين السيد حسن مزّور رحمه الله الذي له مؤلفات كثيرة في الطب، لا أقول الفلك فقط .وقد ذكر الأستاذ الكتاني أن الفقيه العلمي كان من أبرز علماء الفلك، وقد نشر هذا العِلم بين من أخذوا عنه، وآخرهم أنا، وأعوذ بالله من قول أنا. فإننا والحمد لله عشنا تحت رحمة علم أولائك الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وجاهدوا في العلم من عهد سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا.

15 – إدريس خليل

تدخُّلُ الأستاذ عز الدين العراقي جعلني أوجه السؤال إلى السيد عبد الهادي التازي: هل هذه الأعمال أو هذه المخطوطات التي تركها الحاج أحمد السوسي، دُرست من طرف مؤرّخي الرياضيات والفلك، أم عثرتم عليها شخصياً وحاولتم التعريف بهذا العالِم أو هذا الأستاذ؟ لأن هناك عدّة مخطوطات ربما تختلف في قيمتها العلمية، ألا يمكن أن يعني هذا المخطوط، ربما، كتابة دروس وليست

بكتابات فيها اختراعات أو اكتشافات؟ فإذا كان الأمر لا يتعدّى أو لا يصل إلى الاكتشاف، فأعتقد أنه لا داعي للدخول في التعريف بهذا الشخص. فهل دُرست كتابات أحمد السوسي من طرف مؤرخين في الفلك والرياضيات أم لا؟

16- عبد الهادي التازي

نكتة تحضُرني في هذه اللحظة تحكي عن محدّث قال: «روينا عن النبي ﷺ: خصلتان من كانتا فيه دخل الجنة، الأولى نسيّها الراوي والثانية نسيتها أنا»، فقد تكاثرت عليّ الأسئلة ، ولذلك سأجيب عما علق بالذهن.
قبل كل شيء أشكر السادة الزملاء الأعزاء الذين علّقوا على حديثي المتواضع الذي كنت أهدف من خلاله إلى التذكير بمحاولة تاريخية للدولة العلوية، فيما يتعلق «بالترجمة العلمية».
سأبدأ من الملاحظة الأخيرة التي أثارها الأستاذ خليل، وليسمح لي بأن أقدم له المخطوطات الخمس كاملة مصورة، وأعطيها كذلك للسادة الزملاء كي ينظروا إليها. إن هذه المخطوطات تعتبر من الثروات العلمية الرائعة التي تحتضنها رفوف خزاناتنا الوطنية.
درجة هذه المعلومات المترجمة، لا أخفي عنك أنها درجة على مستوى رفيع، ولكن لم يتوفر لديّ وقت لدراستها النقدية، فقد ضاق علي الوقت لأبحث عن كتاب lalande الأصلي الذي لم أجده إطلاقاً في أية مكتبة في المغرب، لا في الخزانة الحسنية، ولا في الخزانة العامة، ولا في الخزانة الصبيحية. وأنا إن شاء الله بالمرصاد لأقف على الأصل المترجم لأعرف مدى مصداقية الترجمة.
ولكن من خلال التقديم الذي قام به الملك محمد الرابع رحمة الله عليه يتجلّى أن العمل كان جدّياً، وأن من حقّنا كما قال زميلي الدكتور عز الدين العراقي، أن نتساءل لماذا ما يزال هذا المخطوط قابعاً على الرفوف؟ كان ينبغي أن يُنشر ليعرف كنموذج واعد في ذلك الوقت للترجمة العلمية.
هناك سؤال أثاره كذلك السيد عز الدين العراقي من أن هذا العمل لا يدل على

أن هناك نهضة علمية. أرجو من زميلي الأستاذ عز الدين العراقي أن يرجع إلى القرارالخطير الذي أصدره محمد الرابع إلى جامعة القرويين في ذلك الوقت، والذي يحدّد فيه مهمّة المدرّسين، ومهمة الطلبة، ويركّز على ضرورة إعطاء العلوم حقّها. وأنتم تعلمون أن جامعة القرويين بفاس، كانت تمثل القلب النابض للمغرب كله. العلماء فيها يتبارون، فلذلك سيكون جوابي بالإيجاب على أنه كانت هناك نهضة علمية حقّاً، لكن معركة إيسلي التي ذكرتها قصداً تبعتها قضية احتلال تطوان من قبل الإسبان، وهلم جرا، بحيث تكاثرت الصدمات،

فلو كان سهم واحد لاتّقيته ولكنه سهم وثان وثالث

بالنسبة لتعليق الزميل الأستاذ محمد بنشريفة، كان هناك خطأ مطبعي ينبغي لإخواننا هنا أن يصلحوه. وفيما يتعلق بملاحظة أنه لا يُفهم من النص أن المصطلح ينبغي أن يحترم شخصياً، أفهم أن هذا موجود لأن الرجل الذي ينصّ نصّاً على أنه احترم أعلام الأشخاص، واحترم أسماء المواقع الجغرافية، ورسم في داخل الكلام المصطلحات كما هي، (وسأعطي للسادة الأجلاّء نص المخطوط حتى يروا احترام الألفاظ التقنية التي وجدت عند lalande. هذا كله يدل على أن الرجل كان له مبدأ في قضية احترا المصطلحات العِلمية على نحو ما فعله ابن جُلجُل في العصور الوسطى.

17 - أحمد جوهري

ليسمح لي الاستاذ أحمد الأخضر غزال بمناقشته واستشارته في بعض المصطلحات، ثم إبداء بعض الملاحظات حول مسألة توحيد المصطلح ونقل المصطلح الأجنبي إلى العربية.

لقد وضع الأستاذ أحمد الأخضر غزال مصطلح «حرفلة» مقابلا للمصطلح الفرنسي "siglaison"، وهو نحت لكلمتي «حرف» و«أول» على غرار «حوْقَل» و«بَسْمَلَ». ولكن الملاحظ أن مصطلح "Siglaison"، يدل على عملية لا تخص تركيب كلمات من الحروف الأولى فقط، بل أحيانا بالاعتماد على مقاطع كاملة

وإسقاط أخرى، وأعطي مثالا بـ "Sofaris" التي تدل على S ociété Française d'Assurance contre le Risque du Capital وتلاحظون أن الكلمة مركبة من مقطع «So» من «Société» وحروف أولى «F» من «française» و"A" من "Assurance" ومقطع أول Ris من "Risque" وتم إسقاط كلمة Capital. معنى هذا أن مقابل «حرفلة» لا يفي بدلالة كل استعمالات المصطلح الفرنسي: Siglai-son.

واسمحوا لي الآن أستاذي الفاضل أن أسألكم بماذا تترجمون Lexicographie ؟ وما رأيكم في وضع مصطلح «قِماسة» مقابلا لها؟ وهو مأخوذ من الفعل العربي «قَمَسَ» ووزن فِعالة الذي يدل على الصناعة، والأمر هنا يتعلق بصناعة القواميس، والشيء نفسه بالنسبة لمقابل «صِلاحة» بالنسبة للمصطلح Ter-minographie أي صناعة معاجم المصطلحات.

وفيما يخص مسألة نقل المصطلح العلمي إلى العربية، فقد تحدثتم بتفصيل في بحثكم عن بعض التوجيهات القيمة الخاصة بمنهجية صياغة المصطلح العربي، كما أن الأستاذ الفاضل محمد الكتاني أفاض الحديث وقام بجولة تاريخية دقيقة عن تقنيات العلماء والمترجمين العرب القدامى في هذا الصدد، كما لا تخفى الجهود التي تبذلها مجامع اللغة العربية ومنظمات تنسيق التعريب في عملية التقعيد لصياغة المصطلح المقابل للمصطلح الأجنبي حيث ما فتئت تؤكد الاهتمام بالتراث اللغوي أولاً ثم بالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق.

ولكن ما أود ملاحظته هو اقتصار هذه الجهود والتوجيهات والمبادئ التي تصل إليها المجامع على تقنية صياغة المصطلح في اللغة العربية. في حين تغفل جانب تقنية استخلاص خصائص المصطلح ومفهومه في اللغة الأجنبية. فلا تشير إلى ضرورة مراعاة بعض العناصر المنطقية الخاصة بالبنية المفاهيمية التي ينتمي إليها المصطلح، ولا إلى العلاقات المنطقية التي تربطه بمصطلحات مجاورة حتى يتم تفادي الاشتراك والالتباس عند ترجمة المصطلح إلى العربية. ولكن أوضّح بعض الأخطاء الفادحة في وضع مقابلات للمصطلح الأجنبي الناجمة عن الجهل بهذه العلاقات المنطقية والنسقية للمفهوم الاصطلاحي، أعطي مثالا بمصطلح

Triton، وهو حيوان ينتمي إلى طائفة البرمائيات، ضمن رتبة الذيليات Urodèles إلى جوار نوع آخر هو: Salamandre. فقد تمت ترجمة هذا المصطلح في المعاجم المزدوجة تارة بسمندل ماء، وأخرى بضفدع ثعباني.
أما الترجمة الأولى فتجعله نوعًا للسمادل، في حين أنه يقع في نفس المستوى معها وينتميان معا إلى الذيليات في إطار علاقة التبعية المنطقية أو علاقة النوع بالطائفة Classe.
والترجمة الثانية «ضفدع ثعباني» تجعل Triton نوعًا للضفادع من جهة وتلحق به سمات طائفة أخرى «الزواحف» من خلال صفة «ثعباني» من جهة ثانية.
ونحن نعلم أن الضفادع Grenouilles تنتمي إلى رتبة أخرى مختلفة من البرمائيات هي رتبة «عديمات الذيل»، كما نعلم أن الزواحف تختلف في خصائص جلدها وتنفسها عن البرمائيات. وهكذا تتبين أهمية مراعاة العلاقات المنطقية لمفهوم المصطلح ووضعه داخل الجدول المصطلحي، وليس فقط خصائصه. وقبل أن نراعي مبادئ صياغة المصطلح في العربية، وبعبارة موجزة ينبغي أن تنتبه إلى توصيات مجامع اللغة الموقرة وهيئات تنسيق التعريب، إلى الجانب المنطقي لمفهوم المصطلح، وليس الجانب اللساني فقط.
فيما يخص مسألة توحيد المصطلح، ما ألاحظه هو أننا نكثر الحديث عن توحيد المصطلح ومنهجية صياغة المصطلح، وهذا شيء محمود وصحي، ولكننا نغفل وسيلة إجرائية لهذا التوحيد، وهي الوسيلة التعليمية. أقصد توحيد مقررات ومنهجية مادة المصطلحية في التعليم الجامعي، وفي إطار أستاذ المصطلحية، وأعتقد أن البداية هي من مناهج التعليم وتنسيقه مع مجامع اللغة وهيئات التعريب.

18- عبد الهادي التازي

أنوه بالعرض الذي قدمه الأستاذ أحمد الأخضرغزال الذي نعرفه باقتناعه الكامل بما يدعو إليه، باقتناعه الكامل أيضاً بأن النجاح سيحالفه. أنا أهنئه على حماسته التي لمستُها فيه منذ سنين.

ذكّرني تدخله الأول بحالة لطيفة عشناها في المغرب في أواخر القرن الماضي، عندما ظهر التلغراف أول مرة. كان المغاربة مضطرين، وبالأخص الدولة، لاستغلال هذا الابتكار. وحاولوا أن يستغلوه عن طريق إرسال برقيات باللغة العربية. لكن اللغة العربية لم تستوعبها الآلة! يعني أن الحروف العربية لم تقبلها آلة التلغراف. فهل وقف المغاربة عاجزين واستغنوا عن التلغراف؟ لا! لقد ابتكروا شيئاً طريفاً جداً وهو أنهم وضعوا الكلمات أو المفردات المستعملة في المغرب (مثلاً : الملك، الوزير، الدار، المدينة ...)، جعلوا لكل كلمة رقماً، ثم أتوا إلى الجُمل الكثيرة الاستعمال ودوّنوها كذلك، وجعلوا لكل جملة رقماً، مثلاً رقم الملك 55، رقم ولي العهد 56 إلى آخره. بهذه الطريقة استطاع المغاربة أن يستفيدوا من التلغراف في أواخر القرن الماضي، وفي أوائل هذا القرن. وفي استطاعة زملائنا هنا أن يقفوا على رسائل محرّرة عن طريق الأرقام فقط. ولكن لما تقرأ الرقم، تشعر بأنك أمام معلومات لا يطّلع عليها إلاّ من تريد، وليس من لا تريد.

19 ـ المهدي المنجرة

لا يحتاج الأستاذ الأخضر غزال إلى التنويه، لكنني أريد أن أشهد بشيء، وهو أنه في سنة 1975، أي قبل 20 سنة، دخل إلى مكتبي في اليونسكو وبدأ يتكلم عن أهمية الإعلاميات وتطور الحرف العربي واللغة العربية، وكنت آنذاك مكلفا من طرف نظام الأمم المتحدة كله بدراسة جدوى إدخال الإعلاميات إلى نظام الأمم المتحدة بتعاون مع كندا في برنامج اسمه: D.E.V.S.I.S وفي ذلك الوقت كانت مشكلتي مع الدول النامية، وكانت مع من يُسمون أنفسهم خبراء، وكان عدد منهم يتكلم عن الإعلاميات كشيء يجب أن ننتظره 20 أو 30 أو 40 أو 50 سنة. وأتكلم عن أناس في المستوى العالي (من كوليج دوفرانس، ومن الأكاديمية الإنكليزية، ومن الأكاديمية الروسية بالاتحاد السوفياتي سابقا).
وفي ذلك الوقت كان شخص عربي مغربي يمكن أن يستنتج الإنسان من تجربته

كل شروط النجاح، وهو أحمد الأخضر غزال: أولاً في الرؤيا، أنا دائما أقول إن التخلف هو عدم وجود رؤيا، والأخضر غزال، كانت له رؤيا، ولازالت إلى حد الآن. وكانت هذه الرؤيا طويلة الأمد، بحيث لم تكن مرتبطة بمنصب إداري ككونه وزيرا أو مدير مركز، لأن هذه كلها مسائل آنية، ولكن لما تكون هنالك رؤيا يكون هناك حماس، وحينما لا يكون هناك حماسة فالرؤيا لا قيمة لها. والشيء الثالث هو النضال، وهو الجمع ما بين الرؤيا والحماس، الرمز والنتيجة من هذه الأشياء تتجسد في العمل، وهو الأمر الأساسي. واسمحوا لي أن أقول شهادة في حق هذا الرجل، فمنذ بداية الاستقلال إلى الآن، والشخص الوحيد الذي أعرف أنه متمسك بنفس الفكرة وبنفس الاقتناع والمثابرة هو أحمد الأخضر غزال.

20 – فاطمة الجامعي

عمل كهذا جادّ ومثمر ومتميّز احتاج إلى توقف في زمن معيّن، وفي مادة معيّنة، لأن كل الإحصائيات أو كل مكْنَنَة تحتاج إلى حصر حجم النصوص والمادة، إذاً المادة محصورة فيما قدمتموه وما اطلعنا عليه من قبل.

سؤالي هو: بعد هذه المادة، و كل يوم تتوارد علينا كثير من المصطلحات الإنكليزية والتقنية وغير التقنية والأدبية والفلسفية الخ...، هل هناك مواكبة في نفس المنهج من طرف مجموعة تشرفون عليها حتى لا يتجاوز الركب مرة أخرى ما جدّ في السوق التقنية والعلمية والأدبية؟ وأعتقد أنكم تسهرون على المواكبة، أم أن الأشياء شبه محصورة إلى هنا، وستتراكم أشياء أخرى بالنسبة للأجيال المقبلة، ولا أودُّ أن يكون ذاك هو الأمر، وكلي أمل في أن نتابع المسيرة.

21 – مصطفى بنونة

كَتِقْني أريد أن أوجه سؤالاً إلى السيد أحمد الأخضر غزال : بالنسبة للحاسوب، حينما تُدخل كلمةً كي تستخرجَ الجواب، لأن بنك المعطيات هذا

عندك مهم جداً، كم من الوقت يتطلّب ذلك ؟ أي كم من الوقت يتطلب الجواب لما تضع السؤال ؟
ثانياً: لاحظنا في بعض المتاجر، في أوروبا مثلاً أو أمريكا، بأن هناك «كومبيوتر بوكيت » فيه عدد من اللغات، وهناك حتى اللعب للأطفال، فهو يشمل عدداً من الكلمات تُعدّ بالمآت أو بالآلاف مترجمة مثلاً من الفرنسية إلى الإنكليزية، هل هناك بحث، أو هل يوجد الآن نوع من هذا الكومبيوتر بّوكيت بالنسبة للغة العربية؟ وأظن أن هذا النوع قد يساعد الأطفال على تعلُّم اللغة العربية أو لغة أخرى؟

22 ـ عبد الهادي التازي

أهنئ الأستاذ أحمد جوهري على هذا التدخل القيم الذي فتح أعيننا على كثير من النواحي المتعلقة بالترجمة، وأوجه له ثلاثة أسئلة: السؤال الأول ربما يعتبره البعض تكميليا وأعتبره أساسيا، أن يتحدث لنا عن هذه المدرسة العليا للترجمة بمكناس. فمعلوماتي عنها قليلة ، ويبدو من خلال ما استمعنا إليه أنها مدرسة واعدة إن شاء الله.
الأمر الثاني أشار السيد أحمد جوهري وهي ضرورة تحسيس التراجمة قبل أن يباشروا مهمة الترجمة. هذه النقطة أعتبرها من الأهمية بمكان.
نحن في الأكاديمية مثلا تعودنا على أن نختار التراجمة الموجودين في الساحة، وكم تكون مواضيع الأكاديمية مختلفة من موضوع إلى موضوع.
وحسب ما بلغني عن المجموعة الأوروبية وعن l'unesco أنها تقوم قبل أن تستدعي هؤلاء التراجمة لمباشرة عملهم، أقول: تقوم أمامهم بدور تدريبي لما ينتظرهم. فمثلا، الأكاديمية تبحث مواضيع مختلفة: كالإنجاب الاصطناعي، ثم تبحث في موضوع فلسفي آخر، ولا يمكن أن يقوم هذا الترجمان نفسه بالترجمة بصفة ناجحة في المواضيع المختلفة. لذلك أرى أنه من المناسب التنصيص على ضرورة تحسيس التراجمة بما ينبغي أن يقوموا به.
السؤال الثالث أوجهه للسيد أحمد جوهري: في نظرك، ترجمة القرآن، هل تدخل في خانة الترجمة العلمية أو الترجمة الأدبية أو هما معا؟

23- محمد الكتاني

أضم صوتي للزميل الأستاذ عبد الهادي التازي في تهنئة الأستاذ الجوهري على هذا العرض القيم، وأعتبر أن هذا العرض قد حقّق البعد التطبيقي وفي منهجية نابعة من الممارسة العلمية. وبوصف الأستاذ الجوهري ممارساً لهذه المهمة، فقد استطاع أن يطلعنا على خصوصيات الممارسة تجاه نصوص متعددة الخطاب. وقد استفدت الكثير من هذا العرض، وفي مقدمة ذلك، حسب ما ورد في المدخل، أن هناك دروساً للترجمة في مدارسنا الثانوية، وأن هناك دروساً للترجمة في المدارس العليا، وهذا شيء يستحق التنويه بالنسبة للتكوين اللغوي في بلادنا، حيث إننا فعلاً منذ عقود من السنين، نعتبر أن الترجمة مادة تعليمية أساسية ينبغي أن تندرج في برامج المؤسسات الثانوية والعادية. فهذا الجانب ينبغي أن نهتم به، وأعتقد أن أكاديمية المملكة عندما اقترحت هذا الموضوع لجعله من موضوعات ندواتها، فإنها تستجيب بذلك، ليس فقط لهاجس ملاحقة الركب الحضاري من الناحية العلمية، وإنما تتجاوب مع مؤسسات تُطرح عليها معطيات ومشكلات. لا شك في أن المهتمين بالترجمة في بلادنا في مستوى التعليم الثانوي سيفيدون ممّا قيل أو نوقش عنها في هذه الندوة أيما إفادة.

بعد هذا سمعت المتدخل الكريم يتحدث مفرقاً بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية ونظرية التأويل، ملاحظتي هي أن الترجمة العلمية والوصف العلمي هنا يطلق على الموضوع المترجم، وليس على الممارسة مهما كانت درجتها من التطابق مع موضوعها. فحينما نتحدّث عن الترجمة العلمية، نتحدّث عن ترجمة ما هو علمي، ولا نصف هذه الترجمة بالعلمية. وإذاً ففي تصوري أن هناك فكراً ولغة، وأن الفكر يتعامل مع اللغة، لكن هذا الفكر الذي يلابس اللغة وهذه اللغة التي تلابس الفكر بينهما وسيط، هذا الوسيط إمّا هو الذات، وإما هو الموضوع. فالترجمة العلمية تعني نقلاً دقيقاً لمعلومات، وتعني وصفاً لحقائق خارجية في العالم الخارجي. أتصور مثلاً ترجمة نص عن «الخلية» من الناحية

البيولوجية، هنا يكون دور المترجم مماثلاً لدور المفكر العلمي قصاراه أن يصف ويقارن ويلاحظ الخصوصيات مثلاً لنواة الخلية، لتسلسلات مكوناتها والعناصر الكيميائية فيها إلى غير ذلك.

هنا يقف الفكر تجاه موضوع خارجي، يلاحق ما هو موجود في العالم الخارجي، ويطلق عليه من اللفظ بدقة ما يتطابق مع ما يراه الفكر. والمترجم في مجال العلم، يكون دوره أن يتتبع المحتوى العلمي في البحث لينقله إلى لغة أخرى من غير تدخل ذاتي في تأويله. أما في الترجمة الأدبية، فإن الفكر هنا يعبّر عن أشياء غير محسوسة، أشياء اعتبارية وانطباعية ذاتية. إذن أنا هنا أتساءل: هل الترجمة العلمية تحتاج إلى أكثر من لغة دقيقة وفهم دقيق للخطاب العلمي نفسه؟ إننا كلما اقتربنا من العلمية أصبح المترجم حيادياً، وكلما اقتربنا من الفكر الأدبي إلاّ فقد المترجم حيادية الفكر، وبالتالي فقَدَ حيادية اللغة.

24- فاطمة الجامعي

أنطلق من حيث انتهى الأستاذ محمد الكتاني، فيما يتعلق بتأويل النص العلمي. فكلما كنا قريبين من البحث العلمي، كانت القضية واضحة ومدققة. وأعتقد أن الأستاذ الجوهري، إذا لم أخطئ الفهم، قصد «بتأويلية النص العلمي»، النص العلمي المتداول Vulgarisé لأن النص العلمي على درجتين، هناك نصوص مختصة ومدققة لا يفاهمها ولا يشتغل بها إلا المختصون. وهناك النص العلمي في المجلات والجرائد، وعلى الشاشة والصحافة، أي النص العلمي المتداول، وهنا لا بأس من تأويلية النص إلى حدّ مقبول.

أثار الأستاذ الجوهري قضية التشبّع بروح البيئة في تأويل النص، أو في ترجمة النص، لأن البيئة لابدّ أن تكون من المساعدات أو من العوامل التي تساهم في ترجمة النص. والبيئة التي نعيشها في المغرب بالأخص، ما عدا تحت قبّة الأكاديمية الموقرة التي تبذل جهداً في أعوص المشاكل وأعوص المواضيع كي تكون العروض مقدمة باللغة العربية مهما كانت الظروف، ماعدا

هذه القبة فإن الجمعيات والمنتديات وكل القطاعات الخارجة عنها مهما كانت، بمجرد ما يكون موضوع الندوة قريباً من العلم (وليس علمياً)، اقتصادي أو شبه علمي أو له صلة علمية إلاّ وتسابقت الأقلام وتسابقت العروض إلى اللغة الفرنسية وإلى اللغة الإنجليزية، ولا يبذل إلا مجهود قليل جداً في القيام بالعروض باللغة العربية في هذا المجال. إذاً أين هي البيئة التي ستساعد على تشبع الطلبة أو التلاميذ أو الأمة بروح عربية في الميدان العلمي؟ بالإضافة إلى ذلك فالشاشة في أغلب برامجها الشعبية تتناول مواضيع علمية، تقنيات في الإشهارات، في اللوحات الفنية التي تعرضها، وتستعمل مصطلحات ليست عربية، وكذلك الأمر بالنسبة للصحافة. إذاً أين هي البيئة التي تساعد على رواج المصطلح العلمي أو على وجود بيئة مساعدة على ذلك؟

الأستاذ التازي تساءل عن أين نضع ترجمة النص القرآني هل هي علمية أم أدبية؟ أقول إن ترجمة النص القرآني هي فقط محاولة تأويلية لمعانيها وتقريبها من الذين لا يتكلمون العربية، لأن النص القرآني لا يترجم أصلاً وهو مقدس عن الترجمة.

بالنسبة لنص الخطاب السياسي، هل هو نص علمي أم هو نص أدبي؟ أعتقد أنه بين بين، لأن فيه جوانب أدبية كبيرة، ولكن العلمية في شيوع المصطلحات، بل كثير من المصطلحات العالمية المتداولة كالديموقراطية والدستور الخ... لا تعفى من الصبغة العلمية.

25 ـ المهدي المنجرة

التخوف الكبير في المستقبل هو أن هناك استعماراً للخيال. لم يبق هناك استعمار فكري أو استعمار اقتصادي. الآن محطة واحدة للتلفزيون N.B.C استولت على 70٪ من البرامج التي توزع في العالم. وعلى ما أعتقد، ففي هذا الأسبوع سيعقد أكبر اتفاق ما بين Microsoft، وهي شركة للإعلاميات وN.B.C للتلفزيون، وسيكون لسوقهم 70٪ من كل ما هو سمعي بصري إعلامي. قضية

الخيال هذه مهمة لأنه من قبل كانت 90٪ من المعرفة تتبادل عن طريق الكلمة، بحيث تترجم جملة مكتوبة إلى جملة أخرى مكتوبة. والآن فإن 40٪ تقريباً من المعرفة والتبادل والخيال والحلم والواقع تأتي عن طريق الصورة ! هل الترجمة الآن معناها ترجمة كلمة بكلمة ؟ أم هي ترجمة إشارات ونحو جديد لهذه الكلمات ؟ قضية الخيال مهمة جداً، ويمكن لك أن تدرك أنه إذا استُعمرتَ سياسياً فإنك تتحرك بسهولة، وكذلك الشأن حين يكون الاستعمار اقتصادياً، لكن لمّا تُستعمر ثقافياً أو حضارياً فإن الرموز التي تتحرك بها من الصباح إلى المساء يسيّرها شخص آخر بعيد عنك. لهذا فقضية الخيال مهمة، والحمد لله أنها أثيرت في هذا اللقاء.

نقطة ثانية وهي ذات صلة بالمستقبلية. إذا أخذنا الآن أساتذة أو تلاميذ هم في طور التكوين في الترجمة، هؤلاء سيصبحون جاهزين للعمل بعد 15 سنة نسبياً، أي سنة 2010. كيف سيكون العالم في 2010 ؟ آخر إحصائيات البنك العالمي تقول: إذا أخذنا الدول السبع الصناعية، أولاً: سنلاحظ بأن كندا والمملكة المتحدة وفرنسا سيخرجون من مجموعة الدول السبعة، وسيدخلون إلى طبقة أخرى. وسيصبح الترتيب كالتالي: الولايات المتحدة ستبقى في المرتبة الأولى في الاقتصاد العالمي، ولكن حتى الولايات المتحدة التي يقدر وزنها اليوم في الاقتصاد العالمي بـ 27٪، بعد 15 سنة، سينزل هذا الوزن إلى 16٪. القوة الاقتصادية الثانية والتي أُلحُّ عليها في عام 2010 ستكون هي الصين. القوة الثالثة ستكون هي اليابان، القوة الرابعة ستكون هي الطايوان التي أسميها صحراء الصين، القوة الخامسة ستكون هي روسيا. بعدها ستجد الهند وستجد أندونيسيا وبعض الدول الأفريقية.

لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن الوزن الاقتصادي له علاقة بالإنتاج العلمي والفكري. هل سنستمر في تكوين الأساتذة الذين يترجمون من الفرنسية وإليها؟ ما هو وزن هذه اللغة من الناحية العلمية في الإنتاج الحقيقي بغض النظر عن تمجيدها من قِبل بعض الناس؟ إحصائياً، إذا أخذنا ميدان البيولوجيا أو الكيمياء أو غيرهما، فلن نجد من نصيب الفرنسية إلاّ 5٪ من

الإنتاج العلمي في العالم. و90٪ من العلماء الفرنسيين الذين ينشرون في مركز البحث العلمي الفرنسي ينشرون بالإنجليزية. فلا يمكن الاعتراف بك في ميادين الكيمياء والفيزياء أو في العلوم الأخرى إذا لم تنشر في المجلة الفلانية الاختصاصية في الولايات المتحدة أو في المملكة البريطانية. إذن، هذه الحماية الفكرية، مثل ما قالت الأخت فاطمة الجامعي، مازالت مسؤولية علينا. فإذا كان لابد من الاستعمار فاتركني أُستعمرُ بما يفيدني، لهذا أقول: إن قضية الترجمة وتهييء الأساتذة للمستقبل، يجب البدءُ فيها من الآن. إذا أردت أن تكوّن أناساً باللغة الصينية، وهو أمر ربما يُضحك بعض الناس، فنصف الإنتاج العالمي سيكون بالصينية، وهذه الدول ستتقدم لأن أهلها يشتغلون بلغتهم! كل شيء علمي في الصين، يكتب ويدرس بالصينية! وفي الطايوان نفس الشيء وفي اليابان نفس الشيء! إذاً يجب أن نفكر في التحرّر أولاً لأنه في مصلحتنا، وهذه قضية عملية. ما هو وزن هذه الفرنسية ؟ إلى أين ستبقى 70٪ من الجهود التي تبذل عندنا في مدارسنا، إنّها تضيع في الترجمة من وإلى الفرنسية؟ بعض المواضيع التي تترجم إلى الفرنسية تكون قد كُتبت عشر سنين من قبل بالإنجليزية، وبعد ذلك تُترجم إلى الفرنسية، ثم آتي أنا لأترجمها إلى العربية، فأكون بذلك أزيد في تخلفي.

فهذا سؤال سياسي بيداغوجي بالمعنى الحقيقي للكلمة ! إذاً من الآن يجب أن نتهيأ لهذا التغيير الذي سيقع ولهذه السيطرة التي ستكون. ولا ننتظر حتى تأتي المشاكل ثم نفكر فيها؟

26ـ أحمد الحطاب

لديّ تعقيب بسيط على ما قاله الأستاذ محمد الكتاني، فيما يخص المقارنة بين الترجمة في مجال العلوم، والترجمة في المجال الأدبي بصفة عامة. قال إنه بالنسبة للترجمة في مجال العلوم هناك حياد، أي حياد الباحث بالنسبة لما ينتجه من معرفة، بينما العكس فيما يخص مجال الأدب. قد لا أكون متفقاً مع

هذه الفكرة بحيث إن الباحث كيفما كان نوعه، في مجال العلوم أو في مجالات أخرى، فالمعرفة التي ينتجها لا يمكن أن تنفصل عن (la subjectivité) التي تبينت فيما بعد، خصوصا من خلال تاريخ العلوم. مثلاً إذا أخذنا فيزياء نْيُوطُنْ نجدها قد تأثرت بما كان يروج في الوسط الذي كان يعيش فيه، بحيث نجد فيها بعض التأثر من اللاّهوت (Théologie). بينما تبيّن أن نظرية دارْوين لم تُشتقّ مباشرة من ملاحظة الطبيعة، ولكن من مخالطة دارْوين لمربيي الماشية على الخصوص. إذاً ليس هناك حياد أو موضوعية بالنسبة لإنتاج العلوم، وفي الوقت الحاضر فإن العالِم يتأثر كذلك ببيئته قبل أن يتأثر بالشيء الذي يلاحظه. ولكن هناك أشياء وخصوصاً في علوم الفيزياء، وكذلك في العلوم الطبيعية لا تلاحظ بينما تستنتج. إذاً هناك كذلك تأويل، والدليل على ذلك أن العديد من النظريات التي كان يعمل بها في السابق اندثرت وماتت لأنها تطورت مع تطور الفكر البشري.

ثم لي سؤال أوجهه للأستاذ الجوهري، بعد العرض القيم الذي تقدم به عن تحليل النص، وأظن أنه يقصد بذلك (Le contenu). عندما نتطرق للترجمة، أعني ترجمة العلوم من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، فإن المترجم في غالب الأحيان لا يجد من مخرج إلاّ الاجتهاد. وعندما نستعمل النص لضمان (Le contenu)، فهذه الطريقة قد تحول دون الاجتهاد لأن هناك إطاراً معيناً يتبعه محلّل النص ولا يمكن أن يخرج عليه فاللجوء إلى التحليل النصي قد يعوق الابتكار والاجتهاد.

27- الفاضل البقالي

تدخلي يتعلق بمفهوم العلمية الذي كثيراً ما استعمل في المناقشات. وقد أشار الأستاذ محمد الكتاني إلى هذه المسألة حين تساءل عن محل ترجمة القرآن الكريم بين الترجمتين العلمية أو الأدبية.

تساؤلي هو ماذا نعني بالعلمية ؟ هل نقصد بها المعرفة المتعلقة بالفيزياء

والرياضيات...الخ ؟ أم أننا نعني بالعلميّة مطلق مدلولها في إطاره النسبي؟ المسألة فيها من الغموض ما يحتاج إلى توضيح، خاصة وأن ذهن القارئ أو السامع غالباً ما ينصرف إلى المعرفة الفيزيائية والرياضية...الخ، ويزيل من تصوره المعرفة المتعلقة بالتخصصات الأخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة...الخ رغم استخراج نتائجها بطريقة علمية دقيقة، وأتبنى هنا موقف الدكتور المهدي المنجرة.

في تصوري المتواضع ينبغي، أولاً وقبل كل شيء، تحديد المفاهيم تحديداً دقيقاً ثم إضافة نوع المعرفة التي نريد معرفتها، وبذلك نزيل الغموض الذي يمكن أن يقع فيه القارئ أو المستمع.

28 ـ محمد أوكامادان

أبدأ ببعض الملاحظات حول بعض المفاهيم التي وردت في عرض الأستاذ أحمد جوهري ولازالت تثير النقاش رغم أنها في الحقيقة مبادئ بالنسبة للمتخصصين. وقد شرح المحاضرُ نفسُه ماذا يقصد بالترجمة العلمية. يقصد بها ترجمة النصوص العلمية أو الخطاب العلمي كما سمّاه. والترجمة العلمية في الحقيقة جزء مما نسميه نحن في «مدرسة الملك فهد العليا للترجمة»، بالترجمة المتخصّصة. والترجمة المتخصّصة بهذا المفهوم هي ترجمة جميع النصوص المتخصّصة أياً كان العلم أو التخصص الذي ينتمي إليه، سواء كان علم النفس أو التاريخ أو الجغرافية أو الفقه أو القانون أو أي علم من هذه العلوم، وكلها تعتبر نصوصاً متخصّصة، وهي غير النصوص العلمية بهذا المفهوم.

والمفهوم الثاني الذي دار في هذا النقاش هو مفهوم التأويل. أشار المحاضر إلى نظرية التأويل في الترجمة وهي في الحقيقة ليس لها معنى التأويل بالمفهوم الفلسفي، ولكنها في الحقيقة بالفرنسية: (La théorie interprétative de la tra-duction) وهي بكل بساطة النظرية التي تعتمد على أهمية المعنى في الترجمة،

على نقيض النظرية المقارنة التي تنظر إلى الترجمة على أنها نقل لمفردات اللغة. هذه النظرية تعتبر المعنى هو أساس الترجمة، يحاول المترجم من هذا المنظور نقل ما يريده صاحب النص، إذ هو ينقل لنا القصد الكامل من خلال ما يكتب، والقصد والنظريات بينهما تناقض كبير جداً من حيث تصورهما للترجمة. وبالتالي فلا يمكن لمدرّس الترجمة أن يجمع بين هاتين النظريتين المتناقضتين، ولابد أن يأخذ بإحداهما فقط.

29ـ أحمد جوهري

قلت في البداية إنني لا أقدم أجوبة شافية، وإنما أقدم أسئلة جيلي في هذا الميدان. ولكن رغم ذلك سأحاول أن أتعرض لبعض النقط.

الأستاذ عبد الهادي التازي سألني عن المدرسة العليا للأساتذة بمكناس، وأنا لا أستطيع أن أحدثكم عن تجربتها التاريخية لأنني التحقت بها منذ سنتين فقط، ولكنني أقول لكم إنها تتوفر على أزيد من 40 أستاذاً تقريباً، وأُحدثت بها شعبة الترجمة منذ سنة 1989، وهذه المدرسة ما زالت تعاني الكثير، فيما يتعلق بشعبة الترجمة من حيث فقر مكتبتها خاصة فيما يتعلق بمجال المصطلح ومجال الكتب النظرية المتعلقة بالترجمة. وأريد أن أستغل هذه المناسبة لأوجه دعوة إلى أستاذنا الفاضل أحمد الأخضر غزال لكي يتمّ أجر عمله النيّر من خلال المعجم الموحد الذي توصل إليه، وأن يُرسل هذه المعاجم إلى معاهد التكوين، وخاصة المعاهد والمدارس التي تتوفر على شعبة للترجمة، لأننا نعاني ونتعذب ونعيش شتاتاً في عملية تحرير المصطلح.

بالنسبة للسؤال الآخر، عن ترجمة القرآن، هل تَدْخُل في خانة الترجمة الأدبية أم العلمية، أم هما معاً؟ لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. لماذا؟ لأنني قلت بأننا لا نتوفر على نمذجة دقيقة للخطاب العلمي، أنا عندما تكلمت، وفي هذا أجيب عن مجموعة من التساؤلات التي طلبت تحديد المفهوم العلمي ومفهوم الترجمة العلمية، قلت أتطرق لهذا المفهوم في بُعده التداولي، يعني ماذا نقصد

به في ممارستنا؟ ولم أتطرق للمفهوم من زاويتي أنا، بل قلت إننا لا نتوفر على نمذجة دقيقة للخطاب العلمي تشمل مستوياته السيمية المعقدة، يعني التلفظ والتلقّي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي وغيرها من المستويات. ولذلك لا يمكنني أن أصنف حتى لا أتناقض مع نفسي. ولكنني أستطيع أن أسألكم سؤالاً آخر هو: عن أية ترجمة تتحدثون؟ أعن ترجمة حميدُ الله أو عن ترجمة دونيز ماسّون؟ وفي غياب هذه النمذجة حاليا، أعتبر ما قام به هؤلاء تأويلاً معرفياً، وقد أشارت الأستاذة العالمة الكاثوليكية دونيز ماسون رحمها الله بعنوان مذهّب على ترجمتها قالت: (Interpretation du Coran Inimitable).

الأستاذة فاطمة الجامعي ذكرت البيئة، وأنا لم أستعمل مصطلح البيئة رغم أنني أزكّي كل ما قالته عن فقر البيئة العلمية وعن الخصاص الذي تعانيه ويعانيه أيضاً مدرّس الترجمة. وقالت أين نضع الخطاب السياسي ؟ وأنا لا أستطيع أن أصنف كما قلت سابقاً حتى لا أتناقض مع نفسي، هل نضعه في الخطاب العلمي أو نضعه في شيء آخر ؟ لأننا لم نتوفر كما قلت على النمذجة الدقيقة.

الأستاذ المهدي المنجرة لم يوجه إليَّ أسئلة، وقد طرح آراء نيرة حول الخطوات العملية التي ينبغي اتخاذها، وخاصة فيما يتعلق بالتفكير في المشاكل التي تواجهها اللغة الفرنسية في العلوم حالياً، وقد نبهت الى هذه المسألة في دراسة متواضعة حول ديداكتيك الترجمة.

الأستاذ الحطاب قال: «التحليل النصي يعوق الاجتهاد»، وأنا أخالفه لماذا ؟ لأنه في نظري يهذبه ويشذّبه ويعصم المترجم من الزّلل، ولأن الاجتهاد في الترجمة له حدود، بحيث لا يكون عشوائياً. واعتماد الخيط الموجه لمضمون الخطاب ودراسة الحقول الدلالية والحقول المعجمية في مستوياتها المشتركة تساعد المترجم على تهذيب اجتهاده وليس على إعاقته.

بقي الأستاذ البقالي، وقد أجبته فيما يتعلق بالعلمية والترجمة العلمية، بنفس ما قلته، لأننا لا نتوفر على هذه النمذجة ومع الأسف فإن الجهود، منذ أرسطو إلى ما يسمى بالشعرية الحديثة مروراً بهِيكّل وكروس وغيرهم، كرّست الاهتمام

أكثر لتعريف الخطاب الأدبي في علاقته إما بمنطق اللغة أو بفلسفة اللغة. أعتقد أنه ليس هناك غياب تام، ولكن هناك نوع من التقصير فيما يتعلق بنمذجة الخطاب العلمي.

بالنسبة لكيف يمكن الجمع بين النظريتين المقارنة والتأويلية في عملية الترجمة ؟ أقول باختصار إن اعتماد أي تقنية من التقنيات في الممارسة التعليمية أو أي نظرية من النظريات، ترتبط بشروط أو تراعي مجموعة من الشروط، من بينها مستوى الفئة التعليمية التي نعلّمها والوسائل التعليمية المتوفرة أو المتوافرة للقيام بأي تطبيق في هذا الجانب، بمعنى أنه لا يمكن أن نحسم إمكانية الجمع إلاّ من خلال وضعية ديداكتية معينة، من خلال درس معين في إطار شروط تربوية.

30 ـ عبد الله شاكر الكَرسيفي

تتبعت باهتمام كبير، وبإرادة تعلّمية كل ما استمعت اليه من عرض الأستاذ أحمد الجوهري حول «الترجمة العلمية». تتبعتُ ذلك كله بمقارنة مع ما في خزانة ضميري التي اختزنت ما قاله علماؤنا الأوائل في اللغويات والترجمات والتعريفات. أشار إلى هذا كله الأستاذ الجوهري في عرضه، واقتنعتُ أن الترجمة بكل المواصفات التي ذكرها سواء من اجتهاده هو، أو من نقله عن الذين تناولوا الترجمة، تلك المواصفات في نظري تكاد تكون مستحيلة. وفهمتُ بهذه الاستحالة أن الكثير من المقالات، والمقالات المضادة الواردة في الترجمة الأدبية أو الترجمة العلمية، سببها هو انعدام مواصفات الترجمة بكل جوانبها، كما قدمها لنا الأستاذ الجوهري. يقول الأستاذ الجوهري: إن المترجم لابد أن يكون، هو في حدّ ذاته، على أوصاف كثيرة لصيقة به في داخل نفسه، ثم على علم بأوصاف كثيرة خارجية لما يريد أن يترجمه. وهذا مما لا يطاق. أي أن المترجم إذا أراد أن يكون مستحضراً لهذه الأوصاف التي ينبغي أن تكون فيه، ومستحضراً للأوصاف التي ينبغي أن يكون عليها المخاطب، ومستحضراً للغة

وللألفاظ التي يريد أن يعبّر بها، والألفاظ التي يريد أن يترجمها، اللهم إن مثل ذلك مما لا يطاق. ومع ذلك فعلماؤنا الأوائل قاموا بكل هذه المواصفات، ومن شاء أن يطلع على ما قاله علماؤنا الأقدمون، فليطالع في الكتاب الأول، من «جمع الجوامع» لابن السبْكي الذي تعرض للألفاظ واللغات، ولما ينبغي أن يكون عليه الفهم، ولما ينبغي أن يكون عليه المخاطب الخ...

فالأستاذ الجوهري بهذا العرض الذي قدمه أمامنا حول الترجمة، سواء كانت ترجمة علمية، أو كانت ترجمة أدبية، جزاه الله خيراً، قام بمجهود كبير، وهو يحملنا نحن الجيل المتقدم على أن نكون مطمئنين إن شاء الله على الأجيال المقبلة، وإنهم سيعرفون الطريق الأمثل.

31ـ محمد الكتاني

لا يسعني إلا أن أنوه بهذا العرض الذي قدمه الأستاذ أحمد شيخ السروجية، الذي صب اهتمامهُ فيه على نقط جوهرية فيما يتعلق بالترجمة العلمية في إطار التعليم العالي بالبلاد العربية والطموحات والمعوقات. أنوه بهذا العرض لأنه قام بتقديم اقتراحات جيدة وقابلة للتطبيق. وقد لفت نظري ضمن هذه الاقتراحات اقتراح وجيه وربما يُعمل به في الجامعات الأردنية بالنسبة لكليات العلوم لكون الأساتذة عندهم يُنظر في ترقيتهم من إطار الى إطار ومن درجة إلى درجة بناء على نشرهم للبحوث العلمية. وبطبيعة الحال فإن خصوصيات كليات العلوم تواجه في هذا المضمار صعوبات جمّة لأن الباحث يُدرّس مادته باللغة الأجنبية وينشر بحثه باللغة الأجنبية. معنى هذا أننا نسير دائما في مسلسل حريص، إذا صحّ القول، على ربط المعرفة بالعلم في اللغة العربية. فإذا ما أتيح للأستاذ الباحث في الكليات العلمية أن يترجم كتاباً علمياً طبق الشروط التي ذكرها الأستاذ السروجية فسوف نستفيد من أمرين اثنين:

أولاً: سنجعل هذا الأستاذ يقوم بممارسة الترجمة العلمية من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية. ومن خلال هذه العملية فإن من تخرجوا من معاهد أجنبية، وحصلوا على درجة علمية في اللغات الأجنبية، ينبغي أن نعود بهم إلى الترجمة العلمية ونشركهم فيها.

الأمر الثاني: سنعمل على ترويج المصطلح العلمي، هذا المصطلح العلمي الذي يتفق عليه، ولكنه يبقى دائما في الرفوف، وبهذه الطريقة سيعمل الأساتذة الباحثون حين يترجمون أبحاثهم على استعماله، وهكذا أعتقد أنه كما يقال: سنضرب العصفورين بحجر واحد.

32 ـ عبد الهادي التازي

أريد أن أشيد بالجامعات الأردنية فيما يتصل بمجهوداتها في تمتين تكوين الأطر العاملة بها، مما أشار إليه الأستاذ الكتاني البارحة.

وإن الحديث الذي تقدم به الأستاذ أحمد شيخ السروجية خوّفني! لماذا؟ لأنه تحدث بصدق عن الظروف المحزنة للترجمة العلمية في كل البلاد العربية، ولذلك فإننا أمام الظروف التي ينبغي أن تتوفر لهذا الترجمان وللهيئات المترجمة والأساتذة الذين يعملون، ولضمان الترجمة الأمينة الصادقة للكتب العلمية وخاصة الكتب الطبية. كل هذا جعلني أتذكر الفكرة الشيطانية التي تقول بأن على العرب عوض أن يُعلموا تعليماً ناقصاً عليهم أن يتعلموا لغة أخرى أجنبية حتى يقتحموا الموضوع بدون وساطة وبدون أي تركيب. وهناك فكرة سائدة تقول بأن الترجمة العلمية والبحث العلمي كذلك لا حاجة إليه بالنسبة للدول التي هي في طريق النمو حتى لا تُضيّع وقتها فيهما. وعلى كل حال، فخطاب الأستاذ السروجية، يجب أن نتمعن فيه متجردين عن عواطفنا، ونتساءل ماذا نهدف إليه في المستقبل ؟

الأستاذ السروجية أظهر كذلك موضوع المصطلح، وهو الموضوع الأساس للغات عديدة، بالأمس وعدنا الأستاذ هيثم الخياط بأن يرجع إلى الموضوع دون أن يمر عليه مرور الكرام كما يقولون، ولكن مرور اللئام! يعني أن نقف فيه وقفة جيدة حتى نعرف ما هو موقفنا في هذه الندوة من قضية المصطلح ؟، كيف نتعامل معه ؟ أعرف أن الأستاذ هيثم له محاضرات حول الموضوع، وبودنا أن يستجيب للوعد الذي وعدنا به.

الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور، أرجو أن لا تكون قد فهمتني خطأ، وأؤكد لسيادتك أن مبدأ قداسة اللغة العربية ومبدأ العمل على إحياءها والحفاظ عليها مبدأ لا جدال فيه إطلاقاً، لاسيما وأنت تعلم أكثر من غيرك أن لنا نشأة واحدة في جامعة عُذّبتْ وقُهرت من أجل تمسّكها باللغة العربية. قصدي أن يكون أبناءنا نحن في نفس المستوى الذي يتمتع به الغرب. ومن أجل ذلك أقول إننا محتاجون إلى التعليم، ولكن في ذات الوقت يجب علينا أن نفتح أبصارنا على ما يتجدّد ويظهر يومياً في كتب الطب، التي تصدر بالعشرات. كيف ستتابع هذه الحركة بصفة جدية؟ هذا هو الموضوع. أما مسألة اللغة العربية أو القَتْنَمة فنحن مقتنعون بذلك. فما هي الوسيلة للحفاظ على اللغة العربية والحفاظ في نفس الوقت على المستوى؟

33ـ أحمد شيخ السروجية

شكراً على التعليقات القيمة التي استمعت إليها وسأحاول أن أرد عليها بمجملها. أعتقد أن هناك دوافع عديدة، أنا لم أفض في الحديث عن الترجمة لأنني عالجت ذلك في مقالات أخرى. الهدف من الترجمة أوسع من أن يكون هدفاً قوميا أو دينيا. منذ سنتين ثارت مشكلة في القاهرة حول الذين يريدون تعريب العلوم، والذين لا يريدون هذا التعريب، وتصدت لهذه المسألة إحدى كبريات المجلات الإنجليزية، واتهمت الذين يريدون تعريب العلوم بالتعصب الديني. كانت هذه مجلة الكَارْدَين أو التايمس على ما أعتقد في افتتاحيتها. من هنا أريد أن أذكّر الجميع انطلاقاً من تخصصي كطبيب أعمل في المستشفى، عندما يسألني الناس، من هم الاختصاصيون الذين يعملون في المستشفى؟ وما هي درجة جودتهم وخبرتهم حتى يتأتى لهم أن يُقَيّموا ذلك المستشفى؟ يكون ردي عليهم دائماً: إن المستشفى بجودته وخبرته وعلمه لا يعتمد على الاختصاصيين، وإنما يعتمد على سلك التمريض، وعلى الأطباء الذين نسمّيهم نحن بالمقيمين الموجودين في المستشفى. هؤلاء الذين يحدّدون جودة المستشفى

وليس الاختصاصيون. لأن الاختصاصي لا يكون موجوداً دائما في المستشفى. وكذلك الأمر في المصانع ليسوا هم المهندسين، وكذلك في الجيش ليسوا هم الضباط. فهؤلاء الناس في الطبقات العلمية الدنيا هم الذين سيطبقون المنجزات العلمية، وما لم يكونوا على دراية علمية جيدة، فلن نستطيع النهوض. المشكلة ليست بالمثقفين، المشكلة بعامة الناس. هنا يجب أن يفكر الإنسان، هل يبدأ بالتعريب من المستويات الدنيا؟ ففي البلاد العربية جميعها ترى في الكتب المدرسية أن العلوم تدرس بالعربية، ولكن عندما أطلع على أمور طبية يتعرض لها المواطنون من خلال كتب أبنائي، أجد أنهم يستخدمون مصطلحات أنا لم أسمع بها قط. لذلك أعتقد أن الترجمة أو نقل العلوم يجب أن تتم من الدرجات العليا إلى الدرجات الدنيا، حتى يستطيع المدرسون في المدارس وكذلك المواطنون الآخرون أن يرجعوا إلى كتب علمية متخصّصة جيدة، هم بحاجة إليها.

مشكلة المصطلح مشكلةٌ نحن نختبئ وراءها. فعندما بدأتُ أترجم، وجدت معظم المصطلحات غريبة علي، ولكن بعد ممارسة قصيرة ودُرْبة فيها وجدتها تفي بالمعنى أكثر من المصطلح الأجنبي، وفهمتُ لأول مرة معنى كثير من المصطلحات لم أكن أفهمها قبل ذلك. وعندما حاول مجمع اللغة العربية الأردني ترجمة أحد الكتب الكبيرة التي كشف عليها حالياً أشرفنا على كثير من الزملاء، وهم ليست لديهم دراية كبيرة بالترجمة، وكان الهدف من ذلك تدريبهم. وفعلاً تم لهم ما أرادوا وأصبحوا مهتمين بالترجمة بفضل تمرسهم بها. أعتقد أن التنظير هو غير التجربة. ولا يمكن أن نوفر مترجمين متخصّصين بالتنظير، وإنما بالترجمة الفعلية. أجدادنا، كما ذكر زملائي سابقاً، أعادوا ترجمات كثير من الكتب، وسنمر في هذه المرحلة بنفس التجربة، وأعتقد أنه كلما تأخرنا كلما تأخر المواطن العربي عن مواكبة الحضارة. أما ماذا نترجم؟ أنترجم العلوم التي ظهرت أم الكتب القديمة أم نترجم من الآن فصاعداً؟ فأعتقد أننا إذا ترجمنا من الآن فصاعداً فسنتجاوز كثيرا من الكتب القديمة لأن الكتب العلمية تختلف عن الكتب في العلوم. أنا آسف، إن الكتب في العلوم الطبيعية تختلف

كثيرا عن الكتب في العلوم الإنسانية، لأن الكتب في العلوم الطبيعية تصدر في طبعات كل ثلاث أو أربع سنوات.

من هنا أريد أن أعقب على المحاضرة السابقة عن الترجمة العلمية، أعتقد أن الترجمة يجب أن تكون علمية في كل العلوم الإنسانية والطبيعية، وإنما يمكن أن يكون هناك نص أدبي لمثل شِكْسبِير وغيره يقتضي ترجمة خاصة، أما العلوم الإنسانية فترجمتها هي مثل العلوم الطبيعية تماماً في رأيي.

34 ـ محمد هيثم الخياط

إن العرب، حينما كانوا يترجمون عن الحضارات الأخرى، كانوا حينما يجدون الكلمة المناسبة يستعملونها، وحينما لا يجدونها لا يقفون. فعلوا هذا في الوقت الذي لم يكن لديهم هذا التدفُّق السريع في المعلومات المتفجرة، كانوا يترجمون معلومات ساكنة هادئة أمامهم. أما نحن في مرحلة تفجر المعلومات فنتوقف حتى نجد لكل كلمة ما يقابلها وما هو أفضل في الأداء والتعبير عنها؟ وهذا الأمر غير مطلوب من المصطلح أصلاً، المصطلح لا يقصد منه أن يعرّف الكلمة، وإنما يقصد منه مجرد الدلالة. أقول لا يجوز أن نظل إطلاقاً في هذا الموقف.

أمر آخر أريد أن أشير إليه، المصطلحات من كلمة الاصطلاح، والاصطلاح معناه أن الناس كانوا مختلفين في هذا الأمر، ثم تصالحوا، الاصطلاح هو Le Compromis وصلوا إلى حل وسط اتفقوا عليه، وتصالحوا عليه، فلا يمكن للمصطلح أن يُرضي الجميع، ينبغي لكل منا أن يتنازل عن شيء مما يتمسك به من أجل أن نصل إلى مصطلح موحد، وقضية توحيد المصطلح أمر مهم جداً وإلاّ بقي لدينا هذا الشتات الفكري الذي نعيشه. يجب أن يكون المصطلح موحداً، ولا يكون مثالياً. لا ينبغي أن نصرّ على أن تكون أفضل كلمة تدل على المصطلح، إنما الكلمة التي نتفق على أنها تدل على هذا المفهوم، هذا هو الذي يجب أن يكون.

ورداً على الأستاذ التازي، ما وعدتُ به من العودة إلى موضوع المصطلحات،

تجربتنا في توحيد المصطلح الطبي، أعتبر أنها تجربة مفيدة، بدأت هذه التجربة سنة 1968 حينما شعر اتحاد الأطباء العرب بالحاجة إلى التوحيد. فهو شعور أتى من الأطباء العرب أنفسهم، فألّف الاتحاد لجنة تضم متمكنين من اللغة والطب في وقت واحد لوضع المصطلح الموحد، ثم وسعت هذه اللجنة سنة 1974 ووصلت بعد عديد من الجلسات والمداولات إلى مجموعة من المصطلحات الموحدة بلغت 25000 ألف مصطلح سنة 1983، أي الإخراجة الثالثة للمعجم الموحد. هذه حينما وضعت موضع التداول، حكم عليها بالصلاحية أو بعدم الصلاحية. الجامعات السورية هي الوحيدة التي كانت تدرس بالعربية آنذاك، الآن والحمد لله انضمت إليها الجامعات السودانية، إنما حينذاك كانت الجامعات السورية فقط هي التي تدرس بالعربية، فلم يكن مسوغاً أن نقول لهؤلاء ضعوا مصطلحاتكم التي لا يدرس بها غيركم، واستعملوا مصطلحات لا تعرفونها، ولا يستعملها غيركم من أجل أنها موحدة، كنا نمسك قلوبنا نحن الأطباء الدماشقة الثلاثة في اللجنة، نخشى رد الفعل. ولكن ردّ الفعل كان بالفعل عجيباً جداً، لأنهم قبلوها على الفور بما أنها موحّدة، وأخذوا يستعملونها بعد أن لانت ألسنتهم لغيرها، فقد كان كل الأطباء في السريريات يقولون لـ Syndrome مثلاً تناذر، ثم استعمل المعجم الموحد المتلازمة، فقد وجدناها أفضل دلالة على ذلك، وقد قبلت هذه اللفظة الجديدة من الأساتذة السوريين. فلَوَوْا ألسنتهم واستعملوا المتلازمة وهي التي تستعمل الآن.

إذاً القضية ليست صعبة، إذا آمن المرء بعملية التوحيد، فإنه سيوحّد. ثم كان من فضل الله أن أخانا الدكتور حسين الجزائري، أصبح مديراً إقليمياً لمنظمة الصحة العالمية لهذا الإقليم الذي يضم جل البلاد العربية، وعدداً من البلدان الإسلامية، فبدأ بالتركيز على البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية، وبدأنا نترجم عدداً من الكتب التي هي من مطبوعات منظمة الصحة العالمية، ثم من غير مطبوعاتها الى اللغة العربية، واستعملنا المعجم الطبي الموحّد، فأفلح هذا المعجم في توحيد اللغة الطبية المتعامل بها الآن في مختلف البلدان العربية إلى حدّ بعيد. الآن نحن نُعِدُّ الإخراجة الرابعة لهذا المعجم، وهي ستصل بإذن الله

إلى ١٥٠ ألف مصطلح على الأقل، وهي الآن تدخل في الحاسوب، ولعلها تصدر قريبا إن شاء الله. غيّرنا فيها بعض المصطلحات أو كثيرا من المصطلحات بحسب التداول، ما حَكَم التداولُ ببطلانه أبطلناه لأنه لا يجوز أن نُصرّ على كلمة نفرضها فرضاً، نريد الكلمة التي يقبلها الناس، وللناس حكم عجيب حقيقة، لا يتوقعه الإنسان، ونحن يجب أن نرضخ لحكم الناس. نحن نريد أن نؤدي المعلومة بما يفهمه الناس، وهذا هو الأمر المطلوب، وهذا هو الذي ينبغي أن نفعل.

في قضية الكلمات المستعربة، ما أدعو إليه الآن هو أن نستعرب ما هو جديد، لأننا لا نستطيع أن ننتظر، لكن نحن في 150 ألف من المصطلحات لا نجد كثيراً جداً من هذه الكلمات المستعربة، نحن أصررنا أن نستعرب أسماء الأعلام، ما هو مشتق من أسماء الأعلام أو الأماكن أو ما شبه ذلك، ثم ما هو عالمي، ما أصبح عالمياً، بحيث إن نفس الكلمة تستعمل بكل اللغات، في الغالب نحن لا نحاول أن نخترع، فكلمة هُرْمون مثلاً كل الناس في العالم تقول هرمون، فلنقل هرمون! ولا سيما إذا وضعت بصيغة تسهل النسبة إليها.

سمعتُ أمس كلمة «الحرفلة» هذه التي وُضعت بالاتفاق الدولي على أنك تستعمل الحروف الأولى، يعني مواضيعها الأولى هي التي تستعمل في جميع اللغات، لكن الفرنسيين لا يلتزمون بذلك. مثلاً A.I.D.S وضعت قبل S.I.D.A والفرنسيون يصرون على استعمال الثانية.

هذا مثال بطبيعة الحال على هذه الكلمات العالمية، يجب أن نتفق على إحداها، مهما كانت هذه الكلمة، ولا يكون ذلك إلاّ بالتصالح بأن يتنازل البعض منا عما يريد الإصرار عليه.

أخيرا أحب أن أدخل إلى نقطة مهمة جداً: إن أجدادنا كانت لهم جُرأة على وضع المصطلح، نحن جبناء، نحن لا نجرؤُ على وضع المصطلح، وهذا شيء أعتقد أنه يجب أن نجد له علاجاً مّا. لم يكن يهمهم شيئاً إطلاقاً، ولم يكونوا يتوقفون أبداً في اختراع المصطلح، سواء كان اختراع شيء جديد يبتكرونه أو ترجمة، نحن نتوقف كثيراً ونتردّد كثيراً، ونقول لا، ربما يكون هنالك أحسن من

هذه الكلمة. فالعصر لا ينتظر المناقشة والمعلومات تتفجّر وتنهمر، ونحن في حاجة إلى مواكبة الركب، أو إلى الإنعزال الكامل عن هذه الحضارة. كنت أتمنى أخيراً لو أن المعجم الموحد كان بين يدي الأخ الأستاذ الحطاب ليوفّر عليه كثيراً مما اجتهد في ترجمته، ولكن مجهوده مشكور على كل حال.

35 ـ محمد الكتاني

الأستاذ الحطاب في عرضه، كما يقال، يضرب في العمق. وقد جال بنا جولة محمودة، جولة تنظيرية بقدر ما هي جولة مختبرية، معجمية مدققة. لهذا أعتبر، كما قال ذلك زملائي من قبل، بأنه ألقى درساً علمياً، وفي الواقع أجاب عمّا في نفسي من تساؤل كان مطروحاً من قبل حول معنى العلم والعلمية، وذلك بتقديم أمثلة دقيقة. إلاّ أن مفهوم العلم ومفهوم المعرفة، كما تفضل بعض الأساتذة من قبل فأشاروا إلى التضامن أو التطابق بينهما، أودّ هنا أن أقول بأن العلم كمفهوم يظل أسمى وأصفى إدراكاً للحقيقة، كما ينص على ذلك القرآن، وينص على ذلك الفكر الإسلامي نفسه. فالقرآن أطلق لفظ العلم في عدة مواضع، وأراد به تلك المعرفة الحقيقية المطابقة لواقع الحق كما هو. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾. إذاً كل ما كان معروفاً قبل القرآن كان مجرد أهواء وتصورات أما ما جاءك يا محمّد فهو من العلم، أي الوحي المخبر بالحق المطابق لواقع الكون. وقد أدرك ذلك الصوفية عندما قالوا «العارفين بالله» ولم يقولوا «العالمين بالله»، وهم الأقطاب والأولياء لأنهم عارفون، بمعنى أن المعرفة هي علم نسبي محدود، وتظل دائما تفتقد ذلك اليقين المطلق، فقالوا «العارفين» ولم يقولوا «العالمين بالله». وسبب التفرقة بين «العلم»، وبين «المعرفة»، أن المعرفة تحصل بتدبّر الآثار والعلامات الدّالة على الشيء، بينما «العلم» يحصل بالشيء ذاته. وأصل المعرفة، من قولهم عرفت الشيء، أي أصبت عرفه، أي رائحته. وأصبت عرفه، أي خدّه. ويقال عرفه بسيماه، أي بعلامته، بينما العلم معرفة محيطة بحقيقة الشيء في ظاهره وغيره.

وقد تحدث الأستاذ الحطاب عن آليات وضع المصطلح، واقتنع بعد نهاية كلامه بأننا عندما نتحدث عن قضية المصطلح، وعن قضية ترجمة العلم، لا نتحدث عن ضعف اللغة العربية في الواقع، وإنما نتحدث عن كسل الذين يتحملون مسؤولية اللغة العربية اليوم. إن اللغة تَوَافُقٌ واصطلاح كما قال ابن جنِّي، وقد أورد في كتابه: «الخصائص» فصلاً عن شجاعة العربية، أورد فيه صيغاً وأقيسة ونماذج تتجاوز بها اللغة العربية أحياناً حدود قواعدها القياسية، فكيف تكون هذه اللغة اليوم عاجزة عن استيعاب المعرفة الإنسانية؟ إذاً القضية هنا قضية أشخاص يحملون المسؤولية وليست قضية لغة عاجزة عن استيعاب العلوم.

36 ـ عبد الهادي التازي

سوف لا أطيل حديثي عن العرض الذي قدمه الأستاذ أحمد الحطاب، والذي استطاع به أن يصور لنا صعوبة وضع المصطلح، وأن المصطلح ليس من السهل إطلاقاً أن يضعه الإنسان. المصطلح الذي نشاهده في حياتنا اليومية، حينما نريد أن نطلق اسماً مّا على شيء مّا، فإننا نظل نحتاط ما أمكن حتى نجد هذا الاسم.

سؤالي للأستاذ أحمد الحطاب، ما هو واقعنا اليوم مع هذا المصطلح؟ هل هناك قرار على أن هذه المصطلحات تحترم، ونسير معها ونختصر الطريق؟ أم هناك حاجة تريد أن تحملنا على أن نقف لنضع مصطلحات أخرى على شكل آخر؟ بحيث أنا الآن أتساءل حول الحديث الذي استمعنا إليه اليوم، حديث يذكرني بقصّة العالِم النحوي الذي ركب في الفُلْك، ولما تقدّم، سأل صاحب الفلك وقال له: هل تعرف النحو؟ فأجابه: إنني لا أعرفه، قال له ضاع نصف عمرك! ثم لمّا زاد قليلاً أخذت أمواج البحر تتلاطم، فقال له يا مولانا: هل تعرف السباحة؟ قال له: لا. قال: ضاع عمرك كله!

نحن الآن في هذه المرحلة من التساؤل، هل سنسير على ما بدأه غيرنا أم سنقف حتى نرى ما سنكتشفه من مصطلحات؟

37 ـ أحمد الحطّاب

إن التدخلات التي جاءت إثر العرض الذي قدمته كلها تعقيبات وتكميل لما قلته، ولكن كانت هناك بعض التساؤلات فيما يخص مثلاً مفهوم العلم، المفهوم الذي قدمته للعلوم في عرضي هو المفهوم الذي يتلاءم مع ما هو متعارف عليه داخل الأوساط التعليمية. أما إذا أردنا أن نعرّف مفهوم العلم من الناحية الفلسفية، فهذا شيء آخر.

فيما يخص السؤال الذي طرحه الأستاذ عبد الهادي التازي، ما هو واقعنا مع هذه المصطلحات ؟ وأظن أنه يعني الواقع المغربي. في هذا الصدد لابد أنكم تعلمون أنه وضعت مصطلحات عديدة جداً بالتعاون مع مكتب الدراسات والأبحاث للتعريب، وهذه المصطلحات هي التي تستعمل الآن في المرحلة اللاّحقة من التعليم الأساسي، وفي المرحلة الثانوية، وهذه المصطلحات طُبعت ووزّعت وهي رسمية، بحيث إنها مشار إليها في التعليمات الرسمية التي يستعملها الأستاذ لتدريس العلوم، ولكن إذا أردنا أن نتكلم عن واقع المصطلحات على المستوى العربي، فهذا شيء آخر وخصوصاً في مجال العلوم. لقد سبق لي أن شاركتُ في عدة لقاءات خارج المغرب، في الدول العربية، وهناك اختلاف كبير بين المصطلحات المستعملة في المغرب والمصطلحات المستعملة في المشرق؛ وقد يذهب البعض من واضعي تلك المصطلحات إلى التشبّث تشبّتاً راسخاً بمصطلحاتهم، ولا يريدون أن يناقشوا بأنها وضعت بكيفية علمية الخ...، فهذا مشكل مطروح.

لقد تكلمنا عن جرد المصطلحات من أمهات الكتب التي وضعت في مختلف العلوم، في الطب مثلاً أو في علم النبات الخ...، ولكن أنا أطرح سؤالاً آخر وأقول: إذا أردنا أن نطلع على هذا التراث، أين يوجد؟ فأنا عندما أريد أن أطلع مثلاً على ما كتبه أريسطو، أحصل عليه بسهولة كبيرة جداً، ولكن إذا أردتُ أن أطلع على ما كتبه الفارابي أو ابن زُهر، فربما لا أتمكن من العثور على ما أريد.

عندما كنت في جامعة لافال بالكيبيك، وكنتُ أتابع درساً في علم الاجتماع في العلوم، وجاء الأستاذ، وأعطانا نُبذة عن تاريخ العلوم الاجتماعي، فتكلم عن جميع العلماء إلاّ ابن خلدون، فطرحتُ عليه السؤال، قال لي: لا أعرفه!
ما موقفنا من تفجُّر المعلومات، أقول بكل بساطة نحن في موقف المستهلك! والمستهلك الذي لا يستهلك إلاّ جزءاً ضئيلاً مما أنتجه الفكر العلمي العالمي. لنرى مثلاً عدد الدوريات العلمية التي تصدر باللغة الإنجليزية، ثم باللغة الفرنسية، ونقارن بين الدوريات التي تصدر باللغة العربية، فهذا شيء ضئيل جداً، أو قد نقول شبه منعدم.

38 ـ عبد المجيد مزيان

شكرا للأستاذ محمد خرباش على هذا العرض الدقيق، وكذلك على إفادتنا بهذه التجربة المهمة جداً في ميدان تعريب الرياضيات، وطرحه كذلك للصعوبات التي نتعرض لها جميعاً، ويتعرض لها خصوصاً الرياضيون، ونرجو أن يكون الجميع قد استفاد من هذه التجربة وأخذ العبرة من المجهودات التي يقوم بها الناس في بعض الأحيان في الظل، ولكن لا يسمع بها، وأظن بأن هذه التجربة من الممكن أن تستفيد منها أقطار أخرى في العالم العربي، وأن لا تبقى منعزلة ومنحصرة في هيأة معينة. إذاً فهذا مجهود كبير، له قيمته في العالم العربي، ونتمنى أن تكون هناك جلسات أخرى للاستفاذة من هذه التجربة.

39 ـ محمد هيثم الخياط

شكراً للاخوة الذين حاضروا هذه الأمسية وأفادتنا محاضراتهم كثيراً، وقد تكون ثمة بعض الملاحظات التي لا تفسد للودّ قضية.
تحدثت صباح هذا اليوم عن موضوع المصطلحات التي تنهمر، ويجب أن نلحق بها، وقلت إن الحل أن نرتجل ما يناسبها ولو اضطررنا إلى استعراب هذه الكلمات، لكن هذا لا يعني أنه ليس من الضروري أن يكون هنالك في الوقت

نفسه حركة موازية تحاول أن تدرس هذه المصطلحات دراسة متعمقة، وأن تجد لها الكلمات العربية الأصيلة التي يمكن أن تصلح لها. هذان أمران مستقلان، الأمر الأول يجب أن نواجه التحدّي الحضاري بعمل فوري، والأمر الآخر يجب أن نقوم بعمل متقن من أجل أن نعرّب هذه التجربة التي نعتز بها، وهذا ما فعله أجدادنا كما قلت، حينما كان يتحدث الأخ خرباش عن هذه التجربة، كنت أتصور أنني سمعت هذه التجربة من قبل وهي التي قام بها أجدادنا، هذا الذي فعلوه، وجدوا أنفسهم تلقاء عدد كبير من المصطلحات، فاجتهدوا فيها.

في محاضرة من محاضراتي السابقة في مجمع اللغة العربية الأردني تحدثت عمّا أسميته نظرية الضرورة العلمية. وقلت إن الضرورة عند سَلَفِ هذه الأمة ضرورتان: ضرورة شرعية، وضرورة شعرية، وأنا أضيف إليهما ضرورة ثالثة، هي الضرورة العلمية. وهذه الضرورات تتصل جميعاً بالمُثُل العليا التي توافق عليها الناس، فالضرورة الشرعية هي الخروج عما هو معهود لوجه الخير، والضرورة الشعرية هي الخروج عن المألوف لوجه الجمال، والضرورة العلمية هي الخروج عن المألوف لوجه الحقيقة. واقترحت دراسة لهذه الضرورة وهي دراسة ما زالت بحاجة إلى تعميق وتوسعة، وإنما المبدأ أن شجاعة اللغة العربية التي تحدث عنها ابن جِنّي، عندما خاف ابن جني أن يكون ذلك ارتجالاً حينما سأل شيخه أبا علي الفارسي: أفترتجل اللغة ارتجالاً؟ قال: لا أرتجل ولكنه مقيس على كلامهم فهو إذن من كلامهم. فالتوسع في هذه المقاييس أمر يتمشّى مع طبيعة اللغة العربية الشجاعة، لاسيما أن مقاييس هذه اللغة التي بلغ بها السيوطي مبلغاً كبيراً نحن لا نستعمل منها إلاّ جزءاً يسيراً، ولا يجوز لنا أن نُبقي بقية المقاييس محنّطة، ينبغي أن نُحيي هذه المقاييس مرة أخرى. قد تبدو هذه المقاييس غير مألوفة لنا في البداية، ولكنني أعتقد أن السامع العربي وحتى الطفل العربي عندما يسمع الكلمة الجديدة يستطيع أن يستنبط لها. سألتُ أحد أطفالنا مرة وهو في السابعة أو الثامنة من عمره، ماذا تعني كلمة أُثْلُوث؟ وكنت أريد أن أستعمل كلمة أثلوث لـ (Trimestre) فقال: شيء مؤلف من ثلاثة أشياء. وعلّل ذلك قائلاً: لأن الأسبوع مؤلف من سبعة أيام، فالأُثْلوث يجب أن يكون

مؤلفاً من ثلاثة: الطفل يستطيع أن يستنبط هذا الوزن الذي نعتبره اليوم من الأوزان الصعبة، أُفعول، ليس الوزن المألوف كبقية الأوزان، لكن الطفل استطاع أن يفهمه لأنه يستطيع أن يقيسه إلى شيء يعرفه. فالذي ندعو إليه هو أن لا نتحرج من استعمال هذه المقاييس ومن التوسع فيها، إنما على أساس منهج علمي. وهذه المنهجية في حقيقة الأمر ينبغي أن ننجزها قبل كل شيء. وقد دعوت إلى مثل ذلك في أوائل هذا العام في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وأرجو أن تتحقق هذه الأمنية. قبل المنهج لابد لنا مما سميته مقدمات المنهج، ومقدمات المنهج تقوم على أساس أن ننخل كتب اللغة القديمة، وأن نستخرج منها بعض هذه المبادئ التي نجد فيها بعض الرخص التي تكرم الله بها علينا، والتي علينا أن نستعملها لأن الله سبحانه وتعالى يحب أن تُؤتى رخصه. إنما يجب أن تكون رخصاً بالمعنى الشرعي أيضاً، يعني ألا نخرج خروجاً كاملاً عن الخط المستقيم، وإنما كما هو في الشرع كذلك في اللغة. هنالك جانبان للطريق لو صحّ التعبير، يستطيع المرء أن يمشي في أيمن الطريق ويستطيع أن يمشي في أيسر الطريق وهو ما زال في هذا الطريق سواء مشى في يمينه أو في يساره أو في وسطه، لا نقول عن أي منهم إنه خرج عن سواء السبيل. أما الذي يخرج عن الصراط كلية فهذا أمر آخر، نحاربه ولا ندعو إليه ولا نقبل به ولا نسكت عنه. أما ما دمنا في داخل هذا الإطار بداخل هذا الطريق اللاحب الذي رسمه لنا أجدادنا في اللغة العربية فنحن نستطيع أن نترخص في بعض الأمور في سبيل التعبير الدقيق عن الحقيقة العلمية.

40 ـ عبد الهادي التازي

ما وقع في تدخلات هذا المساء، يعبّر عن ظاهرة صحية ممتازة، على قوة اللغة العربية، كما يدل على صحة المقولة التي تقول: إن للبيت رباً يحميه. سأختصر في ملاحظة قالها الأستاذ خرباش عندما فرق تفريقاً دقيقاً بين المصطلح، وبين اللفظ. ثمّة فرق شاسع بين الجانبين، ومن حقنا أن نستمع إلى الفرق الدقيق

الذي أعطاه الأستاذ خرباش، وأرجو أن يتسع الوقت فيما بعد للتحدث معه حول هذا الموضوع.

الأستاذ لوديّي تحدث عن التجاوزات التي تقع في الترجمات في العصر الحاضر، كالترجمة الأدبية، الترجمة العادية، بحيث الإنسان يخجل في بعض الأحيان حين يسجل تناقضات في الترجمة، في مستويات لا تقبل التناقضات. مثلاً، استمعنا قبل أربعة شهور لرئيس دولة يتحدث إلى رئيس دولة آخر، مشيداً بالبناءات العظيمة التي شيدها الموحّدون وهو يتحدث عن تلك البناءات عبر عنها بكلمة: Les Ouvrages بالفرنسية، ولكنا سمعنا المترجم يتحدث عوض البناءات عن الكتب التي ألّفت في ذلك العهد. وسمعنا ذلك السيد رئيس الدولة يقول: «الجزيرة العربية» ولكن الترجمان يتحدث عوض الجزيرة العربية عن المملكة العربية السعودية.

الأستاذ عبد المجيد مزيان، فهمت من كلامكم أنكم تقومون بالعمل المزدوج، أي أننا نسير في محاولتنا للتعريب وبالأخذ بالمصطلحات، ولكن في الوقت نفسه يجب أن نفتح عيوننا على لغات أخرى، يعني أننا نسير على قدمين اثنين حتى لا نفرط في المواكبة، ولا نفرط أيضاً في لغة وصلنا إلى هذه الدرجة بفضلها.

الأستاذ هيثم الخياط يذكرنا دائما بالأجداد، نحن نتفق معه فيما قام به أجدادنا إنما يجب أن نعرف أن أجدادنا كانوا أمام واجهة واحدة، أما اليوم فنحن أمام واجهات متعددة، أجدادنا كانت لهم أمور محدودة ومعروفة. نحن أمام غزو، كل الذين تدخلوا اليوم اتفقوا على أننا أمام متفجرات من جميع النواحي.

41 ـ أحمد الطريبق

ملاحظاتي منبثقة عمّا سمعناه اليوم، وكلها تجمع على أن المشكل يتعلق بالمصطلح إلا أننا نتساءل جميعاً أساتذة ومجمعيين وأكاديميين عن قصة هذا المصطلح منذ المجمع الأول إلى اليوم، ربما أن القصة تطول في ذلك. إلى أين؟

ثلاثون عاماً ونحن نجادل حول الأسماء، ولا نجادل حول الأشياء. الآخر يصنع الأشياء ونحن نتجادل حول الأسماء، إلى متى؟ أدعو أن نحسم هذا الأمر في مؤتمر قمة أكاديمي، مجمعي، يعقد في دولة عربية لتحسم هذه القضية نهائياً. ولندخل في الجدل حول الأشياء لا حول الأسماء.
قيل أمس إن الأمر يتعلق بالإيمان بالقضية. لهذا نتمنى أن تحسم قضية المصطلح عبر التوحيد وعبر التحليل، وعبر التعريب في أقرب وقت ممكن لندخل إلى القرن المقبل وقد صفّينا الحساب مع هذا المصطلح.

42 ـ الفاضل البقالي

سأختصر مداخلتي في نقطتين: الأولى تتعلق بالأجداد أو الأسلاف. إنني مع السادة الأساتذة فيما يتعلق بالعودة إلى المعرفة الإسلامية العربية السابقة، وهذا المنهج سلكه أجدادنا. فأول شيء فعلوه بعدما دخلوا في الإسلام، بدأوا يتعرفون على الحضارات، وعلى الجوانب المعرفية المختلفة سواء عند الفُرس أو عند الهنود أو عند الصينيين، أو فيما بين النهرين، إلى غير ذلك. ثم بعد ذلك، بعدما فهموا المعرفة الإنسانية، واستوعبوها، بدأوا يفكّرون ويبدعون، فأعطوا ما أعطوا. وهذه بالضبط هي حالتنا الآن، فنحن الآن نسير من وراء ما اتّبعه الآخرون، نحن أمام نظريات ابتدعت فيما مضى، ندرسها سواء كأساتذة جامعيين، أو كمفكرين أو كيفما كان مستوانا.
الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور قال في الصباح، يجب أن نُثبت ذاتنا، ولإثبات الذات يجب أن نبدع، يجب أن نفكّر في الإبداع لنحتل مكانتنا بين الأمم، لا لنبحث عما اكتشفته الأمم، صحيح أنه يجب علينا أن نتعرف على ما سبقنا إليه غيرنا في مجالات مختلفة، ولكن يجب أن نفكر أولاً وقبل كل شيء في إثبات الذات، في إيجاد الشخصية، في إيجاد الثقافة، في إيجاد المعرفة، في إيجاد المستقبل. ماذا سنقول للأجيال القادمة ونحن الآن كأساتذة جامعيين وكمفكرين وكمؤطرين وكمدرسين، ماذا سنقول لهم؟ أنقول لهم إننا كنا نناقش النظريات؟ هل نقول لهم إننا كنا نناقش هذا وذاك؟ إن المعرفة موجودة في كل جهة، ولكن الإبداع غير موجود، هذه وجهة نظري.

43 ـ عبد الله شاكر الكّرسيفي

أريد أن أتتبع الإحصائيات أو الأعمال التي قامت بها اللجنة المكلفة بتعريب المصطلح في الرياضيات، والتي قدمها لنا الأستاذ خرباش، النموذج نفهمه، ولكن أريد أن أقول إنه ليس هناك أحد يجادل في أنه من الواجب على الأمة العربية أن تقوم بالنقل والتسجيل في الإنترنيت وبالترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية لأداء مهمتها. هذا لا يجادل فيه أحد، والذي يجادل فيه من يجادل مثلي هو الفوضى في الترجمة وفي النقل. أنتم تعلمون أن اللغة العربية نزل بها القرآن، ونطق بها الرسول الكريم، وليس هناك إذاك لا اشتقاقات ولا أخذ ولا... ولا...، جاءت لغة القرآن آخذة ومعبّرة عما يريده الله سبحانه وتعالى، ففتح لنا حتى باب الأخذ من اللغات الأخرى، وهذا شيء مفهوم.

جاء دور التوسع الضروري للذين لهم غيرة على اللغة العربية، فوضعوا اصطلاحات الاشتقاق، هذا مصطلح: عَلم عَمل لَمع الخ...، الاشتقاق الكبير والاشتقاق الصغير، وأخذ علماء اللغة بهذه الألفاظ لسدّ الفراغ الذي كانوا يحسون به إذاك، فحتى «المناجد» أو القواميس كانوا يقولون: ومن المُعَرَّب كذا وكذا، بل كانت الطباعة تجعل تحت لفظ «مُعرّب» خطّاً لنعلم أنه غير اللفظ العربي. الذي نلاحظه الآن هو أن المترجمين أو الناقدين، فقدوا شيئاً من الصفات التي تكلم عنها جميع المتدخلين، مما يجب أن يتصف بها من يريد الترجمة، وهو أن يتقن اللغة المترجم عنها واللغة المترجم إليها، ويعلم ما هو المحيط للفظة لكي توضع في محلها؟

الأستاذ الأخضر غزال، شكر الله عملَك، لقد قُمتَ بما قمت به غيرة على اللغة العربية، ولكن عندي معك ملاحظتان: الملاحظة الأولى في الترجمة، والملاحظة الثانية في الخط.

بالأمس قلتَ لنا إن الناس يتهمونني بأنني لا أعرف اللغة العربية، استمع الجميع إلى هذا منك. وكما قلتُ لك إن هذا تحامُل على الأستاذ الأخضر غزال، ولكن لما كشف لنا الأستاذ خرباش عمل مكتب التعريب، أقول هذا وأمامي

الألفاظ التي لا أريد أن أطيل فيها: ألفاظ (مُروّنة) غير مصونة، (مُروّنة) ومدوّنة قدمت في مناهج تربوية لجميع أطفالنا في الابتدائي ولجميع شبابنا في الثانوي والنهائي. هذه الألفاظ التي عملت وعُجنت (وروّنت) بما شاء الله أن (تُروّن) به، فقدمت إلى الإدارة التربوية في وزارة التربية الوطنية بدون أن يكون هناك مرجع ولا مبرر، ودون أخذ آراء ذوي الاختصاص التي لابد منها. لو كنتُ مكلفاً بمكتب التعريب لا سْتَشَرْتُ جميع ذوي الاختصاصات لتكون المسؤولية عليهم جميعاً. هذا من جهة الترجمة.

ومن جهة الخط، الخط العربي والكلمة المخطوطة بالهندسة العربية، ابتداء من الخط الكوفي إلى المجوهر والمبسوط الذي صدر في المغرب، هذا الخط شهد الناس بأنه فيه أشكال هندسية أجمل ما تكون عليه الأشكال، الألف، الباء، المبسوط، المجوهر، المسند الخ...، لو جئنا بلوحة، وقابلنا بين كلمة كتبت بالخط الكوفي، أو بالخط المبسوط، أو بالمجوهر، أو بالمسند، وكتبنا مثلها ما قدمه لنا الأستاذ الأخضر غزال، لكان ذلك بمثابة عجوز شمطاء أمام شاب أنيق.

44 ـ عبد اللطيف الوهابي

أولاً سأبدأ مداخلتي بقصة وقعت للمعرّي الذي زار أحد أصدقائه فقال هذا الأخير لخادمه: أخرجوا عني هذا الكلب. فقال المعرّي لخادم صاحبه: الكلب هو الذي لا يعرف أن للكلب مائة اسم! وأنا أتساءل: كم منا في القاعة يعرف أكثر من عشرة أسماء للكلب؟، وأن للسيف في اللغة العربية أكثر من مائة مرادف، وللحصان أكثر من ذلك! أقول هذا لأعبّر عن ضعفنا في اللغة العربية.

ففي اللغة العامية المغربية، أحصيت بكل تواضع بلغة جبالة بقبائل الشمال أكثر من 40 مرادفاً لفعل مَشَى، فكم منا يعرف أكثر من خمسة؟ وأحصيت أكثر من 20 أو 30 لفعل جَرَى، وأكثر من 20 لفعل أكل، ولفعل شرب، وأكثر من 100 لفعل ضرب. فكم منا ونحن أساتذة جامعيون ومثقفون يعرف 50٪ من هذا؟

فقبل المصطلح، وقبل الترجمة، وقبل تزكية السياسة للترجمة والاصطلاح، أقول

لكم وأنتم أساتذة جامعيون، تساهمون في وضع خطط التعليم والتربية والحضارة ومجابهة الحضارات الأخرى، وأنتم تُعدّوننا نحن حملة المشعل لأن نجابه هذا التحدي، أرجوكم، أن تعلّمونا فقط 50٪ من هذه المصطلحات التي نجهلها. فإذا كنا نحن مثقفين، ونجهل اللغة، سنخلق جيلاً يكافح ويجابه التحدي الحضاري الرهيب، فإنكم تزودوننا بكتب ومناهج تقتل فينا اللغة العربية، عوض أن تشجع عليها.

خطاب اختتام أعمال الندوة

عبد المجيد مزيان
عضو الأكاديمية
مدير الجلسة الختامية

اسمحوا لي في اختتام هذه الجلسة أن أقول كلمة قصيرة.

نتوجه بالشكر لجميع الأساتذة سواء من المحاضرين، أو المتدخلين الذين شاركوا في هذه الندوة القيّمة التي كانت محاورها مهمة جداً، وقد استفدنا منها جميعا، ونتمنى أن نعود لمثل هذه الاجتماعات العلمية.

وإذا كان هذا هو الملتقى الثاني عشر في موضوع التعريب والمصطلحات العلمية، فذلك لأنه موضوع لا ينفذ وستتكرّر فيه الاجتماعات.

فإلى كل الأساتذة الذين عملوا بنشاطهم الكثيف على إنجاح ندوتنا نعبّر عن اعترافنا ونخصُّ بالذكر منهم أولائك الذين بذلوا الجهود المستمرة، هنا في المغرب، ومنذ أربعين سنة على ضبط المصطلحات، وتنقيح المعاجم وعصرنة اللغة العربية. ونذكر منهم الأستاذ أحمد الأخضر غزال الذي لا تخفى أنشطته على أحد في هذا الميدان.

لقد كانت محاور هذه الندوة كثيرة، وكانت التدخلات مهمّة ومفيدة، ولقد عرّفنا الخبراء بما حققه المغرب، وما حقّقته البلاد العربية الأخرى مثل سوريا ومصر والأردن من مكتسبات في الترجمة العلمية وضبط المصطلحات، ونتمنى أن تتكامل المجهودات ويتحقق التنسيق في هذا المجال.

إن الندوات عن التعريب العِلْمي بدأت تنعقد منذ سنة 1961 هنا في

المغرب، وكان الفضل للمملكة المغربية أن احتضنت مكتب تنسيق التعريب، واستقْطبت فيه أنشطة كل المختصّين.

إننا متيقنون أن الجهود المتواصلة ستستمرّ إلى أن تكلّل بالنجاح، وأن العزيمة السياسية على النهوض بالعربية ستبقى محرّكا قوياً لإدراك هذا الغرض الذي هو عالمية لغتنا وعِلْميتها.

بعد هذا نشكر باسمكم جميعا إخواننا الأساتذة الزملاء أعضاء الأكاديمية الذين قدموا عروضهم في هذه الندوة، والأساتذة الخبراء الوافدين من الجهات العلمية المختلفة داخل المغرب وخارجه وهم الأساتذة: محمد هيثم الخياط وأحمد شيخ السروجية ومحمد سويسي ومحمد خرباش وأحمد الحطاب وأحمد جوهري وعبد العزيز لوديِّي.

ثم نشكر عميق الشكر السلطات المحلية لمدينة طنجة وعلى رأسها السيد عامل صاحب الجلالة، ونشكر رجال الإعلام في التلفزة والإذاعة والصحافة على جهودهم في تغطية هذه الندوة تغطية شاملة مرضية.

وفي الختام نقول بأننا، والحمد لله، قد حقّقنا هذه النتائج وهذا النجاح العِلْمي بفضل الرعاية الكريمة لصاحب الجلالة نصره الله وأيده وحفظه وأطال عمره.

ولنا الشرف أن نرفع باسمكم جميعا برقية شكر وامتنان إلى صاحب الجلالة على حسن رعايته، وعلى تفضله بالمساندة الكبيرة للعلم والعلماء، وعلى رعايته الكريمة لهذه الإنجازات الكبرى التي حصلت بالمغرب في سبيل النهوض بالعربية، وفي سبيل تمكين الأمة العربية جمعاء من اكتساب وسائل العلم والتنمية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.